**الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية**

**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جامعة ابن باديس مستغانم**

**كلية الأدب العربي و الفنون**

**قسم اللغة والأدب العربي**

**أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه**

**في الأدب العربي**

**موسومة بـــ**

# سيميائية الفضاء في أدب نجيب محفوظ
# رواية زقاق المدق أنموذجا

**إعداد الطالبة:** دادوة حضرية نبية

**إشـــراف:**أ. د. مختار لزعر

**لجنة المناقشة**

| | | |
|---|---|---|
| **أ. د. بن يشو جيلالي** | رئيسا | جامعة مستغانم |
| **أ. د. مختار لزعر** | مشرفا ومقررا | جامعة مستغانم |
| **أ. د. عقاق قادة** | عضوا مناقشا | جامعة بلعباس |
| **أ. د. داود محمد** | عضوا مناقشا | جامعة وهران |
| **د. سعيدي محمد** | عضوا مناقشا | جامعة مستغانم |
| **د.شويرف مصطفى** | عضوا مناقشا | جامعة معسكر |

**السنة الجامعية**

**2015 – 2014**

# الفهرس

المقدمة.....3

**الباب الأول:** نجيب محفوظ أديب الواقع المصري**.....14**

**الفصل الأول:**نجيب محفوظ من قرمز إلى العجوزة.....**1**5
**الفصل الثاني:**زقاق المدق: رواية الحارة الشعبي.....42

**الباب الثاني:** زمكانية الرواية و شخصياتها.....76
**الفصل الأول:**الرواية و المكان.....77
**الفصل الثاني:**الرواية و الزمان.....112
**الفصل الثالث:**شخصيات الرواية.....141

**الباب الثالث:**سيميائية الفضاء الروائي في زقاق المدق.....180
**الفصل الأول:**تعريف السيميائية كمنهج دراسة.....181
**الفصل الثاني:** من سيميائية العنوان الى سيميائية المكان.....212

**خاتمة.....257**
**الملاحق.....267**
**الملحق الاول:** نجيب محفوظ:مؤلفاته و ما الف حوله.....268
**الملحق الثاني:** صور مخلدة لحياة نجيب محفوظ.....294

**المصادر و المرجع.....314**

# مقدمة

**مقدمة**

يعد الفضاء الروائي من الدراسات التي لم يعنى بها كثيرا الدارسون الأكاديميون إلاّ في السنوات المتأخرة، وذلك بعد أن ظهرت عدة مناهج دراسية، ساعدت الباحثين في إثراء الدراسات وتنوعها، ممّا ساهم في توجّه الكثير من الجامعيين إلى الاهتمام بالفضاء في دراساتهم الأدبية واللغوية.

كما يعد المنهج السيميائي أيضا أحد أهم المناهج التي مكّنت الدارسين للمكان الروائي من تفعيل وتثمين العمل الأكاديمي، بالاعتماد بخاصة على الدراسات المنجزة باللغات الفرنسية والانجليزية بعد ترجمتها.

وفي المقابل تعددت الدراسات التي اهتمت بأدب نجيب محفوظ والتي تعاملت بالخصوص مع الفضاء الروائي، محاولة تطبيق نظريات النقد الأدبي الحديثة عليها، غير أن المنهج الذي لم يُعط حقّه من الدراسة ولو أنه اعتمد من طرف الكثير من الباحثين هو المنهج السيميائي لدراسة المكان في أعمال نجيب محفوظ.

إن البحث الذي أنوي القيام به سوف يكون تكملة للدراسات السابقة التي اهتمت بأدب نجيب محفوظ، لأنه سوف يبين منهج الأديب في اختيار فضائه الروائي وأقلمته مع الزمان وأسماء شخصياته، هذا الجانب وإن تعرّض له بعض النقاد في كتاباتهم إلاّ أنه لم يخصص له عمل أكاديمي يحمل انشغالات. من المفروض أن الوقت قد حان من أجل تناولها بصفتها إشكالية عمل معمّق يبحث في اختيارات نجيب محفوظ، سواء ما تعلق بأسماء شخصياته الروائية أو تلك المتعلقة بالأمكنة والأزمنة الروائية.

وقد أوقع توجيه أستاذي المشرف لاختيار هذا الموضوع بالذات صدى بداخلي، مما جعلني لا أتردد لحظة في قبوله لعدة أسباب. منها ما بقي في ذاكرتي من سنوات الدراسة في مرحلة التدرج مرتبطا بقراءاتي لروايات الأدباء المصريين ونجيب محفوظ على الخصوص، لأجل انجاز أبحاث في العديد من المقاييس. وأيضا لما شاهدته في السنوات المتأخرة من أفلام مقتبسة من أعمال أديب نوبل أنجزت منذ سنوات طويلة في استوديوهات مصرية ولم أتمكن من مشاهدتها الا عندما عرضت على الفضائيات على سبيل المثال قناة روتانا سينما.

من أجل انجاز هذا البحث على أحسن وجه كان لا بد من الاعتماد على المراجع المكتوبة بالإضافة إلى الاتصال بالشخصيات المصرية التي عرفت الأديب والتي درست أعماله عن قرب. من أجل ذلك و حتى يكون العمل متكاملا اضطررت إلى التنقل إلى مصر لرؤية عالم نجيب محفوظ الواقعي الذي ألهمه الفضاء والشخصيات الخيالية التي زخرت بها أعماله. كان إذن أول اتصال لي مع الدكتور جمال الغيطاني الذي تزامن وجودي بمصرفي شهر ماي 2007 مع سفره إلى أمريكا للعلاج فأرشدني إلى قراءة كتابة "المجالس المحفوظية" الذي يحتوي على حواراته مع نجيب محفوظ حول العديد من المحطات في حياته.[1] اشتريت الكتاب ومجموعة من الكتب الأخرى من مكتبة مدبولي ودار الشروق، كما اقتنيت عناوين أخرى وجدتها تباع على الرصيف قرب الجامعة المصرية.

اتصلت بعد ذلك ببعض الاساتذة في الجامعة الأمريكية في مقدمتهم الدكتورة سامية محرز[2]، التي حدثتني عن مشاريع البحث في الجامعة والتي تهتم بنجيب محفوظ خاصة ما تعلق بترجمة أعماله الى الانجليزية، كما أرشدتني إلى أماكن ولادة، اقامات،

[1] اتصال هاتفي مع الدكتو ر جمال الغيطاني بتاريخ.24 -04 -2007.
[2] ساعدني في الاتصال بهذه الشخصيات الباحثة الفرنسية كاترين ميرل، تعمل حاليا بمركز ابن خلدون بالرباط، المغرب. والتي قضت خمس سنوات بمصر لدراسة الثقافة و اللهجات المصرية.

ووفاة الأديب، بالإضافة إلى المقاهي التي كان يتردد عليها في القاهرة. فزرت كل الأمكنة التي يمكنها أن تساعدني في انجاز هذا البحث.[3] من خان الخليلي، إلى درب قرمز، إلى المنزل الذي ولد فيه، وسيدنا الحسين ومقهى الفيشاوي ومقهى ريش، وصولا إلى البيت الذي توفي فيه بالعجوزة المحاذي لمستشفى الشرطة، الذي دخله مرتين، الأولى يوم طعن بخنجر والثانية يوم وفاته[4].

واتصلت بعد ذلك بالأستاذ "درويش" عميد كلية الأدب العربي بجامعة "فؤاد الأول" سابقا، التي انتسب اليها نجيب محفوظ طوال سنوات دراسته. أرشدني الأستاذ بدوره إلى بعض الدراسات حول نجيب محفوظ مطبوعة بمكتبات مصرية.

إضافة إلى سفري إلى القاهرة، زرت باريس في 2008 واتصلت بالدكتور "جيل اللاذقاني" الباحث بمركز الدراسات حول الإسلام والمجتمعات الإسلامية، والذي وجهني إلى بعض الدراسات في المكتبات الفرنسية حول نجيب وأخرى في الجامعات السورية واللبنانية. وبالفعل سمحت لي الظروف لأن أزور دمشق في 2009 فتصفحت العديد من المؤلفات بمكتبة الأسد ومركز الأبحاث حول المشرق العربي الذي كان يديره سابقا الفرنسي فرانسوا

[3] خصصت ملحقا يحتوي على بعض الصور التي اخذتها اثناء زيارتي في 2007

[4] كما اخبرني ظابط الشرطة الذي التقته امام الباب و الذي وعدني بتنظيم لقاء مع ابنتي الاديب لكن الظروف لم تساعد على ذلك

بيرقات. إضافة إلى مشاركتي سنة 2010 في ملتقى بلبنان، أين اتصلت ببعض المهتمين بإنتاج نجيب محفوظ الروائي. بالإضافة إلى هذه الدول التي زرتها خاصة لأجل إثراء مكتبتي حول نجيب محفوظ، اغتنمت فرصة تواجدي بالمغرب وتونس من أجل المشاركة في مؤتمرات سنة 2006 و 2008 لأطلع على المجلات الجامعية، والرسائل التي اهتمت بالمكان، والزمان، والشخوص، والسيميائية، والتي قدمها باحثون مغاربة و تونسيون.

على الرغم من عمر الرواية القصير في الأدب العربي، فإن ما حققه الروائيون العرب خلال السنوات القليلة وبخاصة نجيب محفوظ، وما أنتجوه من نص أدبي " متعدد الدلالات والأبعاد."[5] يعد صورة متكاملة من الفن الأدبي، استطاعت أن تضيء جوانب عديدة من الإنسان العربي الغني بثقافته، فنظرة متعمقة إلى أعمال نجيب محفوظ تجعلنا نلحظ تمكنه وبراعته في تقديم الشخصيات واختيار الإطار الزمكاني الذي تتحرك ضمنه.

إن الهدف من وراء انجاز هذه الرسالة هو الإجابة عن بعض الأسئلة منها:

[5]سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997 ، ص.26.

_ ماهي الدلالات التي يستند عليها "نجيب محفوظ" حين يختار أسماء رواياته وأماكنها وشخصياتها ؟

_ ماهي المرجعيات التي يرتكز عليها الكاتب عندما يتحدث عن الفضاء الروائي؟

_ هل اختياراته للأسماء سواء ما تعلق بالشخصيات أو الأمكنة تعد اختيارات اعتباطية، عفوية أم تستند إلى رؤى الكاتب: الاجتماعية، الدينية، التاريخية؟

**سبب اختيار الموضوع**

إن السبب الأساس في اختيار هذا الموضوع، هو أنني أردت انجاز عمل يربط بين الموضوعين الذين شكلا محور دراستي في مرحتي الليسانس والماجستير، حيث تناولت في الأول موضوع "دلالة المكان في روايات نجيب محفوظ"، أما في الثاني أي الماجستير مسألة "دلالة الأسماء عمل مقارن بين منطقتي بني عشير(تلمسان) ومنطقة تليلات(وهران)" أين كان للإشراف الأستاذ الدكتور عبد الله بن حلي الفضل الكبير في متابعة البحث وإرشادي إلى مادته من الخطة الى يوم المناقشة.

أما السبب الفرعي فيعود إلى قلة مثل هذه الدراسات التي من شأنها أن تثري العمل الأدبي، ولا أنكر دور أستاذي المشرف عبد

الله بن حلي في تنويري وإرشادي إلى أهمية هذا الموضوع على ساحة الدراسات الأدبية بخاصة وأنه يعتمد على المنهج السيميائي.

تتجلى أهمية هذا البحث في كونه يعد من الدراسات التي اهتمت بالدلالات الاسمية لشخصيات وأمكنة أعمال الروائي العربي الكبير "نجيب محفوظ" وهذا ضمن فرع التبونيمية والأنتروبونيميا أي دراسة أسماء الأماكن والأشخاص، والذي نريد تطبيقه على عمل أدبي وليس على عينة اجتماعية مثلما هو الحال في الدراسات السوسيولوجية والسوسيولغوية.

**أهداف تطبيق المنهج السيميائي**

إننا نروم بهذا البحث في تطبيق آليات هذا العلم الجديد في الدراسات العربية وإبراز دوره الأساس في البحث المستمر عن الدلالة والمعنى وتتجلى هذه الأهداف من خلال قسمين:

_ القسم النظري، ونهدف من خلاله إلى التعريف بالمنهج السيميائي على ساحة الدراسات العربية وذلك بإبراز أسسه والكشف عن الإجراءات النظرية التي يقوم عليها.

_ القسم التطبيقي، وفيه نحاول تسخير هذه الإجراءات النظرية في دراستنا لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ، للحديث عن الدلالات

السيمائية والمرجعيات سواء ما تعلق بأسماء الشخصيات أو ما تعلق بأسماء الأماكن.

**المنهج:**

لم يعد من الممكن اليوم، وبعد هذا الكم الهائل من المناهج التي طفت على سطح الواقع الأدبي أن نختار منهجا واحدا ونتقيد به طيلة الدراسة التي ننوي أن نقوم بها. فطبيعة الأجزاء المتفرعة من العمل الروائي تفرض علينا في بعض الأحيان تغيير المنهج، وبالتالي فإننا قد اعتمدنا في هذه الدراسة المنهج السيميائي الملقح بالمنهج الاجتماعي وما ينضويان عليه من خلفيات لسانية وبنيوية، وحاولنا استثمار بعض المفاهيم والآليات الإجرائية التي يرتكز عليها المنهج السيميائي، وكذا المنهج الاجتماعي. وهذا رغبة في إبراز الفضاء الروائي في رواية "زقاق المدق" للأديب الكبير "نجيب محفوظ".

فقيمة المكان لا تقف عند تسمية الحيز الروائي وإثبات أبعاده، وإنما تتدخل الشخصيات وتسارع الأحداث واللغة في إعطاء الروح الواقعية لهذه الأمكنة، "إذ يشكل المكان بؤرة الحدث، إذ أنّ هذا الحدث تقوم به شخصيات تخترق ذلك المكان."[6]

[6] غسان السيد، المكان في الرواية العربية (جسر بنات يعقوب نموذجا)، مجلة الموقف الأدبي، العدد 319، 1997، سوريا، دمشق ص.81

إضافة إلى هذه المكونات يمثل الاسم عنصرا مهما في إبراز القيمة الجمالية لأي عمل أدبي؛ والاسم هنا يجمع أسماء الأماكن، وأسماء الشخصيات،" لأنها تمثل قيمة محددة تشير إلى مسماها من دون مطالبة مسبقة لها بأن تدل عليه بقوة وجودها لذا كان توكيدا لخصوصية ذات طابع مترسخ من الدلالة المتواترة لما اختير له (دال) ينطق به (مدلول)"[7]، حيث ينسجم الاسم مع الواقع العربي، كما هو الحال في الدراسات النقدية المعاصرة التي ترى أن ينسجم الاسم ويتناسب مع دور الشخصية في العمل الأدبي، بحيث يحقق للنص مقروئيته.

ولعل اعتماد النظرية السيميائية الوظيفة المرجعية والانتباهية والانعكاسية التي حددها ""جاكبسون" من شأنه أن يبرز الكوامن المتوارية خلف العلامات، إذ الأعمال الروائية صدرت عن سارد يحسن توظيف التقنيات السردية[8]، فهو يتحرك بالمسرود ضمن نهج واقعي، لا شأن فيه لمنطق المفاجأة أو المصادفة في النظام السردي.

لقد اعتمدت في دراستي على العديد من المراجع المهمة التي تناولت المكان والزمان بالإضافة إلى الأعمال حول "نجيب

[7].ينظر بيار جيرو، علم الإشارة _ السيميولوجيا_ ترجمة عن الفرنسية منذر عياش، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الأولى 1988، ص 23.

[8]محمد قرانيا، خصوصية الأسماء العربية ودلالاتها، مجلة التراث العربي، السنة الرابعة والعشرون، العدد 98، حزيران 2005، دمشق، سوريا ص 28.

محفوظ" والدراسات المعتمدة على المنهج السيميائي. تراوحت بين الكتب المطبوعة ومقالات المجلات المختصة، والرسائل الجامعية، والمعاجم، وبعض المنشورات الالكترونية.

لقد قسمت بحثي هذا إلى ثلاثة أبواب، خصصت الأول بفصليه للتعريف بالروائي "نجيب محفوظ" بضم سيرته الذاتية إلى إنتاجه الأدبي المتنوع ثم بتقديم رواية زقاق المدق أنموذجا يراد دراسته.

اتجهت في الفصل الثاني من الباب الثاني إلى دراسة الإطار الزمكان للرواية والشخصيات التي ميزتها، فخصصت فصلا للمكان وآخر للزمان، وفصلا ثالثا للشخصيات.

في الباب الثالث، درست الفضاء الروائي في زقاق المدق، حيث فرضت علي الخطة المتبعة والتي اقترحها علي أستاذي المشرف، أن أبدأ الفصل الأول بتعريف السيميائية بصفتها منهج دراسة حديث، كي أتمكن في الفصل الثاني في تطبيقه على الرواية.

بدأت رسالتي بمقدمة وأنهيتها بخاتمة ضمنتها النتائج التي توصلت إليها خلال بحثي هذا، بالإضافة إلى ملحقين خصصت الأول منه لإفادة القارئ بإنتاج نجيب محفوظ الأدبي والفني، والثاني للصور التي التقطتها أثناء زيارتي إلى القاهرة للوقوف أمام الأماكن التي مثلت أساس أعماله الروائية.

وأرجو أن أوفق في تقديم ما و عدت به في هذه المقدمة على أحسن وجه. والله الموفق.

# الباب الأول:

# نجيب محفوظ أديب الواقع المصري

# الفصل الأول

## نجيب محفوظ من قرمز إلى العجوزة

## 1. المولد والنشأة

ولد نجيب محفوظ عبد العزيز ابراهيم احمد الباشا في حي الجمالية عام 1911" وهو قلب القاهرة القديمة التي بناها جوهر الصقلي في زمن المعز لدين الله الفاطمي:" وبني أحد قادته و هو بدر الجمالي حي الجمالية الذي سمي على اسمه ."[9] في هذا المكان التاريخي، الذي عرف فيه اللعب مع الأطفال من جيله من تنقل عبر قبو قرمز إلى مرافقة أمه إلى الحسين إلى التردد على الكتاب. ويبقى ارتباط الأديب بالقاهرة القديمة و المكان الذي ولد فيه كارتباطه بالحزام السري، خلده في معظم رواياته و لم يفارقه حتى و هو يسكن بعيدا عنه. ولد نجيب محفوظ في ميدان بيت القاضي، في المنطقة نفسها بين القصرين التي أصبحت مسرحا لأعظم أعماله الأدبية الثلاثية."[10]

[9] نجيب محفوظ، وطني مصر. حوارات مع محمد سلماوي، دار الشروق، القاهرة، 1998 ، ص.10.
[10] جمال، الغيطاني،المجالس المحفوظية، دار الشروق، ط.1 .القاهرة،2006 ، ص.283.

لم يكن نجيب محفوظ الولد الوحيد بين إخوانه. فقد ولدت أمه قبله أربعة أولاد وبنتين جاؤوا كلهم متعاقبين ثم توقفت لمدة تسع سنوات عن الولادة ليأتي نجيب. لا يتذكر الطفل من الجو العائلي إلا أمه و أباه لأن معظم إخوانه وأخواته قد سلكوا طريقهم مبكرا قبل بلوغ أديبنا سنا مبكرا: «عندما أرحل بذاكرتي إلى أقصى بدايات العمر، إلى الطفولة الأولى، أتذكر بيتنا في الجمالية شبه خال،أنجب والدي من قبلي ستة أشقاء، جاؤوا كلهم متعاقبين،أربع أولاد وبنتين ثم تتوقف والدتي عن الإنجاب لمدة تسع سنوات. ثم..أجئ أنا، عندما وصلت إلى سن الخامسة كان الفرق بيني وبين أصغر أخ لي خمس عشرة سنة، البنات كلهن تزوجوا تقريبا فيما عدا واحدة لا أذكر أي شيء عن حياتها في البيت، أما شقيقاي فقد تزوجا بالفعل، أحدهما دخل الكلية الحربية وسافر للخدمة في السودان، لهذا .. لا أتذكر في البيت إلا والدي ووالدتي، لا أذكر أن أي إنسان آخر شاركنا البيت إلا الضيوف، عمتي، ابنة عمتي، ناس من الخارج، أغلب حياتي في بيتنا كأني طفل وحيد"[11]

البيت الذي ولد فيه نجيب محفوظ لم يعد موجودا اليوم فقد تحول إلى مقهى لكن المكان الذي عرف فيه ألعاب الصبا لا يزال

[11]الغيطاني جمال، نجيب محفوظ يتذكر، 1980 ، دار المسيرة بيروت ، ص9

كما كان في الماضي، وحتى قبو قرمز الذي كثيرا ما اختبأ فيه لا يزال كما هو إلى اليوم. فلقد سمحت لي فرصة زيارة مصر في شهر ماي 2007 الدخول إلى حي الجمالية و المرور عبر القبو الذي طالما لعب فيه نجيب محفوظ أمام البيت الذي عرف ولادته والذي بني مكانه بيت من ثلاثة طوابق أسفل الطوابق مقهى و هو موازٍ لمركز للشرطة: "أزيل البيت الذي شهد مولد أديبنا الكبير، ومكانه الآن منزل حديث من ثلاثة طوابق، تحته مقهى، أما حارة درب قرمز فلا زالت كما هي، والقبو نفسه موجود، ويمتد تحت أحد المساجد الأثرية"[12]

يمكن أن نلحظ تأثير هذا المكان على الأديب عند اختيار عناوين رواياته و في حديثه عن الحارة و ما كان يدور فيها من صراعات داخلية و خارجية طبعت المرحلة التي كان فيها نجيب طفلا ثم مراهقا ثم شابا فحي الجمالية الذي ولد فيه ثم تردد عليه حتى عندما ابتعد عنه ليسكن في العباسية، ألهمه الكثير في اختيار أسماء الأماكن التي تحدثت عنها رواياته، والشخصيات التي عرفها في الواقع و أدخلها في عالمه الروائي بالإضافة إلى فكرة الحارة التي طبعت معظم أعماله كما يرى الناقد رجاء النقاش أنه:" من حي الجمالية أخذ أسماء كثير من رواياته مثل "خان الخليلي"

[12] الغيطاني جمال، نجيب محفوظ يتذكر، 1980 ، دار المسيرة بيروت ، ص10

1946 و"زقاق المدق" 1947 و"بين القصرين" 1956 و"قصر الشوق" 1957 و"السكرية" 1957. وكل هذه الأسماء هي أسماء الحواري المتلاصقة الطويلة الضيقة الدافئة في حي الحسين.ومن حي "الجمالية"، أخذ نجيب محفوظ فكرة "الحارة" التي أصبحت عنده رمزا للمجتمع والعالم، أي رمزا للحياة والبشر."[13]عندما بلغ سن المراهقة أي في الثانية عشرة من عمره تنقلت عائلة نجيب إلى حي العباسية، لكنه بقي كثير التردد على حي الجمالية. حي العباسية الذي كان يعد آنذاك من الأحياء الراقية مقارنة بالجمالية الذي يعد حيا ضاربا في القدم فهو يعود إلى مرحلة الفاطميين، وقد انتقلت عائلة نجيب التي تنتمي إلى الأسر المصرية المتوسطة:" من حي الجمالية انتقل نجيب محفوظ إلى حي العباسية مع أسرته. وقد انتقل الكثيرون من الجمالية إلى العباسية، فقد كانت العباسية في بدايات هذا القرن امتدادا عمرانيا حديث النشأة للأحياء الشعبية المجاورة. وفي أول الأمر انتقلت إليها الأسر الأرستقراطية التي تمكنت من بناء عدد من القصور، ثم انتقلت إليها الطبقة المتوسطة التي من بينها أسرة نجيب محفوظ"[14]

[13] رجاء النقاش، في حب نجيب محفوظ، دار الشروق، الطبعة الثانية (مزيدة)، 1426ه2006 م. ص18
[14] رجاء النقاش، في حب نجيب محفوظ، دار الشروق، الطبعة الثانية (مزيدة)، 1426ه2006 م. ص19

في العباسية سوف يتعرف نجيب على العديد من الأصدقاء أو ما يطلق عليهم "شلة العباسية" كما سيسكن قرب العديد من الأدباء من أبناء جيله مما ينبئ بمستقبل أدبي مسبق. التقى نجيب محفوظ في العباسية بعدد من زملائه وأبناء جيله وأصدقائه الكثيرين ومنهم "عبد الحميد جودت السحار" و"إحسان عبد القدوس" والدكتور "أدهم رجب" الذي أصبح أستاذا ورئيسا لقسم الطفيليات بكلية طب قصر العيني."[15]

## 2.الدراسة

قبل أن يلتحق بالمدرسة الابتدائية، و كباقي أبناء جيله، دخل الكتاب ليحفظ بعض القرآن ثم سجل بالمدرسة الابتدائية في حي الجمالية قرب حي الحسين المكان التاريخي الذي عرف العديد من الأحداث التاريخية التي مرت بها مصرفي العصر الحديث أعظمها ثورة 1919ضد الانجليز التي عايشها نجيب وهو طفل في المدرسة لكنها بقيت راسخة في ذهنه و أرخ لها في عدة روايات منها الثلاثية: "لا أذكر أبدا أيًا من زملائي في الكتاب، أو في المدرسة الابتدائية التي كانت مواجهة لمسجد الحسين، التي يوجد فيها ساعة أثرية. من هذه المدرسة رأيت المظاهرات، كانت المنطقة دامية، يمكنك القول أن أكبر شيء هز الأمن الطفولي هو

[15]رجاء النقاش، في حب نجيب محفوظ، دار الشروق، الطبعة الثانية (مزيدة)، 1426ه2006 م. ص20

ثورة 1919، "شفنا الانجليز وسمعنا ضرب الرصاص، وشفت الجثث والجرحى في ميدان بيت القاضي، شفت الهجوم على القسم، كيف أنظر إلى طفولتي الآن"[16]

لقد شاهد المشادات بين الانجليز و الشعب المصري مثل أبناء جيله و مثل شخصيات الثلاثية ، من على شرفات المشربيات: "لقد شاهدت من ثقوب مشربيتنا ثورة 1919 و هي تولد...كان عمري في ذلك الوقت سبع سنوات."[17]

في مرحلة الثانوية التحق نجيب محفوظ بمدرسة فؤاد الأول الثانوية، ثم انتسب إلى كلية الآداب قسم الفلسفة بجامعة القاهرة التي تخرج منها عام 1934 م."كان في شبابه طالبا في كلية الآداب فيما بين 1912 و 1934."[18] لكنَه بعد أن سجل رسالة الماجستير بعنوان مفهوم الجمال في الفلسفة الإسلامية، اتجه إلى الأدب تماما وانفصل عن الدراسات الأكاديمية.

في مرحلة الدراسة الجامعية تأثر أديبنا بشخصيتين مصريتين كبيرتين كان لهما الفضل في اتجاهه الفكري الناقد لما تميزت به هاتان الشخصيتان من انفتاح على العالم وصلابة في الموقف وعزم على تغيير الذهنيات المتحجرة في المجتمعات

[16]الغيطاني جمال، نجيب محفوظ يتذكر، 1980 ، دار المسيرة بيروت ، ص15
[17]نجيب محفوظ، وطني مصر. حوارات مع محمد سلماوي، دار الشروق، القاهرة، 1998 ، ص10
[18]رشيد، الذوادي، أحاديث في الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982،ص 29، القاهرة

العربية. عندما اتصل نجيب الطالب بهما صار أكثر من أي وقت مضى من الأدباء المهتمين بالخوض في جزئيات المجتمع المصري من أجل إبرازها في رواياته" وبدأ "نجيب محفوظ" نشاطه الفكري وهو طالب، واتصل بأستاذين كبيرين له، ظل تأثيرهما في شخصيته حتى الآن.الأستاذ الأول هو الشيخ "مصطفى عبد الرازق" أستاذ الفلسفة الإسلامية في كلية الآداب.والأستاذ الثاني هو سلامة موسى الصحفي والمفكر الكبير."[19]

وكما يرى الدكتور رجاء النقاش،فإن نجيب محفوظ هو مزيج بين الأستاذين فمن مصطفى عبد الرازق أحب التراث العربي واللغة العربية، وفهم سماحة الإسلام. ومن الأستاذ سلامة موسى تعلم كيف ينفتح على الحضارات العالمية ويرجع إلى الحضارة الفرعونية. مما جعل الطالب نجيب يترجم كتاب "مصر القديمة" لسلامة موسى الذي نشره له سنة 1932، ثم أصدر رواياته الثلاث الأولى التي تناولت مصر القديمة. "عبث الأقدار" و"رادوبيس" و"كفاح طيبة".[20]

[19]الغيطاني جمال، نجيب محفوظ يتذكر، 1980 ، دار المسيرة بيروت، ص 20
[20]رجاء النقاش، في حب نجيب محفوظ، دار الشروق، الطبعة الثانية (مزيدة)، 1426ه2006 م. ص20

لما انتقل الطفل نجيب إلى العباسية ظل مرتبطا بأصحابه من شلة الجمالية مما جعله في العطل خاصة، يتردد عليهم. أحدهم كان يعمل مع أبيه في دكان بالغورية ساعد نجيب ذو الثانية عشرة سنة في التعرف لأول مرة على حي زقاق المدق: "كان لنا صديق من شلة العباسية توقف عن الدراسة وانتقل للعمل مع والده في دكان منيفاتورة بالغورية، كنا في الإجازة، في العطلة المدرسية، كانت أكثر من أربعة شهور، كان يقول لنا : لا بد أن تجيئوني يوميا، كنا عندئذ نقطع الطريق سيرا على الأقدام، بدءا من ميدان فاروق (ميدان الجيش حاليا) ثم شارع الحسينية، ثم بوابة الفتوح، فشارع المعز، كان لا بد أن نمشي حتى الغورية لأستمتع بالمنطقة، وعندما نصل إليه نبقى معه حتى يغلق الدكان ثم نمضي إلى مكانين كان يفضل الجلوس فيهما، مقهى زقاق المدق، ومقهى الفيشاوي. عرفت زقاق المدق بفضل صاحبنا هذا".[21]

## 3.بداية الاتصال بالعالم الروائي

بدأت ميولات نجيب محفوظ الأدبية تتضح منذ سن مبكر فمنذ مرحلة الابتدائية قرأ إحدى الروايات المترجمة من الانجليزية وراح يعيد كتابتها ويضع اسمه عوض مؤلفها الحقيقي كما يروي

[21]الغيطاني جمال، نجيب محفوظ يتذكر، 1980 ، دار المسيرة بيروت ، ص.18

ذلك بنفسه: "في أحد الأيام رأيت أحد أصدقائي واسمه يحي صقر يقرأ كتابا، رواية بوليسية عنوانها "ابن جونسون"، سألته:ما هذا ؟قال إنه كتاب ممتع جدا...كانت هذه أول رواية قرأتها في حياتي، كان عمري حوالي عشر سنوات، كنت أقرأ روايات "جونسون" على أنها حقائق، ولهذا كنت أكاد أبكي، أو أضحك تبعا لتغير المواقف، من رواية إلى رواية، من بوليسية إلى تاريخية ، سارت قراءاتي، وبدأت التأليف وأنا طالب في المرحلة الابتدائية، ولكنَه تأليف من نوع غريب، كنت أقرأ الرواية وأعيد كتابتها مرة أخرى، بنفس الشخصيات مع تعديلات بسيطة، ثم اكتب على غلاف الكشكول، تأليف "نجيب محفوظ"، وأختار اسما لناشر وهمي." [22]

بعد أن اطلع نجيب محفوظ اطلاعا وافيا على فن الرواية، وقرأ نماذج روائية عربية وأخرى غربية، تأثر بالمدرسة الواقعية وراح يكتب على منوالها. كما أنه كتب في الصحافة، لكنه عرف كيف يفصل بين ميولاته الصحفية وعدم العمل بها كموظف"، ومن القرارات الحاسمة في حياة نجيب محفوظ أنه وضع خطا دقيقا فاصلا بين الأدب والصحافة، فاختار الأدب، ورفض العمل بالصحافة رفضا قاطعا رغم الإغراءات الكثيرة التي قدمتها إليه

[22] عزيزة مريدن، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، ص. 80.

مؤسسات صحفية كبرى ليترك وظيفته الحكومية ويتفرغ للعمل الصحفي. وقد رأى نجيب بحق أن العمل الأدبي إذا ما فقد روح الاستقلال وأصبح مرتبطا بعجلة الإنتاج الصحفي السريع المتلاحق فإنه يتعرض لضرر كبير"[23]. وهذا لم يمنع الأديب من الارتباط بصحيفة الأهرام سنة 1958رغمأن الارتباط كان أدبيا. فمعظم ما كتبه في الجريدة كان مرتبطا بالأعمال الأدبية.

لما كان نجيب محفوظ يتقن الانجليزية والفرنسية استطاع أن يتعرف على العديد من الأدباء الأوروبيين مثل تولستوي ودستويفسكي وتشيكوف وجيمس جويس وكافكا وشكسبير وبرنارد شو مما مكنه من التوجه نحو الرواية الاجتماعية من خلال الروايات التي كتبها مع نهاية الأربعينيات مثل (القاهرة الجديدة) عام 1945م، (خان الخليلي) عام 1946م، (زقاق المدق) عام 1947م، (السراب) عام 1948م، و(بداية ونهاية) عام 1949م، "الثلاثية"."وبعد ثورة يوليو 1952م توقف نجيب محفوظ عن الكتابة لمدة سبع سنوات ثم اخرج إلينا (أولاد حارتنا) في عام 1959م، وبعدها (اللص والكلاب) عام 1961م، ثم (السمان والخريف) عام 1962م، (الطريق) عام 1963م، (الشحاذ) عام 1964م، و(ثرثرة فوق النيل) عام 1965م. ففي هذه المجموعة

[23] رجاء النقاش، في حب نجيب محفوظ، دار الشروق، الطبعة الثانية (مزيدة)، 1426ه2006 ص 25

كان يسجل رؤيته الجديدة للمجتمع وما آل إليه، وكأنه يضع الحلول المناسبة للعديد من قضاياه المستحدثة."[24]

اتسم أدب نجيب محفوظ بتصوير الواقع المصري بكل وعي و دقة في معرفة الأحداث قبل التطرق إليها أدبيا أين يغلب الخيال على النص، خاصة أنه كان قريبا من الصحافة المصرية التي تخبره عن كل صغيرة و كبيرة تقع في مصر. كما أنه استطاع أن يواكب الاتجاهات الأدبية التي عرفها الأدب العالمي من واقعية وغيرها مما جعله مواكبا لعصره معلوماتيا و فنيا:"بدأ نجيب محفوظ حياته الأدبية واعيا لما يمكن أن يقع فيه من تناقض بين أمرين: الأول ضرورة الالتزام بالتعبير عن الواقع الذي يعيش فيه ويسيطر على ذهنه ووجدانه. والثاني : يتصل بالتطور الفني العالمي في ميدان الرواية والقصة، فمع ظهور بوادر الاتجاهات الرمزية منذ سنين في الرواية الأدبية عند كافكا وجيمس جويس وفرجينيا وولف وبروست وغيرهم، حيث نجد أن نجيب محفوظ لم يجد دافعا إلى مجاراة هذا الاتجاه حينذاك -في تلك المرحلة- فقد كانت دواعي البيئة وطبيعة النشأة أقوى لديه من تلك الروافد الخارجية، فآثر أن يتجه إلى الواقعية لتتيح له التعبير عن

[24] فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981، ص7

موضوعه الأساسي وهو مصر، بمشكلاتها الإنسانية والاجتماعية والسياسية والحضارية."[25]

استطاع نجيب محفوظ إذن أن يوفق بين كتابته للمقال والقصة والرواية من دون أن يغفل فنا عن الآخر و:"لكن التجلي التنفيذي لهذه الأسطورة كان في كتابة المقال الذي بدأه سنة 1930 وعمره تسعة عشر عاما، واستمرت عملية الإنتاج حتى سنة 1952، حيث قدم في هذه الفترة ما يقرب من سبعة و أربعين مقالا، وقد تداخلت مرحلة المقال مع مرحلة القصة، حيث كانت بدايتها سنة 1932، ثم تداخلت المرحلتان من زمن الرواية التي كانت بواكيرها سنة 1939."[26]

لقد اختار محفوظ الأسلوب الواقعي في كتاباته الأدبية متأثرا بالكاتبة فرجينيا وولف رغم أن إقباله على هذا الأسلوب جاء متأخرا أي كما يوضحه، بعد أن أصبح هذا الأسلوب منتقدا جدا من قبل الغربيين: "عندما بدأت الكتابة كنت أعلم أنني أكتب بأسلوب أقرأ نعيه بقلم "فرجينيا وولف" ولكن التجربة التي أقدمها كانت في هذا الأسلوب وقد تبين بعد ذلك أنه كانت لي أصالة في

[25]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981، ص8

[26]محمدعبد المطلب، نجيب محفوظ-اسطورة مصر في القرن العشرين، علامات في النقد الأدبي، النادي الادبي الثقافي بجدة، ج51 ،2004 ، ص 129 .

الأسلوب فهي في الاختيار فقط. لقد أخذت الأسلوب الواقعي، وكانت هذه جرأة وربما جاءت نتيجة تفكير مني. ففي هذا الوقت كانت "فرجينيا وولف" تهاجم الأسلوب الواقعي وتدعو للأسلوب النفسي. والمعروف أن أوروبا كانت مكتظة بالواقعية لحد الاختناق. أما أنا فكنت متلهفا على الأسلوب الواقعي الذي لم نكن نعرفه حينذاك."[27]

في جل أعمال محفوظ يطغى عنصر الرمز فالأماكن رموز والشخصيات رموز؛ وفي روايته زقاق المدق يظهر اللجوء إلى الرمز بشكل واضح:"ويمكننا أن نتوقف أمام "زقاق المدق" حيث نرى أن محفوظ قد قصد إلى الرمز في أكثر من موضع."[28]

فقد شملت الرواية مجموعة من الشخصيات ترمز في مجملها إلى نماذج بشرية عرفها الأديب عن قرب أو شاهدها أو سمع عنها من أصدقائه.فقد أشار أحد النقاد إلى أن: "كرشة لا يمثل نفسه، بل إنه رمز لكل ما طرأ على ثورة 1919 والتناظر واضح بين حياته الخاصة والتطورات السياسية بعد تلك الفترة، فكما أنها صمدت على أيدي روادها الأوائل لفترة وجيزة، فهو أيضا كان صامدا، وبعد

[27] يوسف الشاروني : دراسات في الرواية والقصة القصيرة، مكتبة الأنجلو المصرية. الطبعة الأولى، 1967،ص 23-24

[28] فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981، ص15

انتخابات 1925 والتي تلاها أيضا وفاة سعد زغلول، انتهت الثورة فعلا وإن بقيت أملا في النفوس وكما انتهى كرشة عام 1936 كانت الثورة قد انتهت تماما."[29]

## 4.الالتحاق بالوظيفة

تدرج" نجيب محفوظ" في العديد من الوظائف، فعين كاتبا عام 1934 بإدارة الجامعة حتى 1938، حين عمل سكرتيرا لوزير الأوقاف." ثم انتقل إلى وظائف أخرى...،إلى أن عين مستشارا لوزير الثقافة حتى أحيل على التقاعد في نوفمبر عام 1971، بعدها انضم إلى أسرة كتاب جريدة الأهرام".[30]

وحتى في اختيار الوظائف كان لسلامة موسى دور بارز في مساعدة الطالب نجيب فالأستاذ أصبح وزيرا يختار من مساعديه من يرى فيهم الكفاءة في التسيير فمن" بين الوظائف التي شغلها وظيفة سكرتير برلماني لوزير الأوقاف، وكان الذي اختاره لهذه الوظيفة هو أستاذه الأول مصطفى عبد الرازق عندما أصبح وزيرا للأوقاف واستمر نجيب محفوظ يعمل في وزارة الأوقاف، إلى أن انتقل سنة 1955، إلى وزارة الإرشاد القومي، كما كانت

---

[29]سليمان الشطي، الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2004 ، ص 174.

[30] نجيب محفوظ، مجموعة مقالات حول الثقافة والتعليم أعده للنشر فتحي العشري، الدار المصرية اللبنانية، ص4

تسمى في ذلك الوقت، وعندما انقسمت هذه الوزارة إلى وزارة للثقافة ووزارة للإعلام، انتقل نجيب محفوظ إلى وزارة الثقافة وظل فيها حتى نهاية عمله الوظيفي."[31]

## 5.نجيب محفوظ بعد جائزة نوبل

كتب نجيب محفوظ الروايات التاريخية بعد أن استلهم موضوعها من تاريخ مصر الفرعونية القديمة، فألف رواية عبث الأقدار ورادوبيس وكفاح طيبة وفجأة اتجه إلى الروايات الواقعية مستمدا موضوعاتها من البيئة التي يعيش فيها، فكان في هذه المرحلة المكان هو البطل في رواياته من خلال القاهرة الجديدة،"خان الخليلي" و" زقاق الدق" هذه الأخيرة التي ألفها سنة 1947 م . ولأن نجيب محفوظ لم يقرر الزواج في سن مبكرة فإنه ظل وفيا لصداقاته وجلساته في المقاهي مع مجموعة الحرافيش التي انضم إليها "سنة 1943".[32]المجموعة التي كان قد أسسها الممثل أحمد مظهر رفقة الأديب المحامي عادل كامل على ظهر الباخرة"أشيا" سنة 1936 وانضم إليها العديد من الفنانين والأدباء[33]. تمكن نجيب من أن يستوحي الكثير من أفكار رواياته من الأحداث الحقيقية التي كان يستمع إليها من خلال جلساته ضمن

[31]رجاء النقاش، في حب نجيب محفوظ، دار الشروق، الطبعة الثانية (مزيدة)، 1426ه2006 م. ص22
[32]مصطفى، محمد موسى، نجيب محفوظ..نوبل، 2005، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 26
[33]لكثير من التفصيل حول هذا الموضوع ينظر كتابمصطفى، محمد موسى، نجيب محفوظ..نوبل ص 25

مجموعة الحرافيش: " ومن قرارات نجيب محفوظ أيضا أنه لم يتعجل في الزواج وبناء أسرة له، فقد تزوج بعد أن تجاوز الأربعين من عمره: "تزوج سنة 1954 من السيدة عطية الله وله بنتان هما: أم كلثوم وفاطمة."[34]كان دافعه الأساسي في هذا الأمر هو ألا يربك حياته في مراحلها الأولى بمسؤوليات قد تؤدي إلى تعطيله عن إعطاء أدبه ما يحتاج إليه من تفرغ واهتمام .....ظل نجيب محفوظ يتردد أكثر من عشرين سنة على مقهى "عرابي" في حي الجمالية. وظل أكثر من عشر سنوات يتردد على "كازينو الأوبرا"وظل عشر سنوات أخرى يتردد على مقهى ريش "[35]حصل محفوظ على العديد من الجوائز والأوسمة قبل فوزه بجائزة نوبل ."ففاز بجائزة" قوت القلوب الدمرداشية " عن رواية "رادوبيس" وبجائزة"وزارة المعارف" عن رواية" كفاح طيبة" و بجائزة " مجمع اللغة العربية "عن رواية "خان الخليلي. "[36]

رغم أن جائزة نوبل تمنح منذ سنة 1901 إلا أن الأدباء العرب ظلوا مستثنيين أو محرومين منها." وقد سبق أن رشح لها

[34]طه وادي، نجيب محفوظ أمير الرواية العربية، دار المعارف، القاهرة، 2006، ص18.
[35]رجاء النقاش، في حب نجيب محفوظ، دار الشروق، الطبعة الثانية (مزيدة)، 1426ه2006، ص26
[36] نجيب محفوظ، مجموعة مقالات "حول الثقافة والتعليم ". ص5

توفيق الحكيم وطه حسين، لكن باب الفوز لم يفتح، على رغم أهمية تراث كل منهما."[37]

نجيب محفوظ بعد جائزة نوبل، " هو نفسه نجيب محفوظ قبل جائزة نوبل، الشخصية ، الحياة اليومية، المسكن والملبس، النظارات والسماعات، الأوراق والأقلام الأطباء والأدوية ، الزملاء والأصدقاء ."[38]

صحيح أن أشياء اختفت أو تراجعت وأخرى ظهرت أو أضيفت في حياة هذا المؤلف الكبير، مثلما اختفت أو كادت عادة القراءة اليومية فيما عدا الصحف والمجلات.يعتبر نجيب محفوظ أول أديب عربي يفوز بجائزة نوبل سنة 1988مبرغم الأسماء اللامعة التي كانت مرشحة معه وإلا أصبح الوضع غاية في الحرج لمؤسسة نوبل ولنجيب محفوظ نفسه .

ومما يلاحظ من خلال رواياته أنه أولى اهتماما كبيرا بالطبقة الوسطى، تلك الشريحة التي عانت ويلات الحرب والاضطهاد. وقد طبعت هذه الروايات بسمة الحزن، هذا الأخير،الذي لازم أغلب رواياته وفي هذا يقول نجـــيب محفوظ :" إنني لم أتعمد الحزن ، لكنني حزين بالفعل لأنني من جيل

[37]طه وادي، المرجع نفسه، ص30
[38]نجيب محفوظ، مجموعة مقالات "حول الثقافة والتعليم ". ص5

غـلب الحزن عليه ، حتى في لحظات البهجة ، وليس من سعيد بهذا من هذا الجيل إلا غير المبالي من الطبقة العالية من الناس"[39]

أصبح نجيب محفوظ أشهر روائي عربي بعد نيله جائزة نوبل سنة 1988 لكن شهرة الأديب لم تتزامن مع فوزه بهذه الجائزة العالمية بل بدأت مع بداياته الأدبية التي استطاع بفضلها التقرب من المواطن المصري والعربي البسيط رواياته التي نقل الكثير منها إلى التلفزيون مما ساعد حتى من لا يقرؤون الأدب على أن يتعرفوا على هذا الأديب الذي صار عالميا خاصة بعد أن ترجمت معظم أعماله إلى لغات العالم.رغم ما نسب إلى نجيب محفوظ من كونه لم يتناول إلا الإنسان المصري بالدراسة غير أن الأحياء القاهرية التي اعتمدت في معظم أعماله كمكان وزمان و شخوص ما هي إلا مثال مصغر لحارات و مدن عربية تشترك في معظمها في نفس المظهر والمشاكل الإنسانية لما تعرضت له عبر الأزمنة من نكبات وتغيرات طرأت على واقعها: "ويعود هذا الأمر إلى مقدرة نجيب محفوظ في التعبير عن ضمير الإنسان العربي في البيئات الشعبية وإن كان وصفه لهذه الطبقات في القاهرة

[39] وليد نجار، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، منشورات دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، الطبعة الأولى 1985 ص 204.

تحديدا إلا أنها تنسحب في أحاسيس شخصياتها مع ضمير الإنسان العربي في أي مدينة عربية."[40]

ولفوز محفوظ بهذه الجائزة دلالة بالنسبة للأديب نفسه ودلالة بالنسبة للأدب العربي؛ فهي اعتراف بفضل الأديب على الأدباء العرب والعالميين بعد ترجمة أعماله لمعظم لغات العالم. كما أن الجائزة اعتراف بقيمة الرواية العربية التي ظلت إلى فترة غير بعيدة تنعت بأنها غير متأصلة،ونقضت الفكرة السائدة بأن الأدب العربي لم يثبت وجوده إلا في الشعر.

## 6.الوفاة بعد محاولات الاغتيال

بدأت مشاكل نجيب محفوظ مع الإسلاميين في مصر عندما نشرت روايته أولاد حارتنا، وساعتها أفتىأحد الشيوخ وهو عمر عبد الرحمن بجواز قتله لأنه حسب زعمه قد ارتد عن الدين:" إن المرتد إذا لم يستتب يقتل ولو كنا فعلنا ذلك في نجيب محفوظ عندما كتب أولاد حارتنا لتأدب سلمان رشدي."[41]

---

[40]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981.ص7

[41]محمود، فوزي، اعترافات نجيب محفوظ، دار الشباب العربي، القاهرة، ص.95

فكانت محاولة الاغتيال الأولى سنة 1994 والتي باءت بالفشل لسوء تخطيط المنفذين[42]. ثم جاءت المحاولة الثانية والتي كان لها تأثير على صحته.توفي يوم الخميس 31 أوت 2006 بعد أن ناهز الرابعة والتسعين من العمر قضى معظمها في الإبداع الأدبي والصحفي والفكري."أدخل نجيب محفوظ المستشفى يوم 18 يوليو 2006، بعد إصابته بجرح قطعي في منتصف رأسه نتيجة تعثره أثناء ممارسة رياضة المشي في شقته، وهي الإصابة التي تطلّبت إجراء جراحة بسيطة، أُبقي محفوظ على أثرها في المستشفى قرابة الشهر، لكن حالته الصحية كانت تتدهور وتتأرجح بين الاستقرار والخطورة حتى وفاته."[43]

بعد أن صلى عليه المصريون في مسجد الحسين الذي طالما لعب قربه عندما كان صغيرا، وحظي بجنازة عسكرية تليق بالعظماء شارك فيها رئيس الجمهورية ومعاونوه" تُوُفِّيَ نجيب محفوظ في الساعة الثامنة وعشر دقائق صباح الأربعاء 30 أغسطس 2006م عن عمر يناهز الخامسة والتسعين. وقد أعلن البيان الطبي الرسمي أن محفوظ توفي في وحدة العناية المركزة بعدما أصيب بهبوط مفاجئ في ضغط الدم أدى إلى توقف القلب

[42]لمعرفة تفاصيل المحاولة ينظر كتاب مصطفى، محمد موسى، نجيب محفوظ..نوبل ص96-97
[43]نجيب محفوظ - سيرة حياة، مجلة الرواية، **إعداد: محمد أبو المجد**

عن العمل للمرة الثانية صباح يوم وفاته. أُقيمت لنجيب محفوظ جِنازتان يوم الخميس 31 أغسطس 2006م. حيث شُيِّع في الأولى ـ حسب وصيّته ـ من مسجد الإمام الحسين بالقاهرة في جنازة شعبية تمناها لنفسه، والثانية كانت عسكرية رسمية من مسجد آل رشدان بحضور الرئيس حسني مبارك وكبار رجال الدولة والمثقفين."[44]

من أجل دفنه،نقل جثمانه إلى مقبرة "في منطقة المجاورين...المكان الذي يبعد عن المدينة حوالي 30 كيلومتر."[45]

## 7.أدب نجيب محفوظ

نجيب محفوظ مرحلة كاملة في تاريخ الرواية المصرية. كانت الروايات ذات الرداء الفرعوني هي المرحلة الأولى التي عالجها ثم أقبلت المرحلة الثانية مع لقائه المباشر بالواقع المصري المعاصر له. وتظل هذه المرحلة في حياة محفوظ الأدبية أي من "القاهرة الجديدة " إلى "بداية ونهاية" حيث يقول كلمته الأخيرة في المأساة وهي أن النظام الاجتماعي بكامله مهدد بالسقوط حتما وأن التمرد الفردي لا يصنع شيئا ولا بد إذن من الثورة الشاملة.

---

[44]نجيب محفوظ ـ سيرة حياة، مجلة الرواية، **إعداد: محمد أبو المجد**

[45]سلماوي، محمد، نجيب محفوظ المحطة الاخيرة، دار الشروق، القاهرة، 2007 ، ص.101

انحصرت أعماله الفرعونية الأولى في الدعوة إلى التحرر السياسي وانحصرت أعماله التالية السابقة على الثلاثية في الدعوة إلى التحرر الاقتصادي والاجتماعي.

تمتاز أعمال نجيب محفوظ بالتنوع من حيث المواضيع التي تناولها ولذلك يرى الكثير من النقاد أن أعمال محفوظ يمكن تقسيمها إلى مرحلتين:

1. **المرحلة التاريخية**(1939-1944) التي تتضمن رواياته الأولى المستوحاة من تاريخ مصر القديمة: عبث الأقدار 1936 - رادوبيس 1933 - كفاح طيبة 1938.
2. **المرحلة الاجتماعية-الواقعية**: والتي استهلها بروايته القاهرة الجديدة 1939 وختمها بالثلاثية : بين القصرين 1948 - قصر الشوق 1950 - السكرية 1952

كما ضمت هذه المرحلة روايات أخرى كخان الخليلي، زقاق المدق وبداية ونهاية"[46].

يحلو للكثير من النقاد أن يصفوا المرحلة التي كتب فيها نجيب محفوظ روايته زقاق المدق بالواقعية الجديدة وذلك لما تتميز به من نقد للواقع الاجتماعي في مصر بطريقة جديدة:"لأن رواياته تنطلق

[46] التواتي، مصطفى دراسة في روايات نجيب محفوظ الذهنية، الدار التونسية للنشر، تونس 1986، ص: 7

من أرض الواقع، ولكنها جديدة، لم يسبق للروائي أن تناول الروايات التي قبلها بهذه الطريقة الجديدة"[47]

**الأعمال الأدبية لنجيب محفوظ بالاعتماد على التسلسل الزمني[48]**

**1. كتب، رواياته، قصص و مقالات**

* مصر القديمة ـ للكاتب جيمس بيلي ـ (مترجم) ـ 1932م.
* همس الجنون ـ مجموعة قصصية ـ 1938م.
* عبث الأقدار ـ رواية ـ 1939م.
* رادوبيس ـ رواية ـ 1943م.
* كفاح طيبة ـ رواية ـ 1944م.
* القاهرة الجديدة ـ رواية ـ 1945م.
* خان الخليلي ـ رواية ـ 1946م.
* زقاق المدق ـ رواية ـ 1947م.
* السراب ـ رواية ـ 1948م.
* بداية ونهاية ـ رواية ـ 1949م.
* بين القصرين ـ رواية ـ 1956م.
* قصر الشوق ـ رواية ـ 1957م.
* السُكّرية ـ رواية ـ 1957م.
* اللص والكلاب ـ رواية ـ 1961م.
* السمان والخريف ـ رواية ـ 1962م.

[47]فاروق مغربي، روايات ما بعد الثلاثية لنجيب محفوظ، علامات، ج 58، جدة، 2005، ص. 432.
[48]نجيب محفوظ ـ سيرة حياة، مجلة الرواية، إعداد: محمد أبو المجد

* دنيا الله ـ مجموعة قصصية ـ 1962م.

* الطريق ـ رواية ـ 1964م.

* بيت سيئ السمعة ـ مجموعة قصصية ـ 1965م.

* الشحاذ ـ رواية ـ 1965م.

* ثرثرة فوق النيل ـ رواية ـ 1966م.

* ميرامار ـ رواية ـ 1967م.

* أولاد حارتنا ـ رواية ـ 1967م. [1]

* خمارة القط الأسود ـ مجموعة قصصية ـ 1969م.

* تحت المظلة ـ مجموعة قصصية ـ 1969م.

* حكاية بلا بداية ولا نهاية ـ مجموعة قصصية ـ 1971م.

* شهر العسل ـ مجموعة قصصية ـ 1971م.

* المرايا ـ رواية ـ 1972م.

* الحب تحت المطر ـ رواية ـ 1973م.

* الجريمة ـ مجموعة قصصية ـ 1973م.

* الكرنك ـ رواية ـ 1974م.

* حكايات حارتنا ـ رواية ـ 1975م.

* قلب الليل ـ رواية ـ 1975م.

* حضرة المحترم ـ رواية ـ 1975م.

* ملحمة الحرافيش ـ رواية ـ 1977م.

* الحب فوق هضبة الهرم ـ مجموعة قصصية ـ 1979م.

* الشيطان يعظ ـ مجموعة قصصية ـ 1979م.

* عصر الحب ـ رواية ـ 1980م.

* أفراح القبة ـ رواية ـ 1981م.

* ليالي ألف ليلة ـ رواية ـ 1982م.

* رأيت فيما يرى النائم ـ مجموعة قصصية ـ 1982م.

* الباقي من الزمن ساعة ـ رواية ـ 1982م.

* أمام العرش (حوار بين حكام مصر) ـ 1983م.

* رحلة ابن فطومة ـ رواية ـ 1983م.

* التنظيم السري ـ مجموعة قصصية ـ 1984م.

* العائش في الحقيقة ـ رواية ـ 1985م.

* يومَ قُتِل الزعيم ـ رواية ـ 1985م.

* حديث الصباح والمساء ـ رواية ـ 1987م.

* صباح الورد ـ مجموعة قصصية ـ 1987م.

* أهل الهوى ـ مختارات قصصية ـ 1988م. [2]

* قُشتُمر ـ رواية ـ 1989م.

* الفجر الكاذب ـ مجموعة قصصية ـ 1990م.

* حول التحرر والتقدم ـ مقالات ـ 1994م.

* حول الشباب والحرية ـ مقالات ـ 1994م.

* حول العلم والعمل ـ مقالات ـ 1994م.

* أصداء السيرة الذاتية ـ سيرة قصصية ـ 1996م.

* القرار الأخير ـ مجموعة قصصية ـ 1996م.

* وطني مصر ـ رواية ـ 1997م.

* صدى النسيان ـ مجموعة قصصية ـ 1999م.

* فتوة العطوف ـ مجموعة قصصية ـ 2001م.

* أحلام فترة النقاهة ـ مجموعة أقاصيص ـ 2004م.

2.المسرحيات

- يُحيي ويُميت ـ في مجموعة "تحت المظلة".

- التركة ـ في مجموعة "تحت المظلة".

- النجاة ـ في مجموعة "تحت المظلة".

- مشروع للمناقشة المهمة ـ في مجموعة "تحت المظلة".

-المهمة ـ في مجموعة "تحت المظلة".

- الجبل ـ في مجموعة "الشيطان يعظ".

- الشيطان يعظ ـ في مجموعة "الشيطان يعظ".

# الفصل الثاني

# زقاق المدق : رواية الحارة الشعبي

**تمهيد**

الرواية عند نجيب محفوظ ليست مجرد تجميع لشخوص واختيار مكان وزمان من أجل تموقعها. العمل الروائي المحفوظي يرتكز على إبراز المكونات النفسية و الاجتماعية للأفراد الحقيقيين، داخل إطار العمل الروائي، بالاعتماد على نماذج شخوص مشابهة لما عرفه في الواقع:"الرواية لدى نجيب سجل واسع للأصداء النفسية و الاجتماعية و الأنثربولوجية و الجمالية، فهي يمكن أن تقوم بدور الشاهد المعروف، و المشرف السياسي، وخادمة الأطفال...إن الرواية عنده ليست الا تقطيرا للعالم الذي نعيش فيه، و تركيزا له، و هي تلهث خلف أعمق رغبات الإنسان."[49]

## 1.فكرة عامة عن رواية زقاق المدق:

عندما يُسأل أديب من حجم نجيب محفوظ عن أهم رواياته و يكون جوابه بأنها زقاق المدق فهذا دليل على القيمة الفنية و الجمالية لهذا العمل بالإضافة إلى ما تحويه من تعبير بصدق عن الواقع القاهري و المصري و حتى العربي المزري:"

[49]ابو عوف عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، 1991، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص8-9

-أهم رواياتك؟ - زقاق المدق: و فيها قسمات تشترك فيها مع خان الخليلي و هي من أكثر الروايات عمقا في التعبير عن المأساة النابعة من الطبيعة الجغرافية."[50]

تعد رواية زقاق المدق من أشهر ما كتب الأديب العالمي نجيب محفوظ، حتى اعتقد نقاد الفترة التي كتبت فيها الرواية أنه لن يتمكن من كتابة عمل آخر يرتقي إلى هذا الإبداع: " لقد أتى علي وقت ظننت فيه أن "نجيب محفوظ" قد بلغ غايته في زقاق المدق وأنه لن يخطو بعد ذلك خطوة أخرى إلى الأمام ... لأن زقاق المدق كانت تمثل في رأي الظنون أقصى الخطوات الفنية بالنسبة إلى إمكاناته القصصية. ولهذا خيل إلي أن مواهب نجيب محفوظ قد تبلورت هنا وأخذت طابعها النهائي وتوقفت عند شوطها الأخير."[51]

تصنف الرواية في خانة الأدب الواقعي الذي انتشر في القرن التاسع عشر وبرع فيه العديد من الأدباء الفرنسيين مثل قيسطاف فلوبيير وغيره من الأدباء الذين سار على منوالهم الكثير من الكتاب العرب. " تُعدُّ رواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ واحدة من أفضل رواياته القاهرة الجديدة" (1945م)" من

[50] رشيد، الذواوي، أحاديث في الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986 ، ص38.
[51] المعداوي، انور، مقال عن بداية ونهاية، مجلة الرسالة، العدد939، يوليو 1951

الروايات الاجتماعية الواقعية"( )، تلك المرحـلة التي تشمل رواياته "خان الخليلي" (1946م)، و"زقاق المدق" (1947م)، و"بداية ونهاية 1949م[52] "

زقاق المدق حي من الأحياء الشعبية القديمة يسكنه أناس من مختلف الفئات الاجتماعية التي تكون المجتمع المصري، كل واحد له ما يقول عن الزقاق، فمنهم من يحبه مثل عباس الحلو صاحب صالون الحلاقة ، والعم كامل صاحب دكان بسيط والمعلم كرشة صاحب المقهى الوحيد بالمدق ، يأتيها السمار كل ليلة كما يحب الزقاق أيضا السيد رضوان الحسيني وهو بمثابة شيخ المدق، يأتيه السكان ليستفسروا عن قضايا دينهم . وهذا الدكتور بوشي يلجأ إليه سكان المدق عند الحاجة ( نزع أسنان أو تركيب طقم جديد ) فهو بمثابة جراح أسنان ، رغم أنه لم يدرس الطب وإنما اكتسب خبرته من المعالجة الميدانية. لولا أنه ارتكب رفقة زيطة – شاب أسود يقوم بتركيب العاهات الاصطناعية لمن يروم دخول عالم الشحاذة – جريمة نبش قبر أحد الأموات ، فخلعوا له طقم أسنان إلا أنهم فوجئوا برجال الأمن ، وكان مآلهما السجن فحزن كثيـرا سكـــان الحي لهذه الجريمة النكراء .

[52]حسين علي محمد، الشخصية الإسلامية في رواية «زقاق المدق» لنجيب محفوظ، 2010، ص1
vb.arabsgate.com/showthread.php?t=508530

أما حميدة، فهي فتاة لا تعرف لها أما ولا أبا، تبنتها سيدة تعــرف بـــــأم حميدة. تستأجران شقة عند السيدة سنية عفيفي التي أرادت أن تبحث لها عن عريس لأن هذه الأخيرة كانت خاطبة الحي وناقلة لأخبار السوء. حميدة كانت تمقت" زقاق المدق" وساكنيه وترى أنهم أناس أغبياء، لا يعرفون عن حياة التحضر والبذخ شيئا. كما تمقت الزقاق بالقــدر الــذي كان يكرهه حسين كرشة ابن صاحب المقهى وأخ حميدة بالرضاعة. حسين كرشة الذي كان يعمل بالجيش الإنجليزي المتواجد بمصر آنذاك هروبا من حياة الزقاق البائسة. لكنه سرعان ما استغنوا عن خدماته وعاد رفقة زوجته وأخيها عبده، ليسكنوا الزقاق فغضب عليــه أبــوه المعلم كـرشة غضـــبا لا يوصف، وأصبح حسين من يومها صاحب كأس لا يفارقها.

حميدة، البنت الشقية التي كانت تأمل في حياة أفضل غير حياة الزقاق. خطبها عباس الحلو وسافر للعمل في الجيش الإنجليزي لكي يجمع المال ويعود لها، لكن آماله خابت فحين رجع وجد حميدة قد شقت طريقا آخر محفوفا بالمخاطر. هربت من الزقاق رفقة شاب يسكن الأحياء الراقية خدعها بالمال، ورمى بها فريسة بين أيدي الجنود الإنجليز فغدت عربيدة عاهرة غير عابئة

بما يجري من حولها. كما تمناها السيد سليم – وهو صاحب وكالة بالمدق – أن تكون زوجته رغم أنه متزوج، وأب لثلاثة أولاد كلهم يحتلـون مراكز حساسـة. لكـن المرض نغص عيشه فغدا لا يفكر إلا في الموت. و :" رغم أن الرواية تكاد تتركز على متابعة الوجدان الداخلي لحميدة في تمردها على الزقاق وتطلعها إلى حياة أرحب و أفسح، إلا أنها تتعمق كذلك المشاعر الداخلية لكثير من الشخصيات الأخرى بل تنجح في بناء أكثر من نمط اجتماعي متكامل."[53]

ومن هذه الشخصيات نجد الشيخ درويش الذي لا ينطق إلا بالحكمة، كان على سالف عهده أستـاذ اللغة الإنجليزية لكنه ترك عمله وهجر أهلـــه، وزهـد في الدنيا وأصبح شاردا تائها، حتى لقبـه سكان الزقـاق بولي من أولياء الله الصالحيـن يتحاشـــون غضبه ويكنون له كل المودة والمحبة وكذا الاحترام.

في الجانب الآخر تطالعنا شخصية المعلمة حسنيه الفرانة زوجة جعده الفران، وصاحبة الأمر والنهي وإلا فالـويل لزوجها من ضرباتـها القويـة غير عابئة بسكان الزقاق، طالبين منها العفو والرحمة .

[53]العالم، محمود أمين، من عبث الأقدار إلى السراب، عن كتاب تأملات في عالم نجيب محفوظ، 1970 ، ص35.

عباس الحلو الذي لم يستطـع أن ينسى حميـدة والحالـة التي آلت إليها ، أصبح لا يفكر إلا في الانتقام . لم يكـن من السهـل عليـه أن ينسى ويسلم بالواقع. وبينما كانت حميدة في حانة مع الجنود، رماها الحلو بزجاجة خمر فأصابها، حين ذاك انهال عليه الجنود بالضرب المبرح حتى أردوه قتيـلا. "ورغم أن نجيب محفوظ قد قدَّم في هذه الرواية عدداً كبيراً من الشخصيات يحتاج للإحاطة والإشارة إليه جهد نقدي مواز "[54] إلا أن البحث الذي نرومه لا يقتصر على الوقوف عند كل شخصية بعينها بل إلى إظهار علاقة المكان بالزمان وبالشخوص بالاعتماد على المنهج السيميائي.

هذا ببساطة شديدة ، وبطريقة موجزة ما حوته رواية" زقاق المدق " التي أراد من خلالها "نجيب محفوظ" أن يعرفنا بجوانب عديدة عن حياة أناس بسطاء يسكنون أزقة المدق:" فالزقاق رغم ضيقه، ورغم ما يمتلئ به من فقر وعوز، إلا أنه هادئ محدود الرذائل. ثم لا يلبث العالم الكبير أن يقبل عليه في أشكال متنوعة، مرة عن طريق الأورنس الانجليزي كقوة جاذبة تغري بالكسب، و مرة أخرى عن طريق الانتخابات التي يأتي

[54] حسين علي محمد، الشخصية الإسلامية في رواية «زقاق المدق» لنجيب محفوظ، 2010 ص1.
- vb.arabsgate.com/showthread.php?t=508530

معها القواد فرج ابراهيم الذي يقود حميدة إلى عالم الرذيلة."[55]

الرواية في مجملها عبارة عن مجموعة من الأحداث تدور بالزقاق و يشترك فيها معظم سكانه. يسردها نجيب محفوظ بطريقته الخاصة. وما المدق إلا ذلك العالم المصغر الذي عبَــر من ورائـــه الأديب عن فئة تمثل أكبر شرائح مصر والعالم ألا وهي فئة البسطاء. "في هذه الحالة تشخصُ الرواية النموذجي من الأحداث والشخوص والمكان والزّمان، ذلك أنّ السّارد ينتقي من واقع الحياة أكثر الأحداث في علاقتها بالشخوص والمكان والزمان، اختزالاً لحياة النّاس بأفراحها وأحزانها وبطولاتها وتناقضاتها، وهي أفعال لا تؤدّيها إلا شخصيات غير عادية تدنو- ما أمكن- من البطولة وقادرة على إقناع المتلقي بقدرتها على تجسيد هذا الفعل النموذجي ولهذا النّوع من التشخيص كتّابه المشهورون: نجيب محفوظ، حنا مينه، عبد الرحمن منيف، وغيرهم كثير."[56]

وتصور رواية" زقاق المدق" بدقة وتميز واقع المجتمع المصري أثنـاء الاستعمار البريطاني في أحد الأحياء الشعبية العتيقة وأبطال هذه الرواية هم أشخاص متذبذبون في الصميم. لقد

[55]العالم، محمود امين، من عبث الأقدار إلى السراب، عن كتاب تاملات في عالم نجيب محفوظ، 1970 ، ص.35-36

[56]محمد الباردي، انشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص.20

صَور الروائي "نجيب محفوظ" مأساة المجتمع المصري في أوسـع معانيها وبأدق أمانة ممكنة. ولقد تأتَى له ذلك حينما كتب بالأسلوب الواقعي، بعدما تأثر بالواقعيـة الغربية وبالقالب القصصي للأدب الأوربي. فأحـَس برغبة عظيمة للكتابة بهذا الأسلوب، وكتب روايات كثيـرة تحدَث فيها عـن هموم الطبقة الوسطى، ومشاكلها أثناء الحرب العالمية الثانية وقُبيل انتهائها . حميدة مثلا لا تمتلك التفكير المتأني الذي تتمكن بواسطته من التمييز بين ما هو جائز وما هو عكس ذلك. والسمة الغالبة على أغلب الشخصيات، هـــو الجري وراء بريق المادة في حين أن وضعهم الاجتماعي كان يتطلب عكـــس ذلك.

الهدف من وراء الرواية هو إظهار مخلفـــــات الحرب العالميـة الثانية على حياة المصريين البسطاء. آثر"نجيب محفوظ"أن يجعل الزقاق هو المتأثر بذلك، لأن مثل هـــذه الأحياء الشعبية يسلم أهلها بالسذاجة والانغماس في ملذات الحيـاة فيغيـــب عنهم الوعي بالقضايا الجوهرية. و الرواية كما يعرفها نجيب محفوظ: "فيها قسمات تشترك فيها مع خان الخليلي و هي

من أكثر الروايات عمقا في التعبير عن المأساة النابعة من الطبيعة الجغرافية."[57]

وحسب رأي الدكتور غالي شكري: " يرى "نجيب محفوظ" في روايته "زقاق المدق" أن الأزمة العالمية في جوهرها هي أزمة أخلاق، ذلك أن المطامع ليست إلا شهوات رخيصة تتأجج في صدور قادة العالم... والفنان بذلك يشير إلى مأساة الإنسانية في الحربين العالميتين. وهي نفس نقطة الانطلاق التي بدأ منها "نجيب محفوظ" في روايته "زقاق المدق".[58]

أما نهاية الرواية فهي نهاية شيقة ومفاجئة، ذلك أن كل من يقرأ الرواية يعتقد أن النهاية ستكون لصالح عباس الحلو، لأنه رجل طيب دمث الأخلاق لكن ما حدث كان العكس حيث مات الحلو تحت أقدام الجنود الانجليز ونجت حميدة من ذلك كله بأعجوبة."ونجيب محفوظ"من خلال هذا أراد أن يقول بأن الناس الطيبين يسترهم التراب، في حين أن المجرمين يستمرون في العيش تحت وطأة الخزي والعار. فقد قتل الحلو و نجت حميدة بأعجوبة ثم نقلت إلى المستشفى بين الحياة و الموت."جاءت الشرطة بعد نفاذ القضاء و ضربوا حول الحانة

[57] رشيد الذوادي، احاديث في الادب، 1982 ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص.38.
[58] معنى المأساة في الرواية العربية- 1الجزء الاول، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت،1980، ص. 43 غالي شكري،

حصارا. وما عسى أن يفيد الحصار؟ و حملوا جثته إلى قصر العيني. و نقلوا العاهرة (حميدة) إلى الاسعاف. فسأل المعلم باهتمام:

– وهل قتلت؟...

فأجاب الشاب و الحقد يأكل رأسه:

-لا أظن... لا أظن الضربة كانت قاتلة؟ ضاع الفتى هدرا."[59]

وختم "نجيب محفوظ"، أحداث روايته بالحديث عن عودة "رضـــوان الحسيني"من البقاع المقدسة، واستعداد الزقاق لاستقباله. ولعلها نهاية رمزية يهدف الكاتب من ورائها، إلى تجديد الأمل فهي ترمز إلى اقتراب انتهاء مأســاة الشعب المصري وجلاء القوى الاستعمارية.

## 2.تجليات الفضاء في الرواية :

جعل نجيب محفوظ من الزقاق مقدمة وممهدا لروايته، إذ صــوره وهو يعج بالحياة ويزخر بصور واقعية متعددة ، ففي المقهى ، والوكالـــــة، وصالون الحلاقة، ودكان بائع البسبوسة ، ومخبزة جعده ، بالإضافـــة إلى سكن الشخصيات ، إذ نلمس من خلال وصف الكاتب للمكان البيئة الشعبيــة والطبقة الوسطى في

[59]نجيب محفوظ ، زقاق المدق ص 311 .

القاهرة ، التي استهوت الكاتب وساعدت في الكشـــف عن أفكار أهل الحارة وأرائهم وأهوائهم فقد عمد الكاتب من خلال الرواية، إلى ذكر مظاهر الحياة الخارجيـــة للزقاق من مقهى، ومنازل، وأثاث، وأدوات، وملابس، وطريقة الكلام ، ليكشف عن حياة الشخصية النفيسة ومزاجها ، وطبعها . فجاء المكـــان في الرواية متمما للشخصية مساهما في سبر أغوارها، والكشف عـــن آرائـــها ونفسياتها وأفكارها، مساهما أيضا في تطـــوير الحدث مـــن موقـــع لآخر . أوَل ما ذكره نجيب محفوظ في روايته هذه هو تقديم الزقاق للقارئ:"زقاق المدق"هو هذا المقطع:"تنطق شواهد كثيرة بأن زقاق المدق كان من تحف العهود الغابرة وأنه تألق يوما في تاريخ القاهرة المعزية كالكوكب الدري أي قاهرة أعني؟...الفاطمية؟...المماليك؟ السلاطين؟ علم ذلك عند الله وعند علماء الآثار، ولكنه على أية حال أثر، وأثر نفيس. كيف لا وطريقه المبلط بصفائح الحجارة ينحدر مباشرة إلى الصنادقية، تلك العطفة التاريخية، وقهوته المعروفة بقهوة كرشة تزدان جدرانها بتهاويل الأرابيسك، هذا إلى قدم باد، وتهدم وتخلخل، وروائح قوية من طب الزمان القديم الذي صار مع مرور الزمن عطارة اليوم والغد..."[60]

[60]نجيب محفوظ، زقاق المدق ص1.

ومما يلاحظ في الرواية ، تأكيـد الكاتـب على المكـان الواحـد أي الزقاق بكل معالمه ولا يخرج عنه إلا قليلا ولعل تركيزه على المكان الواحد يعود إلى أن معظم شخصيات الرواية " زقاق المدق " ، فقدت القـدرة على الحركة وانشغلت بقضايا ناجمة عن سوء أحوال بيئتها، ثم إن وحدة المكان ، أثرت على الحدث وســاعدت في الكشف عن مواقــف الشــخوص وذلك بربطها بالأوضاع السائدة فكان أن ثار على المكان شخصان: هما حسين كرشة، وحميدة أختــه بالرضاعة تطلعا لحياة جديدة إلا أن حسين كرشـــة يعود إلى الزقاق بانتهاء الحرب ، أما حميدة فقد غادرته إلى نهاية الرواية ومن خلال استخدام "نجيب محفوظ " لوحدة المكان في الرواية ، فإننا نتعرف على الشخصية في الداخل من خلال هــذا الحي ، الثابت ، المغلــق المكان الذي يتيح الفرصة للصراعــات أن تنشأ وتتفاقم ويحتمل أن تنتهــي دون أن يهرب أحد ولكن هل انتهى صراع حميدة داخل الزقاق أم خارجــه؟

إن حميدة اختارت الأماكن المفتوحة التي وجدت فيها أشياء تتوق نفسها لرؤيتها ولم تجد لها في الزقاق أثرا. وبخروج حمــيدة يتخذ " بناء المكــان مسارا آخر من الناحية الخارجية وهو إطار

خارجي لكنه نابع من الفلسفـــة العميقة للرواية، ويقوم هذا الإطار أساسا على التقابل والصدام بين الزقــاق المحدود وبين العالم الكبير غير المحدود، ومن هذا التقابل والصدام تتحرك مأساة الرواية "[61]

ومن الأماكن التي ألفنا ذكرها داخل الزقاق، مقهى المعلم كرشة وهـــو الوحيد في الحي، عبارة عن "حجرة مربعة الشكل في حكم الباليـــة، ولكنها على عفائها تزدان جدرانها بالأرابيسك . يؤمها السمار كل ليلة للحديث عن قضايا تهمهم. ولاستخدام المقهى في روايات " محفوظ " مغزاه إذ يقــول: " أنا أعتبر القهوة معرضا، ليس عندنا صالونات أدبيـــة بالمعنى المفهـــوم المقهى، تجمُع لكل أنماط البشر. القهوة لعبت دورا في الأدب والسياســـة، أغلـــب مظاهرات سنة 1919 كانت تدَبر في المقاهي."[62]

كما نجد في الزقاق صالون الحلو، وهو " دكان صغير يعـد في الزقاق أنيقا ذو مرآة ومقعد "[63]، أضف إلى ذلك وكالة سليم علوان وهي مثار ضجيج لا ينقطـــع في الزقـاق طول النهار،

---

[61]محمود أمين العالم تأملات في عالم نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1970 ، ص 41

[62]نجيب محفوظ ، زقاق المدق ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ص 1989 ص 8.

[63]نجيب محفوظ ، زقاق المدق ص 8 .

يتميز عمالها بالنشاط الدءوب والحرص على كسب الربح الوفير. هذا الأخير الذي تضاعف وازداد نتيجة ظروف الحرب .

كما نجد من أمكنة النص، مخبزة أو فرن جعده وزوجته حسنية الفرانة وهو " بناء مربع على وجه التقريب غير منتظم الأضلاع وتكاد الظلمة تطبق على المكان ليل نهار لولا الضوء المنبعث من فوهة الفرن. "[64] وبجانب الفرن تقع خرابة زيطة التي يحفها السواد من كل جانب. وهناك من المنازل منزل " سنية عفيفي " ويمثل توسط الحال."[65]، ثم منزل أم حميدة الذي ينم عن بساطة ساكنيه وعوزهم. كما يطالعنا خارج الزقاق ، منزلا " فرج ابرهيم " و " سليم علوان " اللذان يمثلان الفخامة والأناقة الرفيعة . كما نجد منزل السيد " رضوان الحسيني " من داخل الزقاق الذي يمثل الورع والتقوى والبساطة نسبة إلى صاحبه.

فالمكان الرئيسي هو الزقاق، إذ تلتقي فيه الكثير من المتناقضات والأناس المختلفي الأهواء ، إلا أن " نجيب محفوظ " يجمع بين البيئة الثابتة والبيئة الطارئة في حياة حميدة مبينا أثر الاستعمار الإنجليزي في تغيير حياة بعض أهل الزقاق من أمثال

---

[64] ايفلين فريد جورج يارد ، نجيب محفوظ والقصة القصيرة تحت إشراف الدكتور هنري عويط ، الطبعة الأولى 1988 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ص 218 .

[65] عبد المالك مرتاض ، تحليل الخطاب السردي ( د . م ج ) ص 247 .

حسين كرشــة وحتى عباس الحلو، كشربهم الخمر، وذهاب الحلو للعمل في معسكرات الجيش البريطاني ليعود موسرا والأمــل يحدوه للزواج من حميدة، إلا أن القدر لم يكن في صفـــه فحدث أن تغيرت الأحداث جميعا.

ولقـد ظهرت الأماكن المفتوحــة في الروايـــة وهي تعج بحياة شخصياتها وخير مثال على هذه الأماكن، شارع شريف باشا وهــو من الأحياء المتطــورة والسكنات الراقية وبهذا الشارع تواجد بيت فرج إبراهيم، أضف إلى هذا المكان فقد وجدنا حي الأزهر، وحي الغورية، وحــي الحلمية، وحي النحاسين، والصنادقية، والجمالية، والموسكي هذا الأخير الذي ذكر من خلال ذهاب حميدة للقاء صويحباتها. ومن خلال ارتياد "حسين كرشـة " لأماكـــن تناول الخمر ذكر المؤلف حانتين: حانة فنش، وحانة فيتا ذاك " أن الحانــات من الأماكــن الدائمـــة الثابتة في قصص "نجيب محفوظ " وهي أماكن اجتماعية مفتوحة."[66].

كما ذكر المقبـــرة بالعمل الدنيء الذي قـــام بـــه بوشـــي وزيطـــة. ونتيجـة لظروف الحرب ذكـر " نجيب محفوظ " التل الكبير أو الأورنس، الذي كان يشتغل فيــه عباس الحلو ومن قبلــه

[66]ايفلين فريد جورج يارد ، نجيب محفوظ والقصة القصيرة تحت إشراف الدكتور هنري عويط . ص 239

حسين كرشــة وذلك لتسويـــة أوضاعهما السيئة في الزقاق ومما يلاحظ في الروايـة غياب الحيز الطبيعي مثل الأنهار، والحقــول، والأشجــار، والغابات، عدا ذكر أشعـــة شمس الغروب التي افتتح بها الكاتب نصـــه وذلك باعتبار النص لا يخـــرج إلى حياة المدنية وصخبها وبناياتها .

ونستنتج من خلال هذا التقديم أن " نجيب محفوظ " قد نجح في اختيار المكان " زقاق المدق " مسرحا لأحداث روايتـــه، إنه لم يأت به عبثا دون أن يكون له أثره العظيم، فاختاره لهذا الحي لم يكن يصبو من ورائــه تبيان مخلفات الحرب على أبناء الزقاق فقط، بل أراد مــن خلالـــه أن يعكس لنا مدينة القاهرة كلها، ولم يكن الزقاق إلا وحدة صغرى من مدينة ضخمة .

تقدم رواية " زقاق المدق " عالما ضيقا بكل تناقضاته ليس في " جانبه الحديث فقط، بل في بعض جوانبه التقليديـــة أيضا. "هو المدينـــة والفئات الاجتماعية تنقسم إلى قسمين : فئات لها علاقة بالسلطة وبصناعــة السلطــة وفئات مهمشــة وتعيش خارج دائـــرة الوعي والتناقضات، هــي تناقضات الخيارات المصريـــة التي تصاغ داخــل أحشاء هــذا الشارع المتقادم فكــما تلخص

العائلة الصغرى لهــذا الحي فإن هـــذا الأخير يلخص مصر بكــل مشاكلها"[67] .

و كما يرى بعض النقاد فانه يمكننا ملاحظة ثنائية الروح و المادة من خلال التباين بين الشخوص المقدمة في الرواية: "في رواية زقاق المدق، هناك اشكالية بشرية تنقسم بشكل ثنائي، هناك فصيل من البشر يعيش بالمادة وفصيل أخر يعيش بالروح وتلتقي شخصية " حميدة " التي تتفجر حيوية وهي العاهرة بالفطرة والسليقة وقد اختفى أبوها من حياتها منذ البداية وحميدة عندها طموحا شرها يشكل كل كيانها إلى كل الملذات الجسدية."[68]

و كثيرا ما شبهت حميدة في نهجها للدعارة بشخصية محمود عبد الدايم في القاهرة الجديدة لنجيب محفوظ لأن كلا الشخصيتين أرادتا تحقيق مأربهما عن طريق الرذيلة: "وإن سَر مأساة حميدة هي رغبتها في تحقيق عالمها الموضوعي بإمكانياتها الذاتية وهذا هو سبب اللوثة في حميدة وهي نفس اللوثة في شخصية " محجوب عبد الدايم " في رواية ( القاهرة الجديدة )

[67] ينظر الذاكرة المفقودة ، إلياس الخوري ، مؤسسة للأبحاث، العربية، الطبعة الأولى 1982 ، ص 36 .
[68] علاء هاشم مناف، التشبيه الوظيفي في الثنائية السردية لروايتي(زقاق المدق والرجع البعيد، الحوار المتمدن، 2008

وشخصية حميدة هي شبيهة بشخصية محجوب وقد حققا هذه الرغبة عن طريق الدعارة"[69]

**3.المحاور الأساسية في الرواية**

تتناول رواية زقاق المدق بشكل أساسي قضية الفقر، في أحد أحياء القاهرة القديمة. يعالج نجيب محفوظ أحداث الرواية ويصورها بشكل واقعي حيث نتبين في الرواية الفارق بين العالم التقليدي والعالم الجديد في مصر منذ الأربعينيات فنجيب محفوظ من خلال روايته زقاق المدق يعيد بشكل ما تجسيد ثنائية الشرق / الغرب والهوة بينهما.

تدور أحداث الرواية في مكان صغير الحجم يقع في منطقة الحسين ويتكون من منزلين، كل منزل يتكون من ثلاث شقق ويوجد بالزقاق كذلك خمسة دكاكين ذات أحجام وأنشطة تجارية مختلفة. الزقاق يسوده في الداخل الظلام وله مخرج واحد على شارع الصناديقية والزقاق مكان يتميز بالانعزال"مع أن هذا الزقاق يعيش في شبه عزلة عما يحدق به من مآرب الدنيا، إلا أنه على ذلك يضج بحياته الخاصة، حياة تتصل في أعماقها بجذور

[69] علاء هاشم مناف، التشبيه الوظيفي في الثنائية السردية لروايتي(زقاق المدق والرجع البعيد، الحوار المتمدن، 2008

الحياة الشاملة، وتحتفظ – إلى ذلك – بقدر من أسرار العالم المنطوي"[70].

يعالج نجيب محفوظ في الرواية موضوعا أساسيا وهو التقابل بين ما يمكن تسميته بعالم زقاق المدق والعالم الواقع فيما وراء الزقاق ويصور نجيب محفوظ بشكل بارع علاقة ساكني الزقاق بهذا المكان الذي يتميز بالانعزال يمدنا نجيب محفوظ بطوبوغرافيا اجتماعية لروايته حيث نجد في قمة السلم الاجتماعي شخصية "سليم علوان" والذي يسكن خارج الزقاق، بحي الحلمية حيث اشترى فيلا هناك بعدما سكن طويلا بحي الجمالية، لكنه يملك بالزقاق وكالة أين يعمل وهو عطار يعمل بالجملة وبالتجزئة وقد حقق أرباحا وفيرة من خلال بيعه للشاي بالسوق السوداء. أما عن حياته الشخصية فهو متزوج من عائلة نبيلة ولديه ثلاثة أبناء متحصلين على شهادات جامعية ويعملون بوظائف مختلفة، سليم علوان ينتمي إلى طبقة اجتماعية تعرف بالأفندية أو البورجوازية الصغيرة. وفي المرتبة الثانية من السلم الاجتماعي نجد الأرملة "سنية عفيفي" التي تنتمي إلى الشريحة الوسطى من البورجوازية

[70] نجيب محفوظ ، زقاق المدق طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر 1989 ص1.

الصغيرة بخلاف سليم علوان الذي ينتمي إلى الشريحة العليا من هذه الطبقة. وسنية عفيفي تملك أحد المنزلين بزقاق المدق حيث تسكن في الدور العلوي من منزلها وتملك أيضا أراضي ومحلين في منطقة الحمزاوي وتزوجت للمرة الثانية من موظف حكومي نتيجة المال المتراكم لديها أما في المرتبة الموالية لمرتبة "سنية عفيفي" تأتي شخصية "رضوان الحسيني" والذي يمتلك المنزل الثاني بزقاق المدق وعدة أفدنة في أماكن أخرى، وهو إنسان قانع يوصف بالعدل في معاملاته مع ساكني مسكنه. والشيخ "رضوان الحسيني" رجل دين فشل في دراسته "بالأزهر الشريف" ولحقت به مآسي زادت من شدة إيمانه بالله وحبه للإنسانية. أما باقي سكان زقاق المدق فيأتون في السلم التراتبي الأدنى من طبقة الشخصيات الثلاث المذكورة.وهذه شخصية المعلم كرشة الذي يملك أحد مقاهي الزقاق، يوصف بأنه إنسان يبذر ماله على الحشيش وميوله الجنسية الغير سوية أي معاشرته للغلمان، وقد انتقل ابنه "حسين كرشة" للعمل بالجيش البريطاني بعد ما كان يعمل بدكان إصلاح العجلات وقد تضاعف أجره غير أن إسرافه الذي ورثه عن أبيه لم يمكنه من ارتقاء السلم الاجتماعي، وتسكن عائلة المعلم كرشة بشقة تقع فوق طابق الشيخ "رضوان الحسيني". أما خاطبة الحي

"أم حميدة" فتسكن مع ربيبتها "حميدة" في المسكن الذي يقع تحت طابق سنية عفيفي. ويشترك في المسكن الذي يقع في الطابق الأول من بيت "رضوان الحسيني" كل من "عم كامل" بائع البسبوسة و"عباس الحلو" هذا الأخير الذي يملك دكان حلاق في زقاق المدق. وقد تمكن" عباس الحلو" من ادخار بعض المال من خلال عمله بدكان الحلاقة غير أن تطلعه للزواج من حميدة المشتهية لمال وتحت تأثير صديقه "حسين كرشة " باع "عباس الحلو" دكانه بالزقاق والتحق بمعسكر الجيش البريطاني للعمل وجمع الأموال. وفيما يلي هذه الشخصيات نجد : "جعدة " و"حسنية " اللذان يمتلكان المخبز وينامان فيه. أما في أسفل التراتبية الاجتماعية نجد الدكتور " بوشي " والذي يمتهن مهنة طب الأسنان بدون أي دراسة أو علم بهذا الاختصاص وهذه الشخصية نجدها تسكن أسفل بيت سنية عفيفي. وأخيرا نجد شخصية " زيطة " صانع العاهات والذي يسكن في خرابة يستأجرها من "حسنية " الخبازة. ونستطيع من خلال اختيار" نجيب محفوظ " لأسماء شخصياته في رواية "زقاق المدق " –سواء كانت ساكنة بزقاق المدق أو خارجه أن نستنتج المكانة الاجتماعية لكل شخصية حيث نجد الكاتب يقول على لسان " " "فرج إبراهيم " حين يدفع بحميدة

إلى تغيير أشياء كثيرة تربطها بالزقاق وأهله بدءا باسمها – ليس الاسم يا محبوبتي بالشيء التافه لا يقام له وزن، هو بالأحرى كل شيء، وما الدنيا –لو تعلمين- إلا أسماء" وعليه فإن المتمعن في رواية "زقاق المدق " وهو يقرأها يمكنه استنباط إضافة إلى المكانة الاجتماعية لكل شخصية كذلك السمات التي تميزها عن بعضها البعض وذلك من خلال أسمائها. فنجد "نجيب محفوظ" يختار بعناية فائقة اسمي : "علوان" و "سنية" لتناسبهما مع الوظيفة السامية للشخصين في الرواية. ونجد اسم " جعدة " وهو ناتج عن طبيعة عمل الشخصية في الرواية كخباز والاسم عبارة عن تجعيدة وهذه الأخيرة موجودة في وجه هذه الشخصية وهي ناتجة عن الضرب الذي تكيله له زوجته. ونجد اسم الدكتور بوشي والذي اتخذ حرفته من الشارع فالاسم مشتق من كلمة أوباش، والأوباش في اللغة العربية تعني حثالة المجتمع، فحين يشتق اسم شخصية "زيطة" من الجلبة والضوضاء وهو كذلك في الرواية فصوته دائم الارتفاع وقد يشتق الاسم كذلك من زطيط الذباب أي طنين الذباب واختيارات "نجيب محفوظ" لأسماء شخصياته كانت دقيقة، ملائمة لكل شخصية وطبيعة عملها، فاختياره لاسم زيطة مثلا له أكبر دلالة حين نتبين من خلال النص الروائي أن والديه

كانا يعملان في الشحاذة وأن الابن لا محالة يكون قد تربى وسط الذباب وطنينه والأوساخ والقاذورات.

نأتي إلى شخصيتين لا تعيشان ولا تعملان في زقاق المدق ولكن زارت المكان، فنجد شخصية : "إبراهيم فرحات" وهو المرشح البرلماني الذي يجلب الفرح كما يشير اسمه من خلال حملته الانتخابية، ثم نجد شخصية" فرج إبراهيم" القواد المحترف والذي يجلب الفرج لحميدة كما يشير اسمه أيضا حين تلقاه في إحدى التجمعات الاحتفالية المصادفة للحملة الانتخابية التي يقودها إبراهيم فرحات. إن شخصية حميدة التي سئمت العيش في زقاق المدق ترى في "فرج إبراهيم" حياتها وسعادتها والذي سينتقل بها من حياة هذا الزقاق المظلم، السرمدي إلى حياة تراها أفضل وأنسب لها. و يبدو من خلال قراءة الرواية أن أحداثها تجري في فصل الشتاء حيث نجد إحالات عديدة إلى فصل الشتاء مثلا يقول نجيب محفوظ:" وأغلق البيتان في الصدر نوافذهما اتقاء البرد"[71] كما نجد الشيخ درويش يحذر عباس حين يقول له:" احذر أن تعري رأسك في مثل هذا الجو "[72] وفي الرواية أيضا نجد قول نجيب محفوظ حين وصفه لقدوم المساء في الزقاق:" والجو ملطف

[71] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص1

[72] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص44.

بدفء طارئ جادت به الطبيعة رذاذا اتصل يوما كاملا وقد ابتلت أرض الزقاق."[73] كما يخبرنا نجيب محفوظ "أن المرض الذي أصاب سليم علوان قد ألم به في منتصف الشتاء شديد الرطوبة."[74] وعليه فأن معظم أحداث رواية "زقاق المدق" نجدها وقعت في فصل الشتاء باستثناء الإشارة العابرة إلى دفء الربيع حينما تعافى سليم علوان من مرضه. بعد تحديد الطبوغرافيا الاجتماعية والزمن المحدد للرواية، يتحدث "نجيب محفوظ" عن الموضوع الرئيسي وهو التقابل بين عالم زقاق المدق والعالم فيما وراءه ثم إن السمات الفيزيائية التي وصف بها المؤلف زقاق المدق نجدها تحط من قدر ذلك المكان حيث يصف الكاتب بشاعته وقذارته والتي تتأكد خاصة عبر تصوير الأحداث في فصل الشتاء، كذلك قد وجدنا أن بعض ساكني الزقاق يعكسون سمات المكان الفيزيائية مثل "عم كامل" الذي يشبه الزقاق حيث يقول عنه "نجيب محفوظ" في الرواية :" قالوا له مرات ستموت بغتة، وسيقتلك الشحم الضاغط على قلبك، وراح يقول ذلك مع القائلين، ولكن فيما يضيره الموت وحياته نوم متصل."[75] والعم كامل كما يشير "نجيب محفوظ" في روايته، يغفو دائما ومذبته في حجره والذباب يحيط، ويغيظه

[73] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص78
[74] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص95.
[75] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص4.

عباس بشكل متكرر بشأن الكفن الذي اشتراه له واحتفظ به من أجله وفي حقيقة الأمر عباس الحلو هو الذي يحتاج إلى كفن وليس عم كامل الذي يحيا بعد وفاته. أما حسين كرشة ابن المعلم كرشة صاحب القهوة الوحيدة في الزقاق يخبر عباس الحلو قائلا:" أهي حياة حقا، هذا الزقاق لا يحوي إلا موتا، وما دمت فيه فلن تحتاج يوما للدفن"[76] المعلم كرشة، صاحب المقهى، دائم العبوس ومدمن على الحشيش. أما الدكتور "بوشي" و"زيطة" فهما مثالان لقبح الزقاق وقذارته حيث يمثل الأول ذلك بعينيه المقروحتين، والثاني بالقاذورات المتراكمة حول جسده، وزيطة دون سائر شخصيات الزقاق:" كائن بشع، يقوم بعمل العاهات لمن يريد احتراف الشحاذة وقد تمرس بتعليمهم فن العته."[77] أما ذكر نجيب محفوظ للأحياء الراقية في رواية "زقاق المدق" مثل شارع "شريف باشا" وشارع "عماد الدين" وميدان "الملكة فريدة" فكل هذه الأحياء نجدها تقابل الزقاق المظلم، الفقير."حيث يرينا الأزياء الأنيقة والضياء والأبهة التي تميز ساكني هذه الأحياء من خلال عيني حميدة وهي تصاحب فرج في التاكسي إلى شارع شريف حيث يسكن."[78] و على سبيل المثال تلاحظ "حميدة" وهي بصحبة "فرج" أن مدخل العمارة

[76] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص35.
[77]نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص52.
[78]نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص162.

التي يسكن بها هذا الأخير أوسع من مدخل الزقاق. ثم إن "فرج إبراهيم" لا يجد صعوبة في إقناع "حميدة" بالنوعية الرفيعة للحياة خارج الزقاق أي في العالم المقابل له حيث يشير إلى حياة البذخ والسعادة التي يمكن أن تجدها "حميدة" إذا غادرت الزقاق وانتقلت للعيش في شارع "شريف باشا" إذ يصف فرج الزقاق بأنه "مقبرة مليئة بالعظام النخرة "[79] إن الحياة في الزقاق هي حياة "حبل وولادة، وحبل وولادة، وإرضاع أطفال على الأرصفة. ذباب وبصارة وفول، ذبول وترهل."[80] فالحياة هناك مليئة بالصعاب، "إن الزقاق مكان يذبل فيه الجمال"[81] بينما نجد في عالم ما وراء الزقاق حياة تمتلئ بالنور والثراء والسعادة ولأن الهوة واسعة بين العالمين يقترح فرج على حميدة أن تغير من اسمها بحيث يصبح "تيتي" وكذلك أن تغير من لباسها أن تغير كل شيء، بحيث لا يبقى من عالم زقاق المدق سوى "صوتها الحاد والخشن"[82]. يمكن رؤية التقابل بين عالمي الزقاق وما وراء الزقاق من خلال العلاقات المتغيرة بين الأفراد فمثلا عندما يتقابل "عباس الحلو" بالصدفة مع "حميدة" فإنها تدرك الفارق الذي يفصل بينهما وتخبره "نحن الآن غريبان، وكلانا ينكر صاحبه، لم يعد بوسعي

[79] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص167.
[80] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص169.
[81] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص 192
[82] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص187.

الرجوع، ولن تستطيع مهما قلت أن تغير من الواقع شيئا."[83] وحتى عباس الحلو الذي يحب "حميدة" يدرك تماما الآن أن حبه لحميدة قد ضاع، إنه لا يستطيع أن ينسى أنها تخلت عنه، "لقد انتهى الأمر بينهما لأن حميدة التي يحبها لم تعد موجودة."[84] فحميدة تدرك الآن أن العلاقات مع زقاق المدق قد قطعت تماما. تطالعنا الرواية أيضا على شخصية "حسين كرشة" والذي يستطيع بشكل مؤقت مغادرة الزقاق والتمتع بجمال الحياة ويتحسر بقوله "كنت أسكن شقة نظيفة، فيها الكهرباء والماء وكان عندي خادمة صغيرة تقول لي بكل احترام "يا سيدي" وكنت ارتاد السينما والفرقة القومية"[85]. و إذا كان هذان العالمين يختلفان في نوعية الحياة فهل يمكننا القول بتفوق أحدهما على الآخر أخلاقيا ؟

نستنتج ذلك من خلال معالجة "نجيب محفوظ" لشخصياته على أنه، وإن اختلف العالمان من ناحية الحياة وجمالها وبذخها، قد تساوى من الناحية الأخلاقية، حيث إن فرج إبراهيم، وكما تشير إليه الرواية، قواد محترف يدير مدرسة للعاهرات في عالم ما وراء الزقاق، فان المعلم كرشة يجلب الشواذ لنفسه في الزقاق ثم إن "حسين كرشة" لا يندهش لما يحدث لحميدة ولا يلقي باللوم على

[83] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص227.
[84] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص.267
[85] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص.145

فرج فان ما حدث لأخته في الرضاعة "حميدة" لم يكن مختلفا تماما كما حدث لإحدى أخواته الحقيقيات والتي دخلت السجن. و كذلك فان أم حميدة - في نهاية الرواية - تقنع بالحصول على جزء من دخل حميدة من الدعارة. وأخيرا فان إغارة الدكتور بوشي وزيطة على المقابر وسرقة الجثث وبتر أعضاء الشحاذين كلها أفعالا مشينة وقبيحة. إن تصوير محفوظ للحملة الانتخابية حافل بالمفارقات فعلى سبيل المثال فان عم كامل يظن أن السرادق الانتخابي سرادق عزاء، وحينما يتواجد "إبراهيم فرحات" في قهوة كرشة فان أحد الصبية يقوم بتوزيع إعلانات يظن الجميع أنها إعلانات انتخابية، والتي يتضح فيما بعد أنها إعلانات عن أحد المستحضرات التي تعيد الشيخ إلى صباه.

أما أهل الزقاق فإنهم يرون الحملة الانتخابية مصدرا للاسترزاق كما يتضح بجلاء في توجه المعلم كرشة الذي لا يكتفي بالخمسة عشر جنيها التي يقدمها له فرحات مقابل خدماته. لقد دام توجه وحب المعلم كرشة للسياسة من 1919إلى 1926 غير أنه بعد ذلك قرر أن يطلق السياسة ويركز على الجانب المادي حتى يكسبه كما تشير إلى ذلك أحداث الرواية. "ونجد المعلم كرشة يتنازل عن قيمتي الأمانة والاحترام التي يكنهما للساسة أثناء تأييده

للوفد وتوجهه إلى الحشيش والمغامرات الجنسية الشاذة."[86] وأثناء متابعتنا لأحداث الرواية يمكننا القول: إن محفوظ يخبرنا بأن عالم الزقاق ليس متفوقا من الناحية الأخلاقية عن العالم خارج الزقاق وعلى حد تعبير "ايفلين عقاد" " ليس ثمة نزوع رومانسي للادعاء بأن الناس البسطاء يمتلكون صفات أخلاقية خاصة بهم على حساب بقية الجنس البشري."[87]

إن محفوظ يصور لنا وبشكل مستمر نزوع "حميدة" الذي لا يقاوم لمغادرة الزقاق حيث كانت تعقد أمالها على "سليم علوان"، غير أن هذه الآمال تتحطم كلها على صخرة مرضه المفاجئ الشيء الذي دفعها كي تغادر الزقاق. ونجد "فرج إبراهيم" يدعو أكثر من مرة "حميدة" للخروج من الزقاق غير أنه يترك لها الحرية التامة في هذا الاختيار قائلا: " لا سلطان لأحد عليك، ولا راد لقضائك، وأنت وحدك صاحبة الأمر والنهي، وكذلك واجبي أن أوضح لك المعالم والخيرة لك."[88] وعليه فأن حميدة قد آمنت وأدركت تماما بأنها كي:" تبتاع الملابس الأنيقة والمجوهرات وتحصل على المال فإن عليها أن تخوض في الوحل

---

[86] نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص147

[87] عقاد، ايفلين،حجاب العار: دور المراة في السرد المعاصر في جنوب افريقيا و العالم العربي، شيربروك، كويبيك، 1978، ص.130

[88] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص191

وتحط من قدرها."[89] وعندما تقابل "حميدة" وبالصدفة "عباس الحلو" تشرح له بأن مصيرها ليس بيدها وأن "هذا قضاء الله الذي لا يرد"[90] وهذه حيلة من حيل "حميدة" تستطيع بواسطتها أن تدفع "عباس الحلو" لكي ينتقم لها من "فرج إبراهيم" الذي يستغلها استغلالا فاضحا ولم يعد يوليها أي اهتمام وتأمل بهذه الحيلة أن كلا من عباس وفرج سوف ينتهي بهما المطاف إلى السجن بعد أن يتواجها ومن ثم تتمكن "حميدة" من استعادة حريتها ومواصلة احترافها البغاء.و في مقابل "حميدة" نجد شخصية "حسين كرشة" الذي يختار مغادرة "زقاق المدق" والالتحاق للعمل بالجيش البريطاني: "في رواية زقاق المدق، بعالمها شبه المعزول عما يحيط بالزقاق من مسارب الدنيا...تمثل حميدة...وإلى حد ما حسين كرشة، نموذج التمرد على عالم الزقاق و التوق إلى الخروج منه إلى العالم الرحب في تصورهما."[91] غير أن أسلوب حيات حسين كرشة المعروف بالبذخ والمشهود له من طرف سكان "زقاق المدق" يمنعه من توفير المال ومن ثم عندما يتم تسريحه يضطر وعلى مضاضة العودة إلى "زقاق المدق" حيث يخبر "عباس الحلو" بما يدور في خاطره"هجرت المدق فأعادني الشيطان إليه،

---

[89] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص253

[90] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص251

[91] حسين حمودة، في غياب الحديقة، حول متصل الزمان/ المكان في روايات نجيب محفوظ، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2007 ، ص.124

سأضرم به النار، هذه خير وسيلة للتحرر منه"[92] أما "عباس الحلو" الذي يتمتع بالوسامة كما يشير بذلك اسمه، فهو إنسان طيب وقنوع لا يحب ولا يريد أن يخرج من "زقاق المدق" غير أن حبه لحميدة وأقوال "حسين كرشة" بأن العالم خارج الزقاق أجمل وأرفع من البقاء فيه كل هذه الظروف تدفعه إلى بيع دكانه والعمل بالجيش البريطاني فعباس الحلو يجذبه اتجاهان متناقضان حبه لحميدة يدفعه لبيع دكانه والعمل خارج الزقاق لكن وفاءه وقناعته ونفسيته الطيبة يحثونه على الرجوع إلى الزقاق فنهاية عباس الحلو كانت جد مأساوية حيث دفع ثمنا باهظا نتيجة تصرفاته الطائشة حينما يجد "حميدة" في حانة مع الجنود البريطانيين وفي لحظة من الغضب الشديد يلقي بزجاجة على وجه حميدة فيرديه الجنود قتيلا. هكذا كانت نهاية القيم الجميلة و الطيبة والوفاء ويسحق عباس الحلو فيما بين العالمين. والشيخ "درويش" يقع "بين عالمين يتجول فيما بينهما دون توقف."[93] كان درويش كما هو معبر عنه في الرواية مدرسا للغة الانجليزية، انه أحد الأفندية ولكنه تحول إلى شيخ ويرمز زيه إلى هذا المزيج المضطرب من العالمين، فأن نظارته ذات الإطار الذهبي ورباط عنقه يمثلان

[92] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص251
[93] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص13

العالم الحديث على حين يرمز جلبابه إلى العالم التقليدي وكل هذا ينعكس رمزيا في استخدام الشيخ درويش لكل من العربية والانجليزية للتعبير عن أرائه، حتى أن أهل الزقاق يعتبرونه وليا "يتلقى الوحي بالغتين العربية والانجليزية"[94]

وفي الأخير نعتقد أن "نجيب محفوظ" قد نجح في تصوير "زقاق المدق" في دقة متناهية حيث يشير الكاتب أن الزقاق عبارة عن حارة شعبية ترمز إلى الأصالة المصرية "إن كل الأحداث التي يشهدها الزقاق ليست إلا فقاعات سرعان ما تخمد، على حين يركن الزقاق إلى قيمته الأبدية في النسيان واللامبالاة"[95] يقترن المكان الزقاق بالزمن و بالشخصيات التي تعد المحرك الأساسي للأحداث. تبقى الشخصيات مرتبطة بالمكان حتى بعد مغادرتها له كما حدث في زقاق المدق أين تغادر بعض الشخصيات المكان لكنها تبقى في تواصل روحي ابدي معه: "تقترن به شخصياتهما التي تستعيدهما...فحميدة في الزقاق حتى بعد رحيلها عن الزقاق، تظل-على مستوى ما-موصولة به."[96]

من خلال الرواية أراد نجيب محفوظ أن يظهر مدى ارتباط الشخصيات المحورية بالمكان الذي الفوه حتى صار

---

[94] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص 13

[95] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص288

[96] حسين حمودة، في غياب الحديقة، حول متصل الزمان/ المكان في روايات نجيب محفوظ، مكتبة مدبولي، القاهرة،2007 ، ص.166.

الواحد منهم لا يتوق لعالم أفضل منه حتى وهو مضطر إلى الخروج للعمل بعيدا عنه. حتى ان محفوظ استطاع أن يثبت ببراعته الروائية كيف كان الزقاق سببا في دفع أبنائه إلى الخروج منه بغية التغيير، أي أن للزقاق فضل في جعل سكانه يغادرونه من اجل البحث عن حياة افضل بعيدا عنه:

"وقد كان لاهتمام نجيب محفوظ بعرض صورة الحياة في الزقاق هدف يبغي من ورائه التأكيد على مساهمة الزقاق في دفع أبنائه للهجرة خارجه، ونقول مساهمة الزقاق وليس الدافع الوحيد، فقد تضافرت الأسباب داخل الزقاق مع السباب داخل نفوس البناء لاتخاذ القرار بهجره."[97]

[97]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981، ص1

# الباب الثاني:

# زمكانية الرواية و شخصياتها

# الفصل الأول:

# الرواية و المكان

## 1. المكــان أم الفضاء

في تعريف الفضاء نجد في لسان العرب ما يلي:"المكان الواسع من الأرض، و الفعل فضا يفضو، فضوا، فهو فاض، و فضي المكان و أفضى، إذا اتسع، و أفضى فلان إلى فلان إذا وصل إليه،

و أصله انه صار في فرجته و فضائه و حيزه، و الفضاء الخالي، الواسع من الأرض."[98]

اهتم الفلاسفة بالمكان و الزمان قبل أن يتجه إليهما أهل الأدب. وبدا اهتمامهم خلال بحثهم المستمر عن الحقيقة. فنجد العديد من المفكرين عبر العصور يكتبون عن المكان و الزمان:"شغلت الحقيقة المكانية و الزمانية فكر الفلاسفة قبل أن تشغل الدرس الأدبي، و من الفلسفة-في تراسل بين العلوم- انتقلت إلى الفكر الأدبي. فصمويل الكسندر الملقب بفيلسوف المكان و الزمان و الألوهية يقيم مذهبه في الفلسفة الواقعية المحدثة على هذه الحقيقة. فالحقيقة القصوى التي تتولد عنها سائر الأشياء هي الحقيقة الزمانية المكانية."[99]

يعتبر الفضاء الروائي في الدراسات العربية، ذا حضور و لو هامشي، وذلك راجع إلى تباين الرؤى وميادين البحث واختلاف الترجمات جعله مصطلحا يعرف في بعض الأحيان تباينا في التصورات بين النقاد الغربيين و العرب، وبحجة التباين في تعريف المصطلح وتأكيد كونه ما يزال يشكل مادة للبحث الأكاديمي مما

[98]ابن منظور، لسان العرب، ج13، دار صادر، بيروت، ص.157.
[99]حافظ محمد جمال الدين، شعرية المكان و الزمان، علامات في النقد الأدبي، النادي الادبي الثقافي بجدة، ج.52 ،2004 ، ص. 52 .

شجعني على الخوض فيه بعد وقوع اختياريعلى رواية زقاق المدق و تشجيع الأستاذ المشرف على ذلك.

لما كان اهتمام الأدباء كبيرا بعنصري المكان و الزمان ارتأينا أن نخصص فصلين الأول للمكان و الثاني للزمان. فالقيمة المكانية في الروايات المحفوظية فرضت على النقاد الاهتمام بالمكان و الزمان. و نجيب محفوظ واحد من هؤلاء الأدباء العرب الذين خصصت لهم دراسات عديدة تنوعت بين المقال و الكتاب و الرسالة الجامعية و يرجع ذلك لاهتمامه بالمكان كموضوع روائي و كعنوان للرواية:" لقد اهتم نجيب محفوظ برواياته فمنحها من عبقريته وفنه وعواطفه وخياله ما تستحق فلكل عنصر من عناصر روايته نصيب من حياته، وكأنه وزع حياته بين رواياته. ومن العناصر التي استأثرت باهتمامه هو (المكان) حتى أن أسماء بعض رواياته كانت أشخاص مكانية مثل -: (قصر الشوك) و(السكرية) و(خان الخليلي)و(زقاق المدق)."[100]

فالحياة و الفكر مرتبطان بالزمان و المكان و لا يمكن فهم حياة الشخوص و تفكيرهم في أي عمل روائي من دون اعتماد عنصر المكان و الزمان و بالتالي فان : "لا فكر خارج الحياة، لا فكر

[100]وسام علي محمد الخالدي، دلالــة المكــان في رواية بيــن القصرين لنجيب محفوظ، مجلة اللغة العربية وآدابها – العدد. 7، ص. 248 .

خارج الزمان والمكان"[101] من هذا المنطلق يمكننا أن نفهم مدى ارتباط المكان بالزمان من جهة و كيف يساهمان مجتمعين في فهم الحياة سواء كان ذلك في الواقع أو في الخيال الروائي.

الإنسان كائن بشري مرتبط بالكون الذي خلقه الله فيه و بالتالي فهو موجود مادام هذا الكون موجودا و إذا غيب الكون لم يصبح للإنسان وجود. و الفضاء هو الحيز الذي أتيح للإنسان البقاء فيه طيلة المدة الزمنية التي قدرها عليه الله سبحانه و تعالى: "علاقة الشخص بالكون معتمدة كليا على الفضاء."[102]

وإذا كان الاهتمام منصبا على ماهية المكان و قيمته الأدبية فانه يتعين علينا معرفة ما مدى التلاقي بين معنيي الفضاء و المكان و هل الأول اشمل من الثاني أم العكس صحيح. و ماإذا كان هناك تعريفا مقتضبا شاملا لكليهما أم المصطلحين مختلف في تعريفهما بين النقاد. واستنادا إلى محمد بنيس فان « المكان منفصل عن الفضاء، وأنه سبب في وضع الفضاء، أي أن الفضاء بحاجة على الدوام للمكان»[103].فالمكان الروائي أو الفضاء الروائي تسميات أطلقها الدارسون للأدب ليبينوا مدى تباين المصطلحات من جهة و

[101]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981 ص 7.
[102]جوزيف، كيسنر، شعرية الفضاء الروائي، ترجمة لحسن احمامة، ط1 افريقيا الشرق، 2003، ص. 21
[103]محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، الجزء 3، الدار البيضاء، دار توبقال، الطبعة الأولى، 1990، ص. 112.

مدى ترابط المكان بالزمان ايضا و: "اختلف النقاد والدارسون في تسميته، فمنهم من أطلق عليه مصطلح الحيز ومنهم من استعمل مصطلح المكان وهناك المصطلح الشائع وهو الفضاء، فالمكان يعني الجغرافيا، والفضاء يعني الأجواء العليا التي لا سيادة لأي بلد فيها، والفضاء يعني الفراغ، أما المجال فقد يعني الحيز الأعلى الذي يقوم فوق وطن ما، والذي يكون في متناول الطيران وتحت سيادة ذلك الوطن وسلطته."[104]رغم أن الفصل بين الفضاء والمكان ضروريا ويلزم كل قراءة نقدية جدية القيام به، فإنه ينبغي بالمثل ألا نلح عليه كثيرا، بل الأفضل أن نكتفي بتشغيل الفضاء على امتداد الدراسة ولا نذكر المكان إلا حيث ينبغي أن يذكر. يضل"الفضاء هو العالم الفسيح الذي تنتظم فيه الكائنات و الأشياء و الأفعال، و بقدر ما يتفاعل الإنسان مع الزمن يتفاعل مع الفضاء."[105] فالارتباط يبقى وثيقا بين الفضاء و الزمن حيث أن الإنسان في الواقع كما في الخيال الروائي لا ينفصل عن الفضاء: "إن الإنسان غير منفصل عن فضائه، بل انه هذا الفضاء ذاته."[106]هذا ما نلحظه عند قراءتنا لروايات نجيب محفوظ،إذ نجد

[104]عبد المالك مرتاض، دراسة سيميئية تفكيكية لقصيدة "اين ليلاي" لمحمد العيد آل الخليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ص

[105]حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1،2000، ص.32

[106]حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1 ، 2000 ، ص.40

الشخصية تكاد لا تستطيع مغادرة المكان الذي تعيش فيه لأنه يمثل لها الاستقرار و الخوف من الخروج منه سببه التيه و عدم القدرة على الرجوع بنفس القوة و المعنى قبل الخروج. الإنسان بطبعه مرتبط بالكون الذي خلق فيه. "يعتبر كل من جيرار جينات و ميشيل بيتور من ابرز النقاد الذين نظروا للفضاء النصي."[107]فهم زيادة على اهتمامهم بفضاء النص المكتوب ابتداء من الصفحات و ما فيها من رسومات و أشكال والتي قد تساهم في التعرف على مكونات النص قبل قراءته، اهتموا بالتناص التي تظهر مدى إمكانية التقاء النص المدروس بنصوص أخرى، لنفس المؤلف أم لمؤلفين آخرين. في نفس الفترة الزمنية التي كتب فيها النص المدروس أو في فترات أخرى بعيدة عنه زمنيا. فجينيت يعتبر أن كل الكتب:"كتاب واحد، و كل كتاب هو جميع الكتب ، و المكتبة هي المطابقة لفضائية الأدب."[108]بهذا الصدد يقول غريماس وكورتيس:"إن مصطلح الفضاء مستعمل في الدلائلية بمفاهيم متباينة قاسمها المشترك هو اعتباره كموضوع مبني (يتضمن عناصر متقطعة) انطلاقا من الامتداد، المعتبر كاتساع مملوء، ممتلئ، دون حل للاسترسال. إن بناء الموضوع - الفضاء يمكن

[107]عبد الرحيم، عبد الوهاب، جماليات الفضاء في السيرة الذاتية، موقع الأساتذة المبرزين و الباحثين في اللغة العربية بالمغرب،2009 ، ص. 5.
[108]جيرار جنيت، الأدب و الفضاء، ترجمة عبد الرحيم حزل، ط1 . إفريقيا الشرق. 2002. ص.14.

فحصه من وجهة هندسية (بإخلاء أي ملكية أخرى)، ومن وجهة نظر نفسية فيزيولوجية (كظهور متصاعد لخصائص مكانية انطلاقا من الخلط الأولي) أو من وجهة نظر اجتماعية ثقافية (كتنظيم ثقافي للطبيعة مثل الفضاء المعمر). وإذا أضفنا جميع الاستعمالات الاستعارية لهذه الكلمة أن استعمال مصطلح الفضاء يتطلب حذرا شديدا من طرف الدلائليين."[109]

أمام هذه التعددية في مفهوم الفضاء والكم الهائل من الدراسات التي تناولته، كان لزاما علينا أن نخصص فصلا يهتم بالفضاء و المكان حتى نتمكن لاحقا من التطبيق على رواية زقاق المدق كنص روائي سردي من دون إغفال عنصر الزمان الذي يعد من العناصر الرئيسية في بناء الرواية ملاصقا للمكان في معظم الدراسات الأدبية.نجيب محفوظ كروائي استطاع توظيف المكان في أعماله بطريقة جيدة و جعل من الحارات و الأزقة القاهرية عناوين للعديد من رواياته "فأسماء الروايات جميعا باستثناء "السراب" هي أسماء مدن أو شوارع في مصر وكل ما في هذه الروايات يتحدث عن مصر وجوانب حياتها المختلفة. والمدينة والشارع في هذه الروايات هما رمزان لمصر كلها، وما يدور في

[109]محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالا ته، الجزء 3، الدار البيضاء، دار توبقال، الطبعة الأولى، 1990، ص. 112 - 113.

المدينة أو في الشوارع،هو تجسيد لما يدور في مصر وتعبير عنه.أو معادل فني للواقع الموضوعي كما كان يراه نجيب محفوظ في مصر."[110] كثيرا ما كانت هذه الأماكن ترمز إلى دلالات لم يرد الأديب أن يسميها بأسمائها الحقيقية فاعتمد الرمز كطريقة للبوح بمعان لا يفهمها إلا أولئك الذين يعرفون المكان و يفهمون الأدب. فالعديد من أسماء الأماكن و حتى الشخوص تحمل داخلها معان مخبأة يستطيع كل باحث تأويلها منطلقا من الأحداث الواقعية التي يريد شرحها: "لقد استخدم نجيب محفوظ الرمز في المرحلة الواقعية من إنتاجه الأدبي ولكن بطريقة عامة تبدو أمامنا وكأنها مادة واقعية لا علاقة لها بالرمز، ويمكننا أن نتوقف أمام "زقاق المدق" حيث أن محفوظ قد قصد إلى الرمز في أكثر من موضع."[111]وكما يرى بعض الباحثين الذين اهتموا بالمكان و بأدب محفوظ فإن:"المكان في روايات نجيب محفوظ ليس مجرد إطار للأحداث و الشخصيات و إنما هو عنصر حي فاعل في هذه الأحداث و في هذه الشخصيات."[112]

## 2. المكـــان وعلاقتـــه بالفـــن الروائي

[110]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981، ص7

[111]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981، ص 15

[112]التواتي مصطفى، دراسة في روايات نجيب محفوظ الذهنية، الدار التونسية للنشر، تونس 1986، ص 85

في العمل الروائي يولي الأدباء للزمان و المكان و الشخوص أهمية كبيرة من اجل إنجاح إنتاجهم و يحاول كل أديب أن يخلق مكانا و زمانا من خياله بالاعتماد على واقعه أحيانا أين يتمكن الشخوص من التموقع والاتصال ببعضهم البعض من اجل عرض أفكارهم المحملة بالدلالات الرمزية التي غالبا ما تمثل أفكار الأديب أو المجتمع الذي يمثله:"تخضع الرواية شخصياتها إلى ضرورات الزمان والمكان إذ أنها لا تلتزم بقوانين فيصبح المكان المتخيل مساحة مسطحة تتحرك فيها الشخوص و تنمو الأحداث و تتعانق الأشياء، دون أن تتحمل تلك الدلالة الرمزية، إلا ما تشهد عليه واقعيتها من مستوى اجتماعي أو روحي أو وجداني للشخوص،."[113]

يلعب المكان دورا أساسيا في فهم الأعمال الأدبية و نقدها وله قيمة كبرى،وميزة سامية،لما يلعبـــه من دور رئيسي فـــي حياة أي إنسان فمنذ أن يكون نطفة يتخذ حينها من رحم الأم مكانا يمـــارس فيه تكوينه البيولوجي وطبيعته التي فطر عليها،حتى إذا حان المخاض خرج صبيا يشتم أولى نسمات الوسط الخارجي،في

[113]اقضاض محمد، الفضاء: رؤية سجينة في رواية "الساحة الشرقية"إصدارات النادي الأدبي، جدة، 1985، ص.76.

خضم عالـــم يراه لأول مرة.فكان أن احتضنه المهد،هذا الأخير الذي تتفتح فيه مداركه وتنمو بعـــده أي"بعد المهد، تتبلور الأبعاد المكانية للإنسان بصور أوضح".[114]

و حسب لوري لوتمان الذي اهتم هو أيضا بالمكان و علاقته بالواقع التاريخي و السياسي و الاجتماعي للإنسان فان العلاقة بين المكان و الأشخاص الذين يعيشون بداخله هي التي تمده بالقيمة الواقعية والفنية عندما يتعلق الامر بالأدب "المكان يتخذ دلالته التاريخية و السياسية و الاجتماعية من خلال الأفعال و تشابك العلاقات، فانه يتخذ قيمته الكبرى من خلال علاقته بالشخصية."[115]

فالإنسان من الممكن أن يحب أماكن و يرغب في الوصول أو العودة إليها إن كان قد زارها من قبل و بالتالي فهي تمثل الحنين الذي طالما بقي مرتبطا به منذ الصغر. هذه الفكرة نجدها بوضوح في أعمال محفوظ الذي يبدع في إخراج شخوصه من الأماكن المرفوضة و إدخالها إلى الأماكن المرغوبة مثلما هو الحال في زقاق المدق و القاهرة الجديدة و الثلاثية و ميرامار و غيرها من

[114]ودناني بوداود، المكان والزمان عند الشعراء العذريين، رسالة ماجستير تحت إشراف الدكتور ابن حلي عبد الله السنة الجامعية 92-93 ص 47

[115]يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، ترجمة سيزا قاسم، الف، مجلة البلاغة المقارنة، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ع: 6 ، 1986 ، ص. 83 .

الروايات الاجتماعية الأخرى:"هناك أماكن مرفوضة و أماكن مرغوب فيها، فكما أن البيئة تلفظ الإنسان أو تحتويه، فان الإنسان–طبقا لحاجته- ينتعش في بعض الأماكن و يذبل في بعضها"[116]

عندما نقرا الأدب العربي من شعر و رواية و قصة و مسرح فإننا نلاحظ أن المكان يمثل بالنسبة للأديب العربي الأم التي يحن إليها. الأم التي يعبر عنها تارة بالوطن و تارة بالحنان النسوي من أي شخص كان منبعه. يقول غالب هلسا:"إن المكان العربي هــو مكان أمومي فاستعادة المكان بعمق في الأدب العربي، تستدعى معه الأم كنمط أصلي."[117] فهذه الصفة الأمومية للمكان هــو معيار للأصالة،وهــي جوهـــــر الألفة،ذلك أن العلاقة الحميمية التي تربط الفرد بالمكان الأليف،مــن أقــوى الروابط الإنسانية في الوجود. و الأم غالبا ما ترمز للوطن الذي نحن إليه إما لأنه مغتصبا أو لكونه لم يعد بنفس الميزات التي عرفناها عندما كنا صغارا مما يكون في نفوسنا حنينا لاسترجاع تلك الأيام أو ذلك الزمان البعيد و من هنا يظهر دور الزمان في ربط الشخوص بالمكان.ومن ثم كان المكان الأليف،رمز للحنين وجديـــرا بأن

[116]يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني،ص. 83.
[117]جريدة الخبر ليوم 18 ماي 1996عدد 1761 السنة السادسة ص 21 .

يثيـــر فيـــنا ذكريات لا حدود لها شعارها السعادة والفرح حيث أن"كل مناطق الألفـــــة موسومة بالجاذبية وجودها هو الوجود الهنيء."[118] فكما كان الإنسان عنـــــد ولادته "رقعـــــة جغرافية يتحرك من خلالها وينعم بدفئها،كان للروح الإنسانية أيضا استقرار."[119] فالإنســان يعيش فيجسده ويموت إذا أصيب هذا الجسد.لأنه لصيق بالــذات، إذ نجد المرء الذي فقد أمه فقد جزءا لا بأس به من الحنان ذلك هو شأن الذي يبعد من وطنه،المكان الذي ألفه يحس بالاغتراب والضياع وقد يصل إلى حد الموت.لأنه فقد المكان الذي ارتبطت به ذاته واستقرت سريرتها."ويلعب المكان دورا هاما في بناء الرواية وتركيبها، إذ يعد الإطار الذي تنطلق منه الأحداث وتسير فيه الشخصيات، بل يتجاوز كونه مجرد إطار لها أحيانا، ليصبح عنصرا حيا فعالا في هذه الأحداث وهذه الشخصيات، ومشحونا بدلالات اكتسبها من خلال علاقته بالإنسان."[120] فقد أولى معظم كتاب الرواية و القصة أهمية كبيرة للمكان حتى يتمكنوا من إخراج القارئ من عالمه الحقيقي الذي ألفه إلى عالم خيالي مختلف عن الواقع الذي كثيرا ما أحس فيه بالملل فأراد أن ينفس عن نفسه يقول ميشيل بوتور:"إن

[118]ودناني بوداود، المكان والزمان عند الشعراء العذريين، رسالة ماجستير تحت إشراف الدكتور ابن حلي عبد الله السنة الجامعية 92-93 ص 90

[119]المكان والزمان عند الشعراء العذريين،رسالة قدمت لنيل شهادة ماجستير ل:ودناني بوداود ص 90

[120]محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، 1979، ص 108.

قراءة الرواية رحلة في عالم مختلف عن العالـــم الذي يعيش فيه القارئ،فمن اللحظة الأولى التي يفتح فيها القارئ الكتـــاب ينتقل إلى عالم خيالي من صنع كلمات الروائي ويقع هذا العالم في مناطـق مغايرة للواقع المكاني المباشر الذي يتواجد فيه القارئ."[121] فمكان الرواية ليس المكان الطبيعي فحسب بل وأيضا الخيالي الذي له أبعاده الخاصة، بمعنى خلق عالم مستقل له خصائصه الفنية التي تميزه عن غيره.إنه من العناصر التشكيلية الهامة التي حظيت بها الرواية إذ يمثـــل الخافية التي تقع فيها الأحداث وانطلاقا من هنا أصبح تحديده من السمات التي ميزت الرواية منذ القرن التاسع عشر والى يومنا هذا فهو يشكل في الرواية:"الأرضية التي تشد جزئيات العمل كله. فهو أن وضح وضح الزمن الروائي، وأن درس بعناية، فهمت الشخصية، وان تناوله الروائي بصدق تاريخي و صدق فني، مكن عمله من أن يمتد في التاريخ."[122] إضافة إلى اهتمام الروائيين بالمكان كمكون أساسي للبناء الروائي، اعتنوا أيضا بالشخوص المكونة للنسيج الروائي و التي لا يمكن لها أن تتحرك إلا بالاعتماد على عنصر المكان و الزمان.

---

[121]سيزا قاسم، بناء الرواية . ط. 1 سنة 1985،دار التنوير للطباعة والنشر ص 99 .
[122]النصير، ياسين،الرواية و المكان دراسة المكان الروائي دار نينوى للدراسات و النشر و التوزيع، دمشق، 2010 ، ص9.

انتقلت مسألة المكانية في العمل الروائي من المفهوم المألوف اللصيق بالذات،إلى رواية عميقة فصار المكان منبع وجوهر العمـل الفـني. وهكذا حسب غالب هلسا: " صار الأدب العالمي ما يعبر عنــه بالصــورة وينقل تجربة."[123] وكانت بهذا المفهوم وضيفة الروائي الواقعي تسجيله لوقائع حدثت بالفعل على أنه يضفي عليها نوع من النشاط والحيوية حتى لا يغدو العمـل الأدبي تسجيلي لأحداث وأفعال نتفق جميعا على واقعيتها، بمعـنى تصبــح وضيفة الروائي الواقعي كالمصور تماما.وفي هذا يقول جي دي موباسان:" أن الواقعي إن كان فنانا حقا لن يذهب إلى عــرض الحيــاة في صــورة فوتوغرافية ساذجة،ولكنه سيذهب إلى عرض صــورة أكثر حقيه وحيــوية وكمالا من الحقيقة نفسها...وإنني أعتقد أن الواقعيين الموهوبين يجب أن يسموا بالإيهاميين."[124]بمعنى أن الأديب الحق في مجال الرواية الواقعية ينطلق من عالــم الواقع،لكن نقطة الوصول لن تكون بالتأكيد العودة إليه وإلا كــان الحــدث تسجيليا محضا بل تعنى خلق عالم مستقل له خصائصه الفنية التي تميــزه عن غيره.ولهذا كان المكان في العمل الروائي وبخاصة الروايــة الواقعيــة، حامـل

[123]نبيل سليمان، فتنة السرد والنقد، نبيل سليمان، الطبعة الأولى سنة ، 1994 دار الحوار للنشر والتوزيع سورية اللاذقية، ص 59.
[124]سيزا قاسم، .بناء الرواية،ص 105

لمعنى ولحقيقة أبعد من حقيقته الملموسة التي ألفناها في الواقع.وفي هذا المعني يرى"نجيب محفوظ"" أن عملية نقل عالم الواقــع إلى عالم الرواية عملية مكر وحيل."[125]إن الروائي الحقيقي هو الذي يستطيع ان ينقــل لنا عالما مــن المحسوسات لا هــو بالواقعي الصرف ولا بالخيالي المحض ، إذ يعبر عن أحداث يسلم أنها وقعت بالفعل وقد لا تكون كذلك يجعل لها خلفية يـــؤمن بمصداقيتها وفاعليتها في عملية سير الأحداث.وانطلاقا من غاستون باشلار لم يعد المكان الروائي ذلك العالم الــذي ألفينا وجوده في واقعيتنا انطلاقا من الطفولة،ولا ذلك الذي يعبر عن أحاسيس تنشأ انطلاقا من ألفة ربطتنا به: "المكان هو المكان الأليف...انه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، و تشكل في خيالنا. فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة."[126]إنه إذا ذلك الإطار الذي صار وعاء التجربة،هذه التجربــة الفنية التي هي جوهر العمل الأدبي.

## 3.علاقة المكان بالوصف

[125]سيزا قاسم، بناء الرواية ، ص 10
[126]غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت، 1984 ، ص 6

يعرف قدامة بن جعفر الوصف قائلا :" الوصف إنما ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات."[127] الوصف أسلوب إنشائي يتـــناول ذكـــر الأشياء في أحوالها وهيئاتها الخارجية بمعنى الوقوف عند ملامح خارجية للموصوف.

ولما كانت الصورة الفوتوغرافية للإنســان تحمــل جميــع أوصافــه، كـــان الوصف في الرواية صورة تسجيلية بمعنى الكلمة للمكــان الذي هو بصـدد دراسته.وبالتالي فبعد الحربين العالميتين الأولى و الثانية زاد اهتمام الأدباء الغربيين بالفضاء رغم أن البداية الحقيقية تعود الى القرن الثامن عشر مع الروائيين الطبيعيين ثم في القرن التاسع عشر مع فلوبير وبروست الممثلين للواقعية:"كانت الحرب العالمية الأولى و الثانية محفزا للانشغال بالفضاء الروائي، و قد كان ذلك إجابة على ما يطال فضاء الواقع من انتكاسات و تغيرات تحت طائلة الحرب و الاكتشافات العلمية و تطور الفنون."[128]

فالكاتب حين يصف عالم روايته يجعل القارئ يعيش في مكان وكأنــه بالواقعي المحض،ويخلق انطباعا بالحقيقة أو تأثــيرا مباشرا بالواقــع نظرا لعملية الوصف الدقيقة،لكن سرعان ما

---

[127] سيزا قاسم، بناء الرواية ، ص 105

[128] حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة. "مخلوقات الأشواق الطائرة"لإدوارد الخراط نموذجا،دار نينوى للدراسات و النش، دمشق، 2011 ، ص30

ينخدع القارئ عند انتهائه من قراءة الرواية ويصرح في خلجات نفسه،أنه انتقل إلى عالم خيالي لكن كثيــرا ما يشبه الواقع وفي هذا يقول نجيب محفوظ :"إن أكثر التفاصيل هي صناعة ومكر لإيهام القارئ بأن ما يقرأه حقيقة لا خيال،إذ أنــه لا يثبت الموقف أو الشخص كحقيقة مثل التفاصيل المتصلة بــه. وكلما دقــت أسرع القارئ إلى تصديقها".[129]إن للوصف علاقة حميمية بالسرد، ذلك أنه" لا يمكننا أن نسرد دون أن نصف "[130]كما ذهب إلى ذلك جنيت: " الوصف هو الوقوف عند ملامح خارجية للموصوف "[131] ولما كان للوصف وضيفة بالغة الأهمية في عالم الإبداع الأدبي خاصة فــي الرواية الواقعية،نجد رواد الرواية الواقعية من أمثال فلوبير وبلزاك يؤكدون عليه لأن الوصف كما يعتبره فلوبير" لا يأتي بلا مبرر، بــل إن كل مقطـع من مقاطعه يخدم بناء الشخصية وله أثر مباشر في تطوير الحدث."[132]

وما يمكن الوقوف عنده هو مجاراة " نجيب محفوظ " لبلزاك فـــي عمليـة الاستقصاء أثناء الوصف، رغم أن " نجيب محفوظ " له ميزتـــه الخاصة التي تأتي من تداخل عنصر المكان والزمان

---

[129]سيزا قاسم ، بناء الرواية ص 111

[130]عبد المالك مرتاض ، تحليل الخطاب السردي ديوان المطبوعات الجامعية 1995 نقلا عن Genette, Gérard, frontière du récit, p 156-157:

[131]وليد نجار، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، ص 149

[132]سيزا قاسم ، بناء الرواية ص 111.

في عملية الوصف ومعنى هذا الأخير الاستقصاء" تناول أكبر عدد ممكن من تفاصيل الشيء الموصوف ، ...أو تحليل الشيء الموصوف إلى أجزائه المكونة . ذلك أن الوقـوف عنـد دقائق الأشياء من السمات البارزة التي تميزت بها المدرسة الواقعية.

وكانت من نتيجة ذلك أن تميز الوصف عندهم بأساليب مختلفة تتـوقف على طبيعة توظيفه في النص الروائي، و من هنا يظهر نوعـان متمايـزان في أسلوب الوصف التصنيفي والتعبيري.[133]

ولا يمكن لأديب لا يحسن التصوير و الوصف أن يبدع أدبا يعمر طويلا فقد تأثر محفوظ في مرحلة من حياته بسيد قطب الذي كان يحسن التصوير في أعماله الأدبية القليلة و بعد ذلك في دراساته الدينية:"ومما يُسجل لنجيب محفوظ تلك الحذاقة في وصف المكان وصفاً يتعدى خصائصه الخارجية المادية بل ذهب إلى أبعد من ذلك فقد عالج قضيته الملكية للمكان وأثرها في عوالم الشخصيات النفسية."[134]

## 3 . 1 . الوصف التصنيفي

وفيه يحاول الروائي تجسيد الشيء بموضوعية مثـلا وصـف المكان بكـل أجزائه.متخذا في ذلك أسلوب الاستقصاء " ولا ينظر

---

[133] المرجع نفسه، ص 109

[134] وسام علي، محمد الخالدي، دلالـة المكـان في رواية بيـن القصرين لنجيب محفوظ، مجلة اللغة العربية وآدابها – العدد. 7، ص. 259

في هذا النـــوع مـــن الوصف إلى وقع الأشيـــاء على حس الناظـــر أو السامـــع "[135]بمعنى أن المتلقي في هذا النوع من الوصف لا يؤخذ بعين الاعتبار.

## 3 . 1 . الوصف التعبيري

عكس النوع الأول، إذ يتناول وصـــف الشيء والإحساس الـــذي يثيـــره في نفسية المتلقي. ويلجأ هنا الروائي إلى الإيحاء والتلميح، ولذلـــك نجـــــد في الرواية الواقعية "مقاطع وصفية يمكن استخراجها من النص "[136]

ولم يكن نجيب محفوظ على شاكلة بلزاك أو فلوبير أو زولا مـــن الذين يؤكدون على الوصف المطول بل كان ينفر منه قائلا : " إني أعلـم أن بلزاك عبقري وهو خالق الواقعية كلها ، لكن لم يكن باستطاعتي أن أحتملـه وهو يصف مشهدا في ثمانين صفحة مثلا ، لقد قرأت مذهبه واتجاهـــه بعـــد أن تهذب وتطور عند أناس غيره ".[137]

## 4. أنواع الأمكنة

[135]المرجع نفسه ، ص 109
[136]سيزا قاسم ، بناء الرواية ص 109
[137]سيزا قاسم ، بناء الرواية ص 160

يعد المكان عنصرا جوهريا، وأساس التكوين الشعـوري للإبداع، حيث منـــــه يتأسس النص الروائي.فهو من دعائم البناء القصصي الذي تدور فيـــه الأحـــداث، وتتحرك فيه الشخصيات.

إنه المحور الرئيسي الـذي لم تخل منـــــه الأعمال الفنيـــة سواء كانت شعرية أم نثريـــة. فكل حادثـــة لابد أن تجد لها وعـــاء يحتضنها، تقع فيـه وترتبط بظروف وعادات ومبادئ خاصة بالمكان الذي وقعت فيه لأن هـــذا الأخير يعد خاصية من خواص الأبعاد المادية للحياة البشرية.

ويمكننا التمييز بين نوعين من الأمكنة:" أحدهما مفتوح والآخر مغلق "[138]

## 4 . 1 . المكان المفتوح

وفيه تتحرك الشخصيات من مكان لآخر، وسمي مفتوحا لأن مجـــال حركة الشخصية مفتوح ومتحرر، ومنطلق إلى عوالـم شتى. وبالتالي تكون الشخصية متغيرة ومتباينة الآراء إزاء المواقف والأحداث وهذا من موقـــع لآخر. "والزقاق يخرج إلى العالم الخارجي في أشكال ثلاثة: إلى الحج والى العمل و إلى الدعارة...فالحاج الحسيني يعود من حجه لينشر الرضا والمحبة و

[138]سيزا قاسم ، بناء الرواية ص 103

الاستقرار، و عباس الحلو و حسين اللذان ذهبا للعمل في أورنس الجيش الانجليزي إنما ذهبا بحثا عن مال يوطدان به حياتهما، وخاصة عباس الحلو الذي عاد من العمل بشبكة ذهبية لحميدة و لكنه وجدها قد خرجت من الزقاق، حميدة وحدها هي التي خرجت على الزقاق."[139]

## 4 . 2 . المكان المغلق

وهو عكس المكان الأول إذ نجده منحصرا في رقعة معينة ومحـــدودة. وهو حالة تعبر عن العجز وعدم القدرة على الفعـــل والتفاعـــل مـــع العالم الخارجي، إذ نجد شخصياته مغلقة على نفسها ومنعزلة وغالبا ما يعود ذلك إلى رؤية الروائي لعالمه، وللمكان الذي هو موضوع بحثه: "يقيم لوري لوتمان علاقة ضدية بين الأماكن المغلقة الداخلية (الدار، المدينة، الوطن...) و بين الأماكن المفتوحة الخارجية. فعلى حين تحمل الأولى سمات: "الألفة و الدفء و الأمان، تحمل الثانية صفات مناقضة، مثل الغربة و البرود و العدوانية"[140]

و قد أعطى غاستون باشلار تصورا لما تبدوا عليه من سمة عدوانية طبيعة الخارج من البيت ، خلافا لمن يكون داخلا فيقول:

[139]العالم، محمود أمين، من عبث الأقدار إلى السراب، عن كتاب تأملات في عالم نجيب محفوظ، 1970 ، ص.3

[140]عبد الرحيم، عبد الوهاب، جماليات الفضاء في السيرة الذاتية، موقع الاساتذة المبرزين و الباحثين في اللغة العربية بالمغرب،2009 ، ص3.

"لشرح ميتافيزيقا الوعي علينا أن ننظر التجارب التي يمر عبرها الإنسان حين يلقي به في العالم خارج البيت، و هو وضع تحتشد فيه عداوة البشر و الكون."[141]هذا ما يوضح الطبيعة العدوانية التي أظهرها نجيب محفوظ عند معظم الخارجين من الزقاق من خلال الأحكام التي أصدروها عن هذا المكان الذي طالما عاشوا فيه لكنهم أرادوا التغيير فقرروا الخروج إلى أمكنة أكثر تحررا مثلما كان الحال بالنسبة لحميدة.

## 5 . طبيعة المكان وعلاقته بالشخصيات الروائية

للمكان في العمل الروائي خاصية وحقيقة بعيدة الأثر يصل من خلالها المؤلف إلى إبراز حياة طبقة اجتماعية تشابكت وتكاثفت من حولها الظروف والأحداث وجعلتها تعيش مآسي وأحزان نتيجة لأوضاع مأسوية متعددة، عنوانها الحرب وقاعدتها الدرامية الاضطهاد والاستغلال في أبشع صورها.

فالمكان الروائي هو الخلفية التي يصل منها الكاتب بعد تقصيه لمجريات الأحداث، إلى تجسيد قضيته المهمة بعد أن اختار لها قاعدة طبيعية تعج بالحياة الاجتماعية، فيبرز نمط

[141] غاستون باشلا ر، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، 1984 ، ص38

الشخصيات وعلاقتــها بالمكــان، بما في ذلك آراءها ومواقفها وتعاملها مـــع الوسط الذي تحيا فيه، ولا يظهر هذا إلا من سياق حديث الشخصيات.

وينم المكان سواء كان بيتا ، أم مقهى ، أم مسجد ، أم حانة ، أم وكالـــة عن طبيعة الشخصية التي تنتمي إليه لأن الرواية : " تخلق ارتباطا بين المكان والشخصية، فالمكان كون متحقق من الروابط الطبيعية التي تجمع الأشياء وتؤالفها، وهو في الرواية قناة من قنوات الروائي للإفصاح عن الحدث وأجوائه، فالمكان الروائي يحقق تنميطا للأجواء التي يجري فيها الحدث بما يعمقه، أي -يعمق الحدث- ومن ثم فإن المكان في الرواية قادر على أن يظهر الكثير من الدلالات المرتبطة بالشخصية.[142]

فبيت الشخصية الدينية ينـم عن الوقار، والاحترام ويصبح هذا المكان صورة ناطقة وحيــة عن حقيقة الشخصيــة التي تسكنه، بخلاف الشخص الذي يرتاد الحانات، يكــون ذا سلوك شـــاذ ومنحرف وبالتالي فالأمكنة التي يتواجد فيها هذا المرء تنـــم عن طبيعتـــــه وأخلاقه.

[142]طاهر عبد مسلم، عبقرية الصورة والمكان، التعبير –التأويل-النقد، دار الشروق، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2002 ص 113.

وهكذا نجد الأمكنة على اختلافها تعبر عن الشخصية التي تسكنها بمعـنى، طبيعة هذه الأخيرة هل محترمة وطيبة أم منحرفة.

وبطبيعة الحال فإن المكان يلعب دورا هاما في عمليـــة سبر أغـــوار الشخصيات التي تتواجد فيه. فالمكان المفتوح المتحضر تكـــون شخصيتـــه متفتحة ، نشيطة ، لغتها راقيـــة ، تعاملها منظم ، لها مشاريعها المستقبليـة الخاصة , على خلاف الشخصيـــة المتواجـــدة في المكان الضيق ، المنعزل البعيد عن حياة التحضر ، فتكون لغتها بسيطة ، نابعـــة من الوسط نظرتـــها ضيقة ، محدودة تعاملها مع الغير بدائي ، تتسم حياتها بالروتين والخمـــول واستنتاجا فإن اللغة تنبع من طبيعة المكان فإذا كان هـذا الأخيـــر متفتحا، كانت اللغة متطورة وإن كان الوسط بدائيا متخلفا، كانـــت لغـة شخصياتـــه بسيطة ساذجة.

والمكان له وضيفة ودلالة هامـــة، ذلك أنه يساعد على كشف نفسيـــة أبطاله، فالمكان عندما يهب للفرد الإحساس بالكرامة والسعادة والطمأنينة، يقوى ارتباطه به بحيث هناك أماكن " جاذبة تساعد على الاستقرار وهنـــاك أماكن طاردة تلفظنا "[143]

## 6 . الحارة كمكان اهتم به محفوظ

[143] المكان والزمان عند الشعراء ، من إعداد الطالب بـوداود ودناني، رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير 93/92 ص. 64 نقلا عن مصطفى ناصف، الصورة الأدبية - دار الأندلس بيروت، الطبعة الثالثة 1983، ص 178

مما يعرف عن نجيب محفوظ ارتباطه بالحارة والأماكن الشعبية و العريقة في القاهرة: " حتى أن عناوين كثير من أعمال الرجل حملت مباشرة أسماء أماكن أثرية... من "كفاح طيبة"، إلى "الكرنك" ومن "خان الخليلي" و"زقاق المدق" إلى "بين القصرين" و"قصر الشوق" و"السكرية" و"قشتمر"."[144]هذا الارتباط الذي جعله يصبح أحد المختصين العارفين بتاريخ مصر القديم و يظهر ذلك جليا عندما يتحدث في إحدى فصول رواية زقاق المدق عن تاريخ الزقاق بطريقة المؤرخ العارف بأسرار القاهرة القديمة لا يفوت جزئية إلا و ذكرها حتى يبين عراقة المكان الذي يتحدث و علاقته بالزمن الواقعي ثم الزمن المحكي فيقول عن زقاق المدق: "تنطق شواهد كثيرة بأن زقاق المدق كان من تحف العهود الغابرة، وأنه تألق يوما ما في تاريخ القاهرة المعزية كالكوكب الدري.. أي قاهرة أعني ؟ الفاطمية ؟ المماليك ؟ السلاطين ؟ علم ذلك عند الله وعند علماء الآثار، ولكنه على أية حال أثر وأثر نفيس."[145]على هذا النحو يظهر فهم محفوظ لتواصل الزقاق بأصل الحياة وهكذا تتعدى الأماكن التاريخية في أعماله أن

[144]فاروق عبد المعطي، نجيب محفوظ بين الرواية والأدب الروائي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. الطبعة الأولى: 1414ه/1994م. عالمالحارة ص. 48

[145]نجيب محفوظ ، زقاق المدق ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ص. 1989 ص. 1.

تكون مجرد شواهد لعصور انقضت، إلى تمثيلها وعاء حضاري يخلد واقعا محددا، وعلى أوضاع بعينها عاشها شعب بعينه: "الأمر الذي جعله لا يقف أمام الزقاق أو الحارة فقط في أعماله التصويرية المباشرة، بل ويستخدمها كرمز في تصوير القضايا الإنسانية والكونية الشاملة."[146]

عن سؤال حو ل علاقة نجيب محفوظ بالحارة التي ولد بها:"لماذا أحببت الأحياء و الحارات الشعبية."[147]يجيب هذا الأخير أن الحارة الشعبية هي المكان الذي أوحى إليه جل أعماله و ظل لصيقا بها مما ساعده على الارتكاز عليها و إظهارها في جل أعماله الروائية:"الحارات الشعبية هي مواطن إلهامي و قد نشأت فيها.. نشأت في حي قرمز بالقاهرة ثم انتقلت إلى رياض العباسية و ظل قلبي معلقا بأحياء الحسين و الأزهر، السيدة زينب و خان الخليلي.إن هذه الأحياء هي مواطن إلهامي. و قد جسدتها في أعمالي الروائية."[148] هذه العلاقة بين الأديب و المكان الذي ولد و كبر فيه تكاد تكون من ضروريات نجاح العمل الروائي فارتباط روائي بمكان و زمان ما تجعله يبدع في هذا الإطار و تكون جل أعماله مخلدة لهذا الزمكان الواقعي الذي يصبح زمكانا محكيا و

[146]فاروق عبد المعطي، نجيب محفوظ بين الرواية والأدب الروائي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.ط.1 ، 1994. عالم الحارة ص.63.

[147]رشيد الذوادي،أحاديث في الأدب،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986 ، ص 33

[148]رشيد الذوادي،أحاديث في الأدب، ص 33.

يمكن ملاحظة ذلك في أعمال أدباء جزائريين مثل محمد ديب مع تلمسان و مولود فرعون مع منطقة القبائل. لقد اعتمد نجيب محفوظ ظ على الحارة في جل أعماله لما تجسده من معنى واقعي مرتبط بمعيشة مجموعات إنسانية تعارفت و تألفت فيما بينها لكونها تسكن معا في نفس الحيز الجغرافي و تتقاسم نفس المشاغل:"الحارة، و قريب منها الزقاق ، تمثل مفردة زمكانية أثيرت في عدد كبير من روايات نجيب محفوظ. تتجسد الحارة، روائيا، تجسيدات متعددة، تقارب حدود التعين المرجعي أحيانا، وتنأى عنه إذ تبدو تمثيلا لمكان الوطن أو لمواجهة الجماعة الإنسانية كلها، أحيانا أخرى."[149]

بدأت علاقة نجيب محفوظ بالحارات و الأماكن التاريخية منذ أن كان صغيرا، فقد اصطحب أمه مرات عديدة في زياراتها إلى سيدنا الحسين و الجمالية و غيرها من الشواهد التاريخية التي تأثر بها الطفل نجيب و أرخ لها بعد أن صار أديبا معروفا:"من حي "الجمالية"، أخذ نجيب محفوظ فكرة "الحارة" التي أصبحت عنده رمزا للمجتمع والعالم، أي رمزا للحياة والبشر."[150]. و لم تكن أمه تعي أنها باصطحابها له تعد إنسانا سوف تكون له درجة كبيرة بين الأدباء

[149]حسين حمودة، في غياب الحديقة، حول متصل الزمان/ المكان في روايات نجيب محفوظ، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2007 ، ص.166.
[150]رجاء النقاش، في حب نجيب محفوظ، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2006.ص18

العرب و العالميين فهي لم تكن تفعل ذلك إلا للزيارة و التبرك: "لم تكن أم نجيب متعلمة أو مثقفة، لكن الحكاية بدأت حين أخذها مرة زوجها ...إلى زيارة بعض الأماكن الأثرية.. كان أبوه متحررا بعض الشيء فسمح لها أن تكرر مثل هذه الزيارات.. وكانت الأم منطلقة على خلاف جيلها، لذا كثيرا ما اصطحبت نجيب في يدها وخرجت حتى من منطقة الجمالية والحسين لتزور الأهرام والمتحف المصري، ناهيك عن الأماكن الأثرية الإسلامية والقبطية."[151]

نجيب محفوظ نفسه لم يكن يستوعب ذلك فبسذاجة الطفل كان يستمتع برؤية المواقع الأثرية المصرية دون أن يسأل عن معناها و تاريخها فأمه ما كانت لتجيبه و هو ما كان ليتجرأ على ذلك ربما خوفا من منعه الزيارة مرة أخرى.في هذا المجال يقول محفوظ: "حتى الآن لا أعرف كيف كان يحدث ذلك. إذ لم أكن في سن تسمح لي بتوجيه الأسئلة والاستفسار.. كنت أمشي في يدها وخلاص."[152]

كانت الأم و ابنها نجيب يترددن لمرات عديدة على المكان الواحد مما جعل الطفل نجيب يبقى في اتصال دائم مع الأماكن القاهرية

[151]فاروق عبد المعطي، نجيب محفوظ بين الرواية والأدب الروائي،دار الكتب العلمية، بيروت. ط.1 ، 1994. عالمالحارة ص.63

[152]فاروق عبد المعطي، نجيب محفوظ بين الرواية والأدب الروائي،عالم الحارة،ص.63

العتيقة عامة و مع الأماكن المقدسة على الخصوص وبالتالي أصبح لديه شبه قناعة بان مصر هي مركز العالم قديما و حديثا فلا يتحدث في أدبه إلا عنها و حتى لو أراد أن يتناول موضوعا اجتماعيا، سياسيا أو دينيا علميا، تكون مصر (القاهرة) هي المكان الذي يبني عليه خياله الأدبي و يستلهم منه شخوصه: "وهكذا تدعم رباط المولد الذي نشأ بين نجيب محفوظ والجمالية والحسين وأضافت الزيارات الروحية هذه الكثير إليه .. وتكونت بينه وبين القاهرة القديمة وناسها علاقة غريبة تثير عواطف حميمة ومشاعر غامضة."[153]

من خلال زيارات نساء الحارات و الأزقة المجاورة للمنطقة التي كان يسكنها الطفل نجيب لامه عرف الأديب العديد منهم و كيف كن يتصرفن لما يتشاجرن فيما بينهن و في علاقتهن بالاحتلال الانجليزي و كيف كانت بعضهن تأتي لتبيع الحلي و أشياء أخرى ما جعله يقتبس في العديد من أعماله شخصيات لها ارتباط وثيق بنساء الحارة. فقد كان يحب الإصغاء بشغف إليهن و في ذلك يقول: " عشت حياة ممتعة ... كانت النساء يجئن ليرهن الحلي

[153]فاروق عبد المعطي،نجيب محفوظ بين الرواية والأدب الروائي،عالم الحارة ص.66

والمصاغ، وطول النهار أتحدث مع الحواري والأحياء الشعبية.وككاتب استفدت كثيرا من هذه الشخصيات."[154]

ابتداء بخان الخليلي التي كتبها سنة 1945 التي تشير إلى الواقع المصري المواكب للحرب العالمية الثانية. بدأت كتابات محفوظ تعتمد على توظيف المشاهد الواقعية للحارات القاهرية. وفي رواية زقاق المدق يظهر المشهد أكثر واقعية و تختلط الشخصيات الحقيقية بالخيالية و الأماكن الموجودة في الواقع بالأماكن الموجودة في الخيال الروائي. فالحارة بفضل أعمال محفوظ تجاوزت طابعها المحلي لتصبح ذات مدلول عالمي: "وهكذا نرى أن الحارة مكانا شموليا، بل عالميا في أدب نجيب محفوظ."[155]

فقد تمكن من أن يجعل من هذا المكان الصغير بالمقياس العمراني الذي يستطيع أن يتسع لكثير من الأشخاص إذا ما أرادوا العيش بداخله، مكانا كبيرا اشمل من المجتمع بأكمله بل و اشمل من العالم. لان بداخل الحارة تظهر نماذج مصغرة لشخصيات من الواقع و أحداث وطنية و دولية يكون صناعها من داخل الحارة الصغيرة من داخل الزقاق الصغير. و بالتالي فالصراعات داخل الحارة ترمز إلى الصراعات داخل المجتمع و داخل العالم الكبير الذي نعيش بداخله:"وفي مرحلة أدبية أخرى

[154]فاروق عبد المعطي، نجيب محفوظ بين الرواية والأدب الروائي،عالم الحارة ص.67
[155]فاروق عبد المعطي، نجيب محفوظ بين الرواية والأدب الروائي،عالم الحارة ص.74

تصبح الحارة أكبر من المجتمع نفسه، وتتحول إلى صورة للعالم كله وما فيه من أفكار ومصائر وأقدار وصراعات هائلة.[156]

و الحارة التي وظفها نجيب محفوظ في أعماله الأدبية استلهمها من واقعه القاهري الذي ظل لصيقا به طوال سنوات عمره، سواءا عندما كان يسكن داخل الجمالية كطفل أو لما أصبح يتردد عليها كماهي عندما انتقل إلى العباسية او حتى لما سكن في العجوزة و لم يفارقها بزياراته و الجلوس في مقاهيها يوميا رفقة زملائه. لقد ظل متعلقا بها طوال فترات عمره لأنها كما يقول تحيا معه:" أماكن الطفولة تحيا معي وتوحي لي وأنا متعلق بها وجدانيا بشكل كبير."[157]

استطاعت الحارة في أدب نجيب محفوظ أن تخرج من الواقع إلى الخيال و هذا ما أعطاها القدرة على الخلود. فنحن عندما نقرأ أو نشاهد روايات مثل الحرافيش أو التوت و النبوت او زقاق المدق أو غيرها من روايات محفوظ فإنها تترسخ في ذاكرتنا و بالتالي لا ننساها، فالخيال الأدبي استطاع أن يعطي للحارة القوة على

[156] رجاء النقاش، في حب نجيب محفوظ، دار الشروق، القاهرة، طبعة 2، 2006.ص19
[157] فاروق عبد المعطي، نجيب محفوظ بين الرواية والأدب الروائي، عالم الحارة ص.67

الصمود و البقاء: إن" انتقال الحارة من الواقع إلى الذاكرة و المخيلة، هو ضمان حياتها و استمرارها."[158]

وإذا تمعنا في نصوص روايات نجيب محفوظ نلاحظ أن جل أعماله تنطلق من الحارة وهذا راجع حسب اعتقادنا إلى كونه نشأ و تربى في هذه الحارة و كل الحكايات التي سردها في أعماله الروائية خاصة يكون إما قد رآها أو سمعها داخل الدرب (قرمز) أو الزقاق (زقاق المدق) أو الخان (خان الخليلي) وبالتالي تصبح أعماله الملتصقة بالحارة ملتصقة بشخصيته هو كشخص قبل شخصيات رواياته:"إنها حكايات الحارة التي حج منها نجيب محفوظ، و هو محور هذه الحكايات، و كل شخصياتها تدور حول شخصيته."[159]

استطاع نجيب من خلال الحارة أن يؤرخ لتاريخ القاهرة على الخصوص و مصر على العموم. فتحد ث عن الحركة الوطنية في مصر من خلال الصراعات التي صورها في أعماله، بين الطبقة الكادحة والأرستقراطية و تحدث عن العلاقة بين القصر و الشعب ثم في روايات أخرى كتبت بعد الثورة، تطرق لحكم عبد الناصر و

[158]عبد الرحيم، عبد الوهاب، جماليات الفضاء في السيرة الذاتية، موقع الأساتذة المبرزين و الباحثين في اللغة العربية بالمغرب، 2009 ، ص 1.
[159]السيد احمد فرج، أدب نجيب محفوظ و إشكالية الصراع بين الإسلام و التغريب،دارا لوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، 1990، ص 216

الضباط الأحرار لم يسلم نظام السادات و مبارك من انتقاده. و كل هذا في قالب روائي واقعي تكون الحارة المكان المفضل لالتقاء الشخوص المختارة من طرف الأديب من أجل التعبير عن آراءه في السياسة و الاقتصاد و التعليم و الدين و غيرها من المواضيع الهامة التي تشغل بال المواطن المصري والعربي معا.

عندما يعود نجيب محفوظ إلى مرحلة الطفولة و يتذكر كيف كانت الحارة فكأنما يتحدث عن الحارة التي تجسدت في رواياته، فلا نستطيع ان نفرق بين الحارة الحقيقية و الحارة الروائية و هذا يجعلنا نعترف لمحفوظ بمقدرته العجيبة على نقل الواقع الى الخيال بصورة أقرب إلى الواقع منها إلى الخيال. فهو يعطي لكل جزئية قيمتها حتى لا يظهر نقص من شأنه ان يبعد الصورة الفنية عن الصورة الواقعية فلقد :"كانت الحارة في ذلك الوقت عالما غريبا، حيث تتمثل فيها جميع طبقات الشعب المصري، تجد مثلا ربعا، يسكنه ناس بسطاء، اذكر منهم عسكري بوليس، موظف صغير في "كبانية" المياه، امرأة فقيرة تسح بفجل أو لب، و زوجها ضرير، لهم حجرة في الربع، و أمام الربع مباشرة تجد بيتا صغيرا تسكنه امرأة. من أوائل اللواتي تلقين التعليم و توظفن، ثم تجد بيوت أعيان

كبار."[160]إن الحارة الذي خلدها نجيب محفوظ في الكثير من أعماله لم تكن إلا الحارة الواقعية التي عرفها و هو صغير وبقي مرتبطا بها في كبره حتى انه بقي مواظبا على زيارتها رغم بعد المسافة التي كانت تربطه بها بعد أن أصبح يسكن في العباسية و هو مراهق ثم العجوزة بعد أن تزوج:" إنها في بعض الأحيان الحارة الواقعية التي عرفتها في طفولتي مثلما في زقاق المدق."[161] لقد تغير وجه الحارة التي تحدث عنها نجيب محفوظ فلم تعد تلك الوحدة التي كانت كل المدينة فلقد عوضت الشوارع الكبيرة الدروب الصغيرة و بالتالي هجرها الناس و راحوا يسكنون الميادين الجديدة و العمارات الشامخة و المساكن الكبيرة و اختفت جل المظاهر الاجتماعية المرتبطة بالحارة القديمة في المجتمع المصري فلقد:" أصبح للحارة الآن تخصص فئوي، فليس الجميع الذين يسكنونها و الأمر لم يكن كذلك في الماضي حين كان المجتمع المصري كله ممثلا فيها بكل فئاته بل حتى بجنسياته فقد كان هناك المصري و التركي و الخواجة."[162]لقد اختفت كل مظاهر التلاحم و الترابط بين سكان الحارة ولم تعد تدار شؤونها بنفس النظام الذي كان معتمدا في الماضي و بالتالي لم يعد مجال

[160]جمال الغيطاني، نجب محفوظ تذكر، دار المسيرة، بيروت، 1980 ، ص10
[161]نجيب محفوظ، وطني مصر. حوارات مع محمد سلماوي، دار الشروق، القاهرة، 1998 ، ص14
[162]مصطفى محمد، موسى، نجيب محفوظ نوبل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005 ، ص235

للحديث عن الفتوة و الحرافيش و المشربية التي تطل منها النساء و المقهى الشعبي الذي يجلس جميع أبناء الحارة لتناول المواضيع التي تهم السكان. فالحارة قديما كانت:"مبلطة وتكنس و تغسل مرتين في اليوم الواحد، على أن أجمل ما كان في الحارة هو تلك الرابطة التي كانت تربط بين جميع أهل الحارة...فهل يعرف الآن أي ساكن في شوارع المدينة من الذي يسكن إلى جانبه."[163] و لعل هذا الحنين إلى الماضي البعيد زمنيا القريب من ذاكرة و روح نجيب محفوظ هو الذي جعله يبدع العديد من الروايات ليبث فيها من روح الحارة ما اندثر، و زقاق المدق واحدة من الروايات التي صورت بصدق الحارة و الزقاق كما كان في الماضي البعيد القريب، إضافة إلى المكان، عني الأدباء أيضا و منهم نجيب محفوظ، بالزمان كقيمة أدبية و كعنصر أساسي في بناء الرواية.

[163]مصطفى محمد، موسى، نجيب محفوظ نوبل، ص 236.

# الفصل الثاني

# الرواية و الزمان

**1.تعاريف الزمن**

يحيل مفهوم الزمن أحيانا إلى المدة التي يحتاجإليهاالإنسان لإنجاز عمل ما و إن كانت المدة عند المتقدمين أقل اتساعا و شمولية من الزمن حسب رأي العسكري: «أقصر المدة، أطول من اقصر

الزمان."[164] في القاموس المحيط نجد هذا التعريف الذي يشير إلى مفردة الزمن المفرد المفردات الدالة على الجمع:"اسم لقليل الوقت و كثيره والجمع أزمان و أزمنة و أزمن" [165] و عند ابن منظور في لسان العرب نجد هذا التعريف الذي يعتمد على العلاقة بالكون و الطبيعة:" زمان الرطب و الفاكهة و زمان الحر و البرد، و يكون الزمن شهرين إلى ستة أشهر، و الزمن يقع على الفصل من فصول السنة و على مدة ولاية الرجل و ما أشبهه و أزمن الشيء طال عليه الزمان و أزمن بالمكان أقام به زمانا."[166]

### 1.1 الزمن من المنظور الفلسفي

لقد كان أول المهتمين بالزمان الفلاسفة فلكونها أم العلوم لا نجد فيلسوفا لم يتطرق إلى الزمن و يحاول أن يعطيه تعريفا أو أن ينجز مؤلفا حول نظرة الفلسفة إلى الزمن: "لقد سجلت الفلسفة أولى بدايات الانشغال بهاجس الزمن الذي حاول الفلاسفة طرق بوابته، والبحث عن كنهته"[167]فبالنسبة للفلسفة الحديثة نجد هيدقر يعتبر أن الزمان و الوجود مرتبطان ارتباطا و أن الحياة لا معنى لها بمعزل عن الزمان، فهو يعتبر:" المقولة الأساسية للوجود . فهو مشحـــون بمغزى بالنسبة للإنسان، لأن الحياة الإنسانية تعاش

---

[164]العسكري، ابو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل ، الفروق في اللغة، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1973، ض.189 .

[165]الفيروز، أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، شركة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، ط2، 1952 ، ج3،ص 233-234

[166]ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس، نسقه و وضع فهارسه: علي شيري، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1992 ، مادة زمن.

[167]وهيبة بوطغان، البنية الزمنية في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي، مذكرة ماجستير في الأدب العربي، جامعة المسيلة، 2009 ، ص.6

في ضل الزمـــــن."[168]في الأساطير اليونانية نجد رواية تصور كرونوس إله الزمن و هو يأكل حتى يضمن الخلود لنفسه بقطع نسله حتى يتمكن من إيقاف الزمان: "كرونوس اله الزمن و تصويره يلتهم أبناءه."[169]عند الفلاسفة المسلمين نجد العديد من التعاريف للزمان و يعتبر ابن رشد من أكثرهم اهتماما بموضوع الزمان و هذا راجع لما كان مطروحا أيامه من أسئلة حول الوجود و القدم و الخلق و مدة خلق الوجود و علاقة كل ذلك بالخالق. فالزمانعند ابن رشد: "شيء يفعله الذهن في الحركة لأنه ليس يمتنع وجود الزمان إلا مع الموجودات التي لا تقبل الحركة، أما وجود الموجودات المتحركة أو تقدير وجودها فيلحقها الزمان ضرورة."[170]

**2. الزمن و الدراسات الأدبية**

رغم الاهتمام الذي أولته الفلسفة للزمن فإننا لا يجب أن نغفل مدى اعتماد الدراسات الأدبية على عنصر الزمن و المكان في آن واحد. فأغلب الدارسين لمعظم الأغراض الأدبية لم يغفلوا القيمة الزمنية و ما مدى تأثيرها على البناء الروائي:" إذا كان الزمن قد شكل هاجسا للبحث الفلسفي الذي وقف أمامه متأملا قديما و يجلس إلى جانبه محللا و شارحا حديثا، فإنه كان و في ذات الوقت محل

[168]هانز ميرهوف ، الزمن في الأدب ،ترجمة الدكتور أسعد رزوق ، مؤسسة فراكلين للطباعة والنشر القاهـرة : نيويورك 1972 ، ص. 51

[169]بدوي، عبد الرحمان،الزمان الوجودي، دار الثقافة، بيروت، 1973.ص. 87

[170]ابن رشد،الوليد، تهافت الفلاسفة، تقديم و ضبط و تعليق: محمد لعريبي، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1993، ص. 63

اهتمام الدراسات الأدبية التي سعت و من خلال تناولها له داخل متونها إلى بلورة مفهومه و الكشف عن نظامه و تحديد قيمته. "[171] و قد حضي الزمان منذ القدم باهتمام الأدباء لما له من ارتباط بحياة الإنسان ككائن حي أو كشخص يرمز به الأديب من خلال رواياته إلى أناس موجودين في الواقع متصلون بهذا الزمن ولهذا فان:"الزمن موكل بالكائنات و منها الكائن الإنساني، يتقصى مراحل حياته و يتولج في تفاصيلها بحيث لا يفوته منها شيء."[172] ولما كانت كل أشكال التعبير الأدبي تركز على قيمة الزمن و ارتباطه بالمكان فإن كاتب الرواية مثله مثل كاتب القصة يحتاج إلى بعض العناصر التي تمكنه من نسج خيوط عمله الأدبي و التي لولاها و لولا تكاملها و تماسكها لما كان للفعل الروائي قيمة تحصى و لما قدر له النجاح. العناصر المهمة و المعنية بالدراسة هي الشخوص، الأحداث، المكان والزمان:"فالرواية كقصة مطواة تحتاج إلى هذه العناصر البنائية التي تستمدها من الحياة حتى تنهض بفصول معماريتها و تتمثل هذه العناصر في: الشخوص، الأحداث،الأمكنة، الأزمنة...هذه العناصر المترابطة التي تجمعها وشائج وصلات عميقة لا يمكن أن نستشفها إلا من خلال عمل

[171]بوطغان، وهيبة، البنية الزمنية في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي، مذكرة ماجستير في الأدب العربي، جامعة المسيلة، 2009 ، ص. 9

[172]عبد المالك، مرتاض، في نظرية الرواية-بحث في تقنيات السرد،سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب الكويت، ع240 ، كانون الاول 1998، ص: 199

روائي متكامل العناصر متماسكالأجزاء."[173]فالرواية من وجهة نظر الباحث المغربي محمد برادة هي: "فن شكل الزمن بامتياز، لأنها تستطيع أن تلتقطه و تخصه في تجلياته المختلفة."[174] فالفن الروائي يؤدي واجب إبراز القيمة الزمنية بكل ما فيها من قيمة أدبية و بالتالي فالأديب يظهر من خلال فنه الروائي التقنيات و الأبعاد الفلسفية لفعل الزمن و بالتالي فان العديد من الفلسفات التي أرادت تفسير الزمن اعتمدت على الأدب لشرح خطوطها العريضة نذكر على سبيل المثال الفلسفة الوجودية و فلسفة العبث. فالفن الروائي: " تتجلى فيه روعة الزمان بتقنياته و فلسفته و مفاهيمه المختلقة."[175]انطلاقا من الرؤية المختلفة التي ولجتها الرواية الحديثة أصبحت الأحداث لا تتوالد: "بحكم السبب و النتيجة و لا تستقر كل أبعادها في أرض الواقع."[176]و فيما يعتبر ألان روب غرييه أن الزمن في العمل الروائي هو : "المدة الزمنية التي تستغرقها عملية قراءة الرواية...لان زمن الرواية...ينتهي بمجرد الانتهاء من القراءة."[177]يذهب جان ريكاردو إلى كون

---

[173]بوطغان، وهيبة، البنية الزمنية في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي، ص. 22
[174]برادة، محمد، الرواية أفقا للشكل و الخطاب المتعددين، مجلة فضول، مجلد 11 . ع4 ، 1993 ، ص. 22
[175]مرتاض، عبد المالك، النص الأدبي من أين؟ و إلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص.83
[176]زايد، عبد الصمد، مفهوم الزمن و دلالته، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988، ص. 190
[177]القصراوي،مها حسن، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، عمان، ط1 2004 ص.49

الزمن الروائي ينتظم في زمنين: "زمن القصة و زمن السرد."[178]وبالتالي يمكننا دراسة الفعل الأدبي بالارتكاز على: "العلاقات الزمنية بين المحورين."[179]أما ميشال بوتور فقد تناول ظاهرة الزمن من خلال اقتراحه لثلاثة أزمنة ينعكس كل واحد منهما على الأخر: "كثيرا ما ينعكس زمن الكتابة على زمن المغامرة بواسطة زمن الكاتب."[180]والزمن في العمل الروائي يمثل عنصرا هاما مـــن العناصر الفنيـــة التشكيلية، ذلك أن فن القص من أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالزمن، بحيث أنه لا يمكننا أن نجده مستقلا أو بمعزل عـن باق عناصر الرواية، بمعنى لا يمكن استخراج مؤشر الزمن من النص مثـــل ما نستخرج الشخصيات أو الأشياء."إن بناء الرواية يقوم من الناحية الزمنية على مفارقة تؤكد طبيعـــة الزمن الروائي التخيلية فمنذ كتابة أول كلمة يكون كل شيء قد انقضى"[181]

و تعتقد الناقدة فاطمة الزهراء محمد سعيد، أن الزمان و المكان معا يعتبران الركيزة الأساسية للإدراك العقلاني و بالتالي فكان من المنطقي أن يعتمد الأدباء عليهما من أجل إيضاح مدى تأثيرهما على المسار السردي و الارتباط بين الشخوص و

[178]يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997 .ص. 67
[179]يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، ص68
[180]يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي ، ص.69
[181]سيزا قاسم ، بناء الرواية ص 36

العناصر الأخرى. ومن هذا الاهتمام أصبح من الطبيعي أنيعتنيبإبرازالأشكال الزمانية المقترحة من طرف النقاد:"لما كان الزمان والمكان ركيزتي الإدراك العقلاني فكان من الطبيعي أن يستعين الروائي بهما، وجاء تمثلها في المسيرة الروائية مختلفاً فهناك روايات تبرز المكان وتأثيره أكثر من إبرازها للزمان، وهناك روايات تعنى بالزمان أكثر من عنايتها بالمكان وكان ذلك في الروايات التقليدية. ولما تطورت المسيرة الروائية بدأت استخدامات متنوعة للزمان (اللازمان- الزمن النفسي- الزمن الفني- الزمن المنطقي الواقعي)."[182]

ويبين جوزيف كيسنر مدى ارتباط الزمان بالمكان باعتبار أن العنصرين لا يبرزان إلا بارتباطهما و بالتالي فلا يمكننا ملاحظة أو فهم الأول بمعزل عن الثاني و بالتالي فلا توجد رواية مكتوبة لا تتضمن ارتكازا أو حتى إشارةإلىالزمكان:"ليس باستطاعتنا ملاحظة المكان إلا في الزمان، و هذا الأخير في المكان."[183] ويشير كيسنرإلىأن الكاتب يسير فضائيا بمجرد اهتمامه بالفضاء الروائيأي انه باعتماده على عنصر الفضاء في النص الأدبي. لكن اعتماد الفضاء مع إغفال الزمن يترك العمل ناقصا :"أن نكتب هو

[182]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981

[183]جوزيف، كيسنر، شعرية الفضاء الروائي، ترجمة لحسن أحمامة، ط1 إفريقيا الشرق، 2003، ص. 22

أن نصير فضائيين، فليس هناك فن زمني بدون فضائيته."[184]أما تزيفيطانتدوروف فيقسم الزمن في الكتابة الروائية إلى:" زمن القصة المتعلق بالعالم المتخيل الذي يبتكره الراوي، زمن الكتابة: و هو زمن متعلق ومرتبط بزمن التلفظ و زمن القراءة: الزمن الضروري لقراءة النص."[185] و في هذا السياق أيضا نجد هذا التقسيم الذي يطرحه جيرار جينيت و الذي يقسم من خلاله الزمن الروائي إلى زمنين:"زمن الشيء المحكي... وزمن الحكي."[186]"و يذهب ميخائيل باختين إلى اعتبار الزمان و المكان متصلين و لا يمكن الفصل بينهما من أجل دراسة الإبداع الأدبي و بالتالي فان كلا منهما ينصهر في الآخر و يصير غير مفهوم بدونه:"مفهوم الزمكان، فيما حدده ميخائيل باختين، يشير إلى اتصال الزمان والمكان ويعبر عن الترابط الوثيق بينهما أو يفصح عن العلاقة الجوهرية المتبادلة بين هذين العنصرين وقد تم استيعابها في الأدب استيعابا فنيا... انصهار علاقات المكان والزمان في كل واحد مدرك ومشخص."[187]ويقارن بعض النقاد الزمن القصصي بالزمن اليومي الذي يعد بالدقيقة و الساعة. فالقارئ يستغرق وقتا زمنيا

[184]جوزيف، كيسنر، شعرية الفضاء الروائي، ترجمة لحسن أحمامة، ط1 إفريقيا الشرق، 2003، ص. 233

[185]بوطغان، وهيبة، البنية الزمنية في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي، ص. 38

[186]سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997 .ص. 76

[187]ميخائيل باختين : أشكال الزمان والمكان في الرواية، ترجمة يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990، ص 5.

لإتمام قراءة رواية ما، يمكنه من معرفة مجريات أحداث ربما تكون قد استغرقت زمنا طويلا يحكيها الكاتب عبر صفحات مؤلفه:"الزمن القصصي، كزمن الساعة للقارئ و الكاتب يعني مدة زمنيةأيمامر من الزمن الذي وقعت خلاله أحداث القصة. فخلال بضع ساعات من القراءة يعيش المرء في الخيال مدة من الزمن تتراوح بين قرون و بضع دقائق. و مقابل الزمن الذي يستغرقه الإدراك هناك الزمن الذي يتم إدراكه، أي الزمن الذي يغطيه مضمون الرواية."[188]

الزمن الروائي الذي يوليه الكاتب عناية قصوى عند بداية الكتابة يمكن من معالجة قضية التناقضات التي يزخر بها الواقع الاجتماعي، هذه التناقضات التي كثيرا ما تأخذ أشكالا عدة تبعا لطبيعة المكان الذي تظهر فيه، وبالتالي فالزمن الروائي هو: "محاولة إدراك لتناقضات الواقع المادي والاجتماعي والنفسي، وإبراز الصراعات النوعية في مجالات رحبة رحابة الحياة، صراع الماضي والحاضر، المادية والمثالية، العلم والدين، والتصوف الثوري والوصولي والأنقياء والمدنسين، الفضيلة

[188] أ. مندلاو، الزمن و الرواية،ترجمة بكر عباس، دار صادر، بيروت، 1997 ، ص. 84

والعهر والشذوذ، المصادفة والضرورة، صراع المجتمع والسلطة، والشعب والاستعمار."[189]

بالاعتماد على التعاريف التي ذكرت يمكننا القول بأن القيمة التي يمثلها عنصر الزمن في العمل الأدبي على العموم و في الفن الروائي على وجه الخصوص يجعل منه مصدرا مهما و ذا دلالة و قيمة بالغتين في تناول الأعمال الروائية بالدراسة.فالكاتب يدرك جيدا قيمة الزمان و المكان في العمل الروائي و تأثيرهما على مجريات الأحداث وسيرها العام.ولذلك كان الروائي مثل عالم تجريبي ليس إلا مسجلا عليه أن يحصر نفسه ضمن نطاق الوقائع المعروفة. فالزمن الروائي إذا أصبح عدة أزمنة متناسقة في مسارها الفني و بالتالي فقد تعددت الدراسات بتعدد الروايات. و في هذه الدراسة نتناول إحدى أشهرأعمالالأديب نجيب محفوظ الروائية متمثلة في رواية زقاق المدق. فمعظم الأعمال المحفوظية الواقعية تعتبر:"لوحة زمنية متنامية نسجت جوهر رؤية أبناء البورجوازية الصغيرة المصرية، في تاريخنا الحديث، وبالتحديد من الثلاثينات وحتى الآن بحيث يمكن أن يصبح الإطار الزمني بكل تنوعاته وازدواجياته، موضوع دراسة الصعود الاجتماعي

[189] أبو عوف، عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، 1991، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص. 11

لأبناء هذه الطبقة، وأيضا العجز والشلل الذي بدأ يصيب عالمهم الأخلاقي، وانهيار الأسانيد الاجتماعية لدورهم التاريخي في حياتنا الآن. وبالتالي ضياعهم ووحدتهم وبوارهم ولنرصد التتابع الروائي من وجهة نظر استخدامات الزمن الروائي عبر كل أعماله."[190]

**3. مستويات الزمن الثلاث**

رغم السهولة التي طرح بها تناول مفهوم الزمن عندما تعلق الأمربالإنتاج الروائي القديمإلاأن النقاد أبدوا تباينا واضحا عندما أرادوا دراسة الزمان في الروايات الحديثة، و المشكلة التي واجهتهم تتمثل في بروز ثلاثة مستويات حددوها كما يلي:"-**زمن الخلق:** و هو الزمن الذي أنجز فيه الكاتب عمله.-**الزمن الخارجي.** و هو الزمن الذي يبقى عند طرفي الرواية أي البداية والنهاية ... إنه التوقيت القياسي للأحداث التي تجري الآن، و لذلك فإنها تروى بصيغة الحاضر و يكون هذا الزمن إطارا خارجيا لكامل الرواية.

-**الزمن الداخلي.**هو الزمن المرتبط بالشخصية المحورية في الرواية... هو زمن الماضي المستحضر بواسطة الذاكرة."[191] و بالتالي فإن الكتابة الروائية تعد نوعا ما معقدة إذا ما تعلق الأمر بالزمان لأننا لا نتكلم عن زمن واحد بل عن أزمنة متعددة.

---

[190]أبو عوف، عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، ص. 11

[191]التواتي مصطفى دراسة في روايات نجيب محفوظ الذهنية، الدار التونسية للنشر، تونس 1986، ص: 107-119 "

## 4.الزمن الروائي في الأعمال المحفوظية

تعد روايات نجيب محفوظ من أهم الروايات العربية التي اهتمت بتوظيف الزمن و هذا راجع في اعتقادنا إلى طبيعة الاتجاه الذي اعتمده في كتابة رواياته. فالواقعية فرضت على الروائيين الفرنسيين الاهتمام بالمكان كبيت و شارع و ميدان من خلال ذكر أسمائها و ربطها بالزمان و الشخوص و بالتالي فاعتماد الزمان كتاريخ لمصر من الفترة الفرعونية مرورا بالفترات الإسلامية و وصولا إلى العصر الحاضر أين تظهر رموز البرجوازية التي نشأت من هيمنة الملكية و تواطؤها مع الانجليز المحتلين لمصر. وفي أعمال نجيب محفوظ يمكننا أن نلاحظ كل هذه المراحل الزمنية إذا ما دققنا النظر و فحصنا الأعمال القديم منها و الحديث: «أعمال نجيب محفوظ ككل تشكل ملحمة زمن روائي خلقته المبادرة الإيجابية والسلبية في نفس الوقت، يضم في جوانحه على مستوى المحسوسوالصورة، والنمط الإنساني، تلخيصات واعترافات وتحقيقات وخيالات غريبة. بحث في نزعات وغرائز أبناء البورجوازية الصغيرة، واستفهام دائم عن مصيرهم."[192]وإذا تناولنا بالدراسة الفترات الزمنية التي تناولها نجيب محفوظ كان

[192]أبو عوف، عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، 1991، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص. 7

لزاما علينا أن نقسم إنتاجهالأدبيإلى زمنين زمن تاريخي و زمن ملحمي. من خلال الزمن التاريخي يمكننا ملاحظة:" تتابع الأحداث المأساوية وأيضا، العواطف الجزئية في حتمية ميكانيكية ذات إملال وغالبا ما يتجه مساره ونموه وجهة واحدة قد يتعثر في شباك (المصادفة)، والمصادفة هنا صفة غالبة في العالم الروائي عند كاتبنا، فقد تتشكل دائما في تنوعات خصبة، فتصبح غير المتوقع أو الواقع المحتوم، بقدرية مجهولة المصدر، تأخذ شكل المطلق ببعده الاجتماعي أو الطبيعي، كتعبير عن الشمول، والضرورة، أو عبث الكون، وصمته، واستفزازه للإنسان."[193]يمكن أن ندرج ضمن هذا الإطار التاريخي روايات "عبث الأقدار"، "رادوبيس" "كفاح طيبة"، وهي الروايات التي كتبها في سنواته الأولى، وبالتالي فإن معظم هذه الروايات تحتوي التاريخ المصري القديم الذي من خلاله ينتقد الكاتب الواقع المصري في مرحلة الثلاثينات و ما تخللها من أحداث وطنية و ما صاحبها من اضطراباتاجتماعية:" نرى للكاتب استخدامات صريحة وساذجة لروح ونبض التاريخ المصري القديم حيث اتجهت هذه الاستخدامات أساسا لنقد ومخاطبة الحاضر المصري في الثلاثينات، بكل ما فيه من تمزقات وغليان اجتماعيضد القصر

[193]أبو عوف، عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، ص.12

والاستعمار."[194]فالماضي الفرعوني سوف يستعمل من طرف نجيب محفوظ من أجل غرضين، الأول الرجوع إلى التاريخ لإسقاطه على الواقع الحالي، الثاني هو شرح رؤيته للحاضر برؤى الماضي أي انه رغم تغير الزمان في مصر فإن الأحداث تتشابه رغم اختلاف الشخصيات المؤثرة في الصيرورة الزمنية. فالفرعون القديم ما زال موجودا بروحه العدائية للشعب المصري:"مثلا في "عبث الأقدار" يندلع الصراع بين الإرادة لفرعون وبين رؤية قدرية لها حتمية مجهولة المصدر أن الذي سيرث العرش ابن الكاهن الأكبر، وكل الاتجاه السردي هنا متابعة لزمن نمو الطفل وحركته في خط واحد منذ هروبه من سيف فرعون المسلط على جميع الأطفال حتى سيطرته على العرش محققا رؤية الكاهن"[195]عندما يعود نجيب محفوظ إلى الزمن الماضي فإنه يحاول التعرف و التعريف بالشخصية المصرية القديمة و بالتالي يتمكن من فهم و شرح الإنسان المصري الحديث. فعودته إلى الماضي يصبح ضروريا للحديث عن الحاضر و كل إبداعه الروائي الذي سوف يلحق هذه الروايات الأولى يصب في هذا الاتجاه:"وما يهمنا من هذه العودة السريعة لمرحلته الأولى هو

[194]أبو عوف، عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، ص.12.
[195]أبو عوف، عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، ص.12.

الإحساس الحاد لديه بالزمن كمجال وإطار متنام لحركات تاريخية تستهدف الأرقى والأكمل، بجانب الرغبة في التعرف على جذور وطبيعة الشخصية المصرية، ولعل كل ذلك تمهيد طبيعي لرحلة الإبداع الطويلة التي توالت بعد ذلك ثمارها الروائية، وكانت دائما بشكل أو بآخر مناقشة وتفكيرا ومحاولة فهم وتشخيص لمعنى الزمن."[196]بالإضافةإلى الروايات التي تعد على المذهب الواقعي و التي تناولت الأسر البرجوازية و البرجوازية الصغيرة مثل الثلاثية. فالروايات الواقعية التي كتبها نجيب محفوظ تؤرخ لمعيشة بعض الأسر المصرية التي ربما عرفها الكاتب في الأحياء التي سكنها و لا نستبعد أن تكون أسرته من ضمن قائمة العائلات التي اعتمدها في كتاباته.والأسرة في كتابات نجيب ترمز إلى العالم المصغر و بالتالي فالصراعات بين أفراد الأسرة هي صراعات بين الدول:"فتاريخ الأسرة هنا يشكل نوعا من الصورة المصغرة للعالم، وعلى صعيد الإنسان أيضا، حيث تنعكس كل الحياة الماضية للبشرية."[197]إضافة إلى الزمن التاريخي يوجد أيضا الزمن الملحمي الذي يعتمد على مزج العنصر المأسوي بالعنصر التصويري و هذه المرحلة التي بدأت:" بالقاهرة الجديدة

[196]أبو عوف، عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، ص. 13
[197]أبو عوف، عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، ص. 13

وانتهتبالثلاثية يمكن أن تستحضر هذا العالم الذي يمثل الوجود الذي لا تنسى الأسرة والجماهير تبدؤه من جديد."[198]و في هذا السياق يمكن أن نتحدث عن الرابط بين جمع الروايات التي طبعت هذه الفترة الزمنية في نتاج نجيب محفوظ، فاستخدام الزمن الروائي يساعد على تقديم سير حياة بعض الأشخاص معتمدا على الترتيب الزمني السنوي:"فالروائي هنا قد لا يتعدى أن يتخيل حياة شخص ما، أو تاريخ أسرة، يلقى عليها الضوء، سنة، فسنة، ويصبح الزمن في الغالب منفذا مقياسا لمصير الإنسان، سواء كان بالصعود أو بالهبوط."[199]

فالشخصيات المقدمة في هذه المجموعة الروائية تكاد تكون متشابهة في توجيه القارئ لمعرفة خصوصيات المواطن المصري المنتمي إلى الطبقتين الارستقراطية و البرجوازية أو الذي يرغب في أن يصل إلى مراتب حكومية تقربه من الباشاواتالأسيادأوحتى الذي يريد تغيير واقعه مهما كان الثمن الذي يدفعه، حتى و لو كان الرذيلة:"والتاريخ الشخصي (لمحجوب عبد الدايم) أبرز نماذج (القاهرة الجديدة) هو في النهاية تلخيص وشاهد ساخر. ومحاولة لبلورة كل التناقضات السلوكية والأخلاقية لوجدان هذه

[198]أبو عوف، عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، ص. 15
[199]أبو عوف، عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، ص. 15

الطبقة(...)غير أنها في النهاية شخصية واحدة، إنها "حميدة" في (زقاق المدق) و"أحمد عاكف" في (خان الخليلي) و"كمال" في (السراب)و"حسنين" في (بداية ونهاية) وأخيرا وبأكمل صياغة فكرية وفي حدة الأزمة نلتقي ب"كمال عبد الجواد" في (الثلاثية)."[200]ومهما يكن من حالات التمرد لدى شخصيات الروايات المحفوظية فإنه من الواجب التنبيه أن معظمها قد تبنى أحد الأشكال الثلاث:

1.التمرد الفردي وإتقان لعبة التسلق والتطلع والتحايل.

2.ترديدات انتقائية لنوعيات متباينة لإيديولوجية يسارية تبشر بحل جذري.3.تلمس بناء رؤية مثالية جديدة تخلط بين منابع الدين الإسلامي والعلم."[201]وإذا أخذنا شخصيات رواية زقاق المدق، موضوع دراستنا فإننا نلاحظ تواجد الثلاث أشكال يمثلها شخوص اقترحها الأديب من خلال تجربته الشخصية و ما عرف من خلالها من شخصيات حقيقية كان لها تأثير في الواقع المصري، مثل شخصية رضوان الحسيني الشخصية المتدينة و حميدة الفتاة المتمردة المتطلعة لحياة أفضل من خلال تغيير المكان و الزمان.

**5.الزمن الروائي في زقاق المدق**

[200]أبو عوف، عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، ص. 16
[201]أبو عوف، عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، ص. 17

ما يجعل القارئ ينجذب إلى رواية زقاق المدق ليس فقط عنوانها الدال على عالم مكاني بالدرجة الأولى، بلهناك أيضا عنصر الزمن و الشخوص و كيف تحاول كل شخصية أن تتعامل مع المتغيرات الزمكانية عبر حيّز الحارة المكبرة المنغلقة نوعا ما عن العالم المكبر المنفتح،وما توظيف زمن الليل والنهار والبعد و القرب و الانتظار إلا لدلالات يثبت بواسطتها ارتباط الشخوص بالمكان و اعتمادها على الزمان كعنصر مساعد على التحرك من أجل التغيير:"في عالم زقاق المدق تسود صيغة الزمن الدوري الذي يراوح في مكان ثابت أو قل: يتثاءب فيه إلى أن يتم ارتباط هذا العالم بتغيرات تهب فجأة من الزمن الخطي، أي من التاريخ."[202] فنجد "نجيب محفوظ" يختار لروايتـــه زقاق المدق إطارا زمنيا يكشف عن الجو المظلم المعاش في القاهرة إبان الحرب العالمية الثانية، إذ تجــري أحداث الرواية قبيل انتهاء الحرب بقليل لتعكس لنا خلفية هــذه الحرب على أهالي الزقاقورغبتهم في تغيير أحوالهم البالغة السوء وقد صور "نجيب محفوظ" أثار هذه الحرب من خلال تلك الشريحة الشعبية، على أنها الطبقـــــة التي تنعكس عليها مباشرة أثار الحرب فعرض لمآسي أبناء الطبقة الدنيا

[202]حسين، حمودة، في غياب الحديقة، حول متصل الزمان/ المكان في روايات نجيب محفوظ، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2007 ، ص.22.

المستباحة لقوات الاحتلال من ناحية ولانتهازيي السياسة من ناحية أخـرى. إذا كان المكان يدرك إدراكا حسيا مباشرا فإن الزمان ليس كذلك، فهـو لايدرك إلا من خلال أثره في الأشياء وقد أشار إلى ذلك أبو العلاءالمعــري بقوله :"أما المكان فثابت لا ينطوي لكن زمانك ذاهب لا يثبت."[203] وقد وظف الكاتب المكان "زقاق المدق" ليمثل الثابت في مقابل الزمـن الذي مثل المتغير ،"إذ أن كل حركة في الزمن يعقبها تغيير في أحوال أهـل الزقاق بحيث أن مؤشر الزمن أفصح عن طبيعة الشخصية ، وبين أثر المال ـ كطارئ جديد ـ في تغيير حياة حميدة وحسين كرشة."[204]هكذا جاء زمن الحرب العالمية الثانية في خدمة القضية المتشعبة التي يعالجها الكاتب، موضحا مواقف الشخصيات في الرواية، وقد استنتجت من خلال قراءة النص السردي ـ زقاق المدق ـ أن الكاتب أولى عناية "فائقة لزمنين متداخلين: الزمن بالسياق والزمن الليلي."[205]

### 1. 5 .الزمن بالسياق

[203]ودناني بوداود ، رسالة ماجستير ، بعنوان المكان والزمان عند الشعـــــراء العذريين نقلا عن أبو العلا المعري ،لزوم مالا يلزم شرح نديم عدي ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق الطبعـــــة الثانيـــــة ،1988 ص 251

[204]فاطمة الزهراء محمد السعيد، الرمزية في أدب نجيب محفـــــوظ ص 76

[205]عبد المالك، مرتاض ، تحليل الخطاب الســـــردي ص 228 -235 .

وهو زمن لا ينبغي أن نقرأه بمعزل عن السياق التاريخي، إذ لا يمكـــن أن نصف مكان شهير كالقاهرة بمعزل عن سياقها أو زمنها التاريخي مثـــلا: نجيب محفوظ في زقاق المدق يعمد إلى إعطائنا الامتداد لهـــذا الحي عبر الماضي السحيق، من خلال قوله :"تنطق شواهد كثيرة بأن زقـــاق المدق كان من تحف العهود الغابرة ، وأنه تألق في تاريخ القاهـــرة المعزيـــة كالكوكب الدري لكن أي قاهرة أعني ؟ الفاطمية ؟ المماليك ؟ السلاطـــين ؟ علم ذلك عند الله وعند علماء الآثار "[206]ويحيلنا هذا التقديم إلى أن الزقاق من أقدم الشوارع التي أسست القاهـرة، و أنه كان مزدهرا حافـــلا بالحركة والنشاط، حيث أن هـــذا الزقاق " يضج بحياته الخاصة، حياة تتصل في أعماقها بجذور الحياة الشاملة "[207]كما نلمس في النص جملة من التقنيات المصطنعة إذ تعمـــدها الكاتب، لتباين الزمن والسياق التاريخي من ذلك مثلا قول فرج إبراهيم لحميـــدة:"أم حسبت أن السماء تمطر ذهبا وألماسا؟[208]والشظايا هنا نسبة إلى نيران الحرب العالمية الثانية بكل وحشيتها فكأن " السحب قد تبلورت في قطرات نارية كبيرة، تنهمر على سكان مصر فتملأ القلوب بالفزع والجيوب بالخواء

[206]نجيب محفوظ ، زقاق المدق ص 7.
[207]المصدر السابق ص.7
[208]المصدر السابق ص 216

أو التضخم. "[209]ومن الأزمنة التي ذكرها نجيب محفوظ في نصـــــه السردي باعتماده على السياق التاريخي المتمثل في ذكره للإعلام والدول، بحيث نجـــد الفاطميين ، الممالك ، السلاطين ،هتلر، الجيش الإنجليزي في مصر. كما يتمثل هذا الاستعمال الزمني في قول بوشي لزيطة : "لقد توفي عـم عبد الحميد الطالبي "[210]فلفظ"عم" هنا يشير إلى المؤشر الزمني الدال على أن المتوفى كبيـــر في السن ، ثم إن بوشي وزيطة ارتكب جريمة نبش قبر هـذا الميت، بهدف نزع طقم أسنانه مما يدل على أن الشخصية سنها عالي، بحكـــــم أن العادة تقضي بأن الذين يصطنعون مثل هذه الطقوم ، هـــم الشيوخ الذيـــن هرموا وتساقطت أسنانهم واستبدلت بأخرى اصطناعية .

**5 . 2 . الزمن الليلي في النص**

نجد " نجيب محفوظ " يتعمد البداية الليليـــــة لإضفائها جوا رومانسيا رائعا ، فيصف منظر غروب الشمس وانعكاسه على الزقاق فـي قوله: "آذنت الشمس بالمغيب والتف زقاق المدق في غلالة سمراء مـــن شفق الغروب ، زاد من سمرتها عمقا أنه

[209] غالي شكري ، أزمة الجنس في القصة العربية .
[210] نجيب محفوظ ، زقاق المـــدق ، ص 244 .

منحصرا بين جدران ثلاثة كالمصيدة."[211] وفي هذه الفترة الليلية يلجأ أهل الزقاق للسمر في مقهى المعلم كرشة .وتؤول فاطمة الزهراء محمد السعيدهذه البداية الليلية إلى أن المـــــؤلف "يقدم لنا الزقاق في حالة الغروب ، موحيا بأنه يقدم صورة مـــن الحياة على وشك الغروب ، وهو ينهي الرواية في لحظة الشروق."[212]إذ كانت الحرب على وشك الانتهاء.

وللزمن الليلي في هذه الرواية وضيفة سردية لأن السكون والظلام قـد أتاح لبعض الشخصيات أن تقوم بفعلتها المنكرة. فلـــولا الليل لـــما استطاع المعلم كرشة أن يأتي الغلمان ، ولولا الليل أيضا لما استطاع زيطة أن يقـوم بعمله القائم على تشويه أعضاء من كان يروم احتراف الشحاذة.وأثناء الليل كذلك نجد زيطة وبوشي يقومان بنبش القبر بهدف السطـو على طقوم أسنان الموتى، ثم إننا نجد حميدة تختار الليل للفرار مع عشيقها فرج إبراهيـم، وأيضا وجدنا حسين كرشة يختار الليل للعودة إلى بيت أبيه في الزقاق وهذا خفية عن الأنظار. وهكذا فإن معظم الأحداث الفاعلة في هذا النص السردي تحدث أثنـــاء الليل لأنه ساكن وليس فاضح وكاشف كالنهار. واستنتاجا فقد تعمد " نجيب محفوظ استعماله للزمن

---

[211]المصدر نفسـه ، ص 7 .

[212]فاطمة الزهراء محمد السعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ ص 76.

بالسياق والزمـــن الليلي فللأول أهمية، ذلك أن الكاتب يعطينا لمحة عن هـــذا الشارع الضارب في القدم ويبرر من خلاله آثار حرب مدمرة على ساكنيه .والثاني وأعني الزمن الليلي، فقدُوظف من طرف الكاتب لأن معظم الأحداث الفاعلة فـي الرواية كانت تجري فـــي الليل ذلك أن النهار لـــم يكـــن يسعف بعض الشخصيات للقيام بأفعالها الدنيئة. وفي زمن الليل المعبَر عنه في الرواية بالظلمة يتمتع سكان الزقاق بالسمر داخل المقهى الذي يعتب المكان الوحيد المنفتح بالنهار و المنغلق بالليل لبرودة الطقس خاصة في فصل الشتاء فعندما ينتهي الناس من عملهم يفضلون الجلوس فيه للسمر و اللعب و تدخين الشيشة و لا يتأتى هذا إلا عندما يظلم كل شيء و لا يرى إلا نور الزقاق: "وقت السمر تشمل الظلمة الزقاق "لولا النور المنبعث من القهوة"[213]

نجد في المدونة الرواية كثيرا من الإشارات الزمانية المساعدة على استهلال الفصل الروائي و في النص ما يظهر قيمة المقهى في إنارة الشارع الذي يبقى فيه الناس طيلة الليل من اجل السمر:"ساد الظلام الزقاق إلا ما يبعث من مصابيح القهوة فيرسم على رقعة من الأرض مربعا من نور.."[214]في أيام الشتاء يصبح

[213]نجيب محفوظ ، زقاق المـــدق ، ص 62 .
[214]نجيب محفوظ ، زقاق المـــدق ، ص 14 .

النهار مظلما لان الشمس لا تظهر للناس الا عندما تكون في وسط السماء: "في الثلث الأول من النهار يكتنف الزقاق جو رطب بارد ظليل: لا تزوره الشمس إلا حين تشارف كبد السماء ... بيد أن النشاط يدب في الأركان منذ الصباح الباكر"[215]

بعد العصر يعود الظلام الى الزقاق و هو موعد الانتهاء من العمل عند البعض و البدا فيه عند البعض الآخر. فهناك من يعمل ليلا مثل زيطة و غيره و هناك من يذهب إلى الملاهي الليلية الشيء الذي جعل حميدة تتأثر بهذا الجو المسائي و تحاولان تخرج من الزمن الليلي في الزقاق إلى الزمن الليلي في الملاهي مع الانجليز:"العصر...عاد الزقاق رويدا رويدا إلى عالم الظلال: والتفت حميدة في غلالتها..."[216]لما يأتي المساء يتغير كل شيء و تغير الشخصيات الروائية نمط حياتها فمنها من يبقى داخل الزقاق ومنها من يخرج منه لأنه لا يتحمل السكون الذي يحيط به:"نشر الظلام رواقه على الزقاق وأطبق على جنباته سكون عميق.."[217]

وتبقى الشخصيات الزقاقية على هذا الحال إلى أن يأتي الصباح فتعود لحياتها الطبيعية بفتح الدكاكين و الوكالات و تجاذب أطراف الحديث عن السياسة و غيرها من المواضيع التي تشغل

---

[215] نجيب محفوظ ، زقاق المــدق ، ص 30

[216] نجيب محفوظ ، زقاق المــدق ، ص 39 .

[217] نجيب محفوظ ، زقاق المــدق ، ص 222 .

بالهم:"أضاء الصباح بجنبات الزقاق. وألقت الشمس شعاعا من أشعتها على جدران الوكالة ودكان الحلاق.."[218]

يمكننا إذنأن نقول أن نجيب محفوظ اعتمد على تناوب الأزمنة ليعبر على تعاقب الأوقات في الليل و النهار و أشارإلى ذلك من خلال العبارات التي اعتمدها مثل: " الصباح، العصر، الليل، المساء..."،فالزمن الطبيعي إذن اعتمده الكاتب لينضم الزمن الروائي وهذا ظاهر داخل الزقاق حيث يتحدث شخوصه عن القيام بحوائجهم بالتعامل مع زمن الساعة، كما نجد الراوي يسرد لنا الأحداث مشيرا في معظم الوقت إلى الزمن الطبيعي. عندما تخرج حميدة من الزقاق إلى المدينة يعتمد الكاتب أيضا زمن الساعة أو ما يسمى بزمن المدينة: "سيقول فرج إبراهيم لحميدة وهو يسعى إلىإخراجها من الزقاق: سيعود بك التاكسي في دقائق"[219]

فالدقيقة هنا لا تعتمد في الزقاق لان أهله لا يعيرون الزمن بالدقيقة أهمية كبرى فحوائجهم تفضي بالساعات. لكن حميدة التي تشتاق للخروج من الزقاق مستعدة حسب تعبير الكاتب لان تتعامل

[218]نجيب محفوظ ، زقاق المـــدق ، ص 283 .
[219]نجيب محفوظ ، زقاق المـــدق ، ص 158.

بالدقيقة: "وحميدة إذ تستعد للخروج، سوف تأخذ زينتها وتنتهي إلى الطريق في أقل من دقيقة."[220]

## 5 . 3 .الزمن المتأرجح في زقاق المدق

في رواية زقاق المدق يتقلب الزمان بين الليل و النهار حيث:"تسود صيغة الزمن الدوري المتأرجح بين الليل و النهار."[221]كماتمكننا الرواية من معرفة التصادم الموجود بين الزمن الواقعي و زمن الرواية. فالرواية تشير إلى تقلبات زمنية أثرت في المجتمع خلال الحرب العالمية الثانية كان لها حسب الدكتور محمود أمين العالم تأثير على أحداث الرواية فما يحدث من تغيرات على مجتمع زقاق المدق الصغير ما هو إلا صورة مصغرة على ما حدث فى العالم من جراء الحرب العالمية الثانية:"يتم ارتطام هذا العالم بتغيرات تهب فجأة من الزمن الخطى، أي من التاريخ."[222]فالتصادم الذي حدث في الرواية على مستوى واحد من خلال الليل و النهار لا ينفي تواجد ثبوت المكان و حتى الزمن لا يبقى طيلة اللاتقادم الروائي على حاله بل يتأرجح

---

[220]نجيب محفوظ ، زقاق المــدق ، ص 155 .

[221]نبيل راغب، قضية الشكل الروائي عند نجيب محفوظ، دراسة تحليلية لأصولها الفكرة والجمالية، المؤسسة العامة للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ص القاهرة، 1976، ص 106،107.

[222]محمود أمين العالم تأملات في عالم نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970، ص 41

بين أوضاع متعددة:"ثبات المكان وكرور دورات الزمن المتثائب، كأننا إزاء قانون يحكم عالم الرواية كله : وضع أصل ممتد، ثم وضع عارض عابر، ثم عودة إلى الوضع الأصل مرة أخرى وأخيرة."[223]

زقاق المدق ليست عنوانا لرواية فحسب بل هو عدة مستويات تتعقب فصول الرواية ، فهو من ناحية أوقات زمنية تنظم النهار و الليل و من ناحية ثانيةتمرد شخوصه على العالم الذي ألفوه و من جهة ثالثة هو خروج و انبهار بعالم لم يعرفوه و أرادواتجريبه: "الزقاق، من ناحية، خلال أوقات مختلفة تعتريه (هي حالات متغايرة، متعاقبة، من حالات الليل والنهار، الهدوء والصخب) يتخذ مدخلا لأغلب فصول الرواية ولأهم وقائعها الأساسية. والزقاق، من ناحية ثانية، من حيث الانتماء إلى عالمه أو التمرد على هذا العالم، يشبه اختبارا تخوضه شخصيات الرواية، وبه وفيه تتحدد مصائرها. والزقاق، من ناحية ثالثة، من زاوية عزلته المحققة عن أحداث العالم الخارجي، ثم انفتاحه – الجزئي، المفاجئ- على بعض تلك الأحداث."[224]

---

[223]محمد بدوي، "المصيدة والفرائس"، جريدة "أخبار الأدب"، عدد 596، القاهرة، 12 ديسمبر2004، ص 54.

[224]غالي شكري المنتمى–دراسة في "أدب نجيب محفوظ" مكتبة الزناري، القاهرة، 1964، ص 133.

لقد استطاع إنسان زقاق المدق المطمئن أن يخرج منه و يذهب إلى خارج الزقاق حتى يتعرف على ما فيه من تغيرات مغايرة لما هو بداخله. و إرادة التغيير هنا نابعة من عدم معرفة ما هو خارج الزقاق و ليس مقارنة بما هو داخله، السبب الذي يجعل البعض يصطدم بالواقع الجديد و يقرر العودة إلى ما هو مألوف لديه لكن في بعض الأحيان بعد فوات الأوان. ومن: "خلال المستويات المتنوعة لحضور الزقاق في الرواية، يتجسد تقاطع الزمن الدوري مع الزمن الخطى، زمن الزقاق مع زمن ما هو خارجه."[225]

إن اشتياق مجتمع زقاق المدق للخروج إلى العالم الخارجي يرجع بالدرجة الأولىإلى العزلة التي يحسون بها رغم الحياة التي ينعم بها:"عزلته عما يحدق به من مسارب الدنيا...على رغم ذلك يضج بحياته الخاصة."[226]

من خلال الأطوار الزمنية التي تتعاقب على الرواية "زقاق المدق" ينقسم الإيقاع بين العالم النهاري و العالم الليلي. و يظهر هذا بوضوح في حياة الشخوص التي تنقسم ادوار حياتها بين النهار و الليل على شاكلة حميدة: "سكنت حياة النهار، وسرى دبيب حياة

[225]سليمان الشطي، الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ، المكتبة العصرية، الكويت، 1976، ص117.
[226]نجيب محفوظ ، زقاق المــدق ، ص 6 .

المساء"[227]كما يوجد عمال ينشطون طوال اليوم عدا فترات الغذاء التي تكون في الغالب قصيرة مما يدل على قساوة الحياة التي تجعل من سكان الزقاق يرغبون في مغادرته:"ضجيج لا ينقطع في الزقاق طوال النهار. عمال كثيرون لا يكفون عن العمل فيما عدا فترات الغذاء القصيرة."[228]

ومهما حدث في الزقاق من تغييرات سواء ما تعلق منها بالزمان او المكان فان نجيب محفوظ استطاع أن يحافظ على نفس الصورة التي رسمها للزمان في بداية الأحداث و كأنما يقول لنا إنالأشخاص يتغيرون و الزمن يدور و يتغير لكن المكان لعراقته باق كما هو صامد في وجه الهزات التي أصابتأصحابه.

[227]نجيب محفوظ ، زقاق المـــدق ، ص 5 .
[228]نجيب محفوظ ، زقاق المـــدق ، ص 62 .

# الفصل الثالث

# شخصيات الرواية

**1 . طبيعة الشخصيات وعلاقتها بالمكان**

لقد دأب نجيب محفوظ على انتقاء نماذج شخصياته وفق قناعاته الإيديولوجية التي تشبع بها منذ أن كان شابا يحب الوفد كحزب يمثل مصر، ويحب الإسلام لارتباطه بالحسين كمرجع ديني للمصريين الذين تعلقوا بهذه الشخصية التي توصلهم عبر رابطة الدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما نجده جد مرتبط بالتيار الاشتراكي لما كان له من رمزية في مواجهة التيار الليبرالي الذي يرمز إلى السيطرة وحب التسلط على الشعوب. كما نراه يقدم بعض النماذج التي تسيطر عليها شهواتها من طمع وحب للمسؤولية وانتهازية واستغلال للمنصب إلى غير ذلك من الشخصيات التي طبعت رواياته، خاصة الاجتماعية"كذلك كانت دقّته في اختيار نماذجه الأيديولوجية، وتنحصر في مبادئ ثلاثة لا تتغير في مجمل أعماله ورواياته؛ أولها:انتماء يساري يجد في الاشتراكية الخلاص من المشكلات الاقتصادية التي هي المحصلة لبقية المشكلات... ثانيها: انتماء إسلامي، يجد في الإسلام الخلاص من مشكلات المجتمع القاهري على وجه الخصوص، والمجتمع المصري على وجه العموم...ثالثها: انتماء تُحرّكه الشهوات

والنزوات والمصالح الخاصة،"[229]

تتضح عبقرية نجيب محفوظ في كونه في كثير من أعماله لا يعطي لشخصية واحدة البطولة في كل القصة أي أنه يجعل من الجميع أبطالا مع تميز واحد منهم فلا نجد مثلا في زقاق المدق شخصية حميدة تطغى على باقي الشخصيات الأخرى بل أعطى لكل شخص دوره المكمل للشخص الأخر وبدونه لا يمكن تصور الأخر: "لا يوجد من بين شخصيات هذه الرواية بطل مطلق. فكل شخصياتها أبطال يؤثرون في مجرى الأحداث بالدرجة نفسها، وإن كان اهتمام الكاتب قد انصب في بعض الأحيان على بعض الشخصيات مثل (حميدة) إلا أن هذا الاهتمام لم يمنحها حق التفرد ببطولة الرواية، فبقي لكل شخصية فيها بطولتها."[230] اعتنى نجيب محفوظ بتقديم الشخصية وإعطائها الدور الذي سوف تلعبه في الرواية وإمدادها بالشحنات الواقعية التي تجعل منها قريبة من الشخصيات التي نراها ونتصل بها في الواقع. كما تمكن من إبراز ملامح الشخصيات من خلال اختيار الصيغ اللغوية التي تتكلم بها:" اتضحتْ قدرة نجيب محفوظ في تناول موضوعه القصصي

---

[229] أمين، أبو ليل، الصراع الأيديولوجي في روايات نجيب محفوظ ما بين التاريخ والإسقاطات الخاصّة، الحاج رضوان الحسيني زقاق المدق نموذجاً، بحث مقدَّم إلى الأسبوع العلمي الخامس لكلية الآداب والفنون، 14-2007/1/18م، ص 2

[230] سماهر، الضامن، 28-09-2008 *http://sanabsi.com/forum/showthread.php?t=53328* **الإنسان والمكان في زقاق المدق،**

على براعة توزيع الأضواء والألوان والقدرة على توضيح خصائص الشخصية في التناسب والتلاحم مع الصياغة اللغوية ولغة الحوار التي تواكب كل شخصياته."[231]زيادة على ذلك استطاع أن يوزع شخصياته الروائية على أمكنة اختارها بمواصفات تتناسب مع مواضيع الروايات التي كتبها فكل شخصية رجالية أو نسائية استطاعت بفضل العبقرية المحفوظية، أن تترك بصماتها في الواقع الروائي:"ونجيب محفوظ قد وزعّ شخصياته بعبقرية روائية فذة وجعل تلك الشخصيات تختص بأمكنة وترتبط بها وتتنامى بين أسوارها أو جدرانها، فلكل شخصية مكانها المحبب والمتناغم مع فعلها وميولها وعوالمها النفسية."[232]وإذا كان لاختيار الشخصية الروائية دور كبير في نجاح العمل الأدبي فلا يجب إغفال دور الزمان و المكان وارتباطهما بالشخوص في ديمومة الاتصال الذي يمكن أن يستمر حتى بعد التغيرات التي قد تطرأ على الزمان والمكان: "الزقاق أو الحارة يقترنان بالزمن الروائي كما: "تقترن به شخصياتهما التي تستعيدهما...فحميدة في

[231]عيد، رجاء،دراسة في أدب نجيب محفوظ، منشأة المعارف، مطبعة الاطلس، القاهرة، 1974 ، ص8
[232]وسام علي محمد الخالدي، دلالـة المكـان في رواية بيـن القصرين لنجيب محفوظ، مجلة اللغة العربية وآدابها – العدد 7 ص 260

الزقاق حتى بعد رحيلها عن الزقاق، تظل-على مستوى ما- موصولة به."[233]

## 2 . الشخصيات المحورية و الثانوية في النص

### 1. 2 . الشخصيات المحورية

#### 1 . 1 . 2 . حميدة

تعد شخصية حميدة الشخصية المحورية التي ترتبط بها معظم الأحداث في رواية زقاق المدق. حميدة فتاة في العشرين، فقيرة جميلة، معتدلة القامة رشيقة القـــد، شابــة متمردة، شديدة الواقعية والطموح "حبها للسيطرة كان تابعا لحبها العراك"[234]. مقطوعة النسب لا جذور تربطها بالزقاق، وقد أشار " نجيب محفوظ" إلى هذا حينما جعلها ابنته بالتبني - بحيث تعيش رفقة امرأة تدعى باسمـها أم حميدة " تقتات معها على الفتات "[235] وأختها بالرضاع لحسين كرشة .كانت حميدة بطبعها قوية،عنيفة وشديدة الغضب، بحيث كان غضبها مما لا يستهان مما في زقاق المدق نفســـه."وأمها على ما اشتهرت بــه مــن القوة تتحاماها ما استطاعت "[236] بـــل إن الزقاق كلــه يتحاشى الشجار معــها وكان

---

[233]حسين، حمودة، في غياب الحديقة، حول متصل الزمان/ المكان في روايات نجيب محفوظ، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2007 ، ص166.

[234]غالي شكري، المنتمي دراسة في أدب نجيب محفوظ، منشورات دار الأوقاف الجديدة، بيروت الطبعة الثالثة 1982 م ص 146.

[235]المرجع السابق ص 144.

[236]نجيبمحفوظ، زقاق المدق، ص 27.

غضبها هذا يستحيل إلى جنون حين كانت موجته تنتاب حميـدة، كما لاحظت أمها ذلك إن جنونا لا شك فيه ينتاب ابنتها حين الغضب "[237]كانت حميدة تمقت الزقاق وأهله وتأبى لجمالها أن يحيا حياة الزقاق التعيسـة، وتنال منه واجب الأمومة فهي بطبعها لا تعبأ بشيء.وقد كان لاتصال حميـدة بالخارج ـ خارج الزقاق ـ ممثـلا في صويحباتهـا من البنات اليهود أثره البالغ، في تفتـح شخصياتهـا أكثـر على أشيـاء لا تراها في الزقاق وقد تاقت نفسها إليها. إنها تحلم بالمال ولا شيء غيره لأنه يحقق أمالها وأحلامها السحريـــة، فهي تتمنى أن يرزقها الله بزوج ثري ينتشلها من وهدتها، كما حـــــدث أن ابتسم الحظ لفتاة مثلها من الصنادقية بعد أن تزوجها مقاول ثري فما المانـع من أن يبتسم الحظ مرتين فهي ليست دون صاحبتها جمالا:"أما حميدة فطالما حلمت بالأضواء والثراء خارج حدود الزقاق المعتم. وانتهت بان تصبح المومس الضحية والمرهفة عن جنود الاحتلال."[238]فما كان يهمها من هذا الخروج هو المال مهما كانت طريقة الحصول عليه وموافقتها غير الصادقة على خطبة الحلو، ليس لأنها تحبه أو تتمناه، بل لأنها لم تنس أنه الفتى الوحيد الصالح لها في الزقـــاق

[237]المصدر السابق، ص 27
[238]أبو عوف، عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، 1991، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص17

من ناحية ، ومن ناحية أخرى كونها تحلم بزوج غني مثل الذي حظيت بــه جارتها في الصنادقية. حميدة التي كانت دوما تزدري الزقاق وأهله باحثـة عن حيـــاة أفضل، حياة فاخرة شعارها الطموح وسبيلها معروف لدى حميـــدة، إنها تتساءل متعجبة:" آه يا خسارتك يا حميدة لماذا توجدين في هذا الزقاق ولماذا كانت أمك هذه المرأة التي لا تميز بين التبن والتراب ؟ "[239] وكثيرا ما كانت تنتاب حميدة موجة من السخرية العارمة على الزقـاق وأهله، وتومئ لنفسها: "أفي هذا الزقاق أحد يستحق الاعتبار؟"[240]وتواصل سخريتها هازئة بعد أن دلفت من النافذة المطلة على الزقاق:"مرحبا يا زقاق الهنا والسعادة دمت ودام أهلك الأجـــلاء، يا لحسن هــذا المنظر ويا لجمال هؤلاء الناس"[241]لم يكن زقاق المدق وأهله البسطاء، ليسلموا من لسانها اللاذع فهـــي دوما هازئة غير مكترثة. إن محب الزقاق الفتى الأملود عباس الحلو حين كشف لحميـــدة عـن سريرته الصافية، كونه سيكون وإياها عند الزواج أسعد مخلوقين في الزقـاق ندت عنها هذه الكلمة بلا وعي وفي ازدراء شديد : " زقاق المدق "[242] عندها فقط

---

[239]نجيب محفوظ، زقاق المدق ص 31
[240]المصدر السابق ص 29
[241]المصدر السابق ص 31

[242] نجيب محفوظ ، زقاق المدق ، ص 89 .

تساءل الحلو منزعجا: ترى هل تزدري هذا الزقاق الطيب كأخيها حسن كرشة ؟ حقا لقد رضعا من ثدي واحد . "[243]أجل لم تكن لتزدريه فقط، بل كانت تمقته حتى خاطبتها أمها يوما: لا تسلقي الزقاق بلسانك، إن أهله سادة الدنيا."[244]لكن حميدة الفتاة الشرسة، المتمردة ترد في غير اكتراث " سادة دنياك أنت، كلهم كعدمهم، اللهم إلا واحد به رمق جعلتموه أخي "[245] وكانت تعني حسين كرشة أخاها بالرضاعة.ما من شك أنها تحتقر " زقاق المدق " الذي لا تربطها به أدنى صلة إنها ـ حميـــدة ـ تبحث عن الحياة الفاخرة متمــردة على العدم فراحت تسلك سبيلها عبر أقرب منال أو بعبارة أخرى عبر الطريق القصيـر كما يسميــه غالي شكري. عباس الحلـــو الذي أوتي الصحة والشباب كان ينقصه المال الــذي تشتهيه حميدة ولهذا لم يكن في وسعها أن تواصل موافقتها على خطبة الحلو بعد أن خطبها السيد سليم علوان؛ إذ في مقابل الحلو نجد السيـــد سليـم علوان صاحب الوكالة والثراء الواسع، الذي تتطلع إليه حميدة، علوان الذي أوتي المال ولم يؤت الشباب والصحة، إذ ما إن تطلع إلى الزواج بحميدة حتـــى أصيب بالذبحة الصدرية وهذا يعني ضياع الفرصة الوحيدة لحل مشكلـــة حميـدة

[243]المصدر السابق، ص 89.
[244]المصدر السابـق، ص 29
[245]المصدر السابـق، ص88

من داخل الزقاق رغم أنـــه كان في عمر جدها إلا أنها وافقت على خطبته لأنه يملك المال، لحادث الشلل الذي أصيب به علوان مغزاه من حيث التوقيت إنه لــم يقصد به نجيب محفوظ خلــق اليأس عنـــد حميـــدة فحسب، وإنما معنـــاه أيضا أن الزواج بين البرجوازيـــة الممثل في شخص"سليم علوان" وبين الضياع الشقي الذي يمثل حميدة محال:"وقد أصيبت البرجوازية بالشلل حين حاولت النزول إلى أسفل، لأن مــن دأبها أن تصعد وأن تطمح وكادت أحلام حميـــدة تشل أيضا لولا فرج إبراهيم الذي[246]" وجــدت فيه فرصتها الوحيدة للخلاص من الزقاق. إن ظهوره على ساحة الأحداث كان له أثره البالغ لقد مهد لحميدة معالم الطريق القصير نحو الثراء والغنى، ودفع بها إلى عالم المجون والإثـم وما كان أمامها إلا القبول حتى تغير حياتها إلى الأبد، وموجة الأحلام التي تراودها ألم تتحقق؟ بلى ا لقد تحققت و ما الثياب والحلي والذهب إلا آية على ذلك. الشاب " فرج ابراهيم " الذي طالما حلمت بــه كان يملك ما لم يجتمع لسواه من الرجال الذين عرفتهم، المال والقوة والعراك، وحدَّثها فرج بما يعتمل في نفسها ساخرا بالزقاق وأهلــه " لا البيت بيتك ولا الأهل أهلك إنك

[246]فاطمة الزهراء محمد السعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر / الطبعة الأولى 1981 ص 76. وقد أشار إلى هذه النقطة سليمان الشطي في الاتجاه الرمزي ص 176

من طينة أخرى يا محبوبتي... ومن الكفر أن يعيش جسم حي، نظير، في مقبرة مليئة بالعظام النخرة..... إن الله أرسلني إليك لأرد إلى جوهرك النفيس حقه المسلوب."[247] حميدة، حتى هذا الاسم لم يكن ليلائم الحياة الجديدة التي تحياها مـــــع فرج إبراهيم. هذا الاسم كان في الزقاق، أما والحال قد تغير فحتى الأسماء تتبـــدل هكذا قال فرج إبراهيم " تيتي هذا اسمك الجديد فاحفظيـــه عـــــن ظهر قلب وانسي حميدة، فلم يعد لها وجود "[248] . حميدة هذا الاســـم لا يمكنـه أن يساير دنيا من نوع آخر، دنيا تشترط تغيير حتى الأسماء يضيف فرج إبراهيم " فليس الاسم بالشيء التافه، هو بالأحرى كل شيء وما الدنيا لـــــو تعلمين إلا أسماء."[249]

وهكذا تغيرت حميدة إلى"تيتي" وانتقلت إلى وضـــع لا عهـد لها به حتى صعب على الحلو يوم التقى بها التعرف عليها ما جعله يشعر بالذهول.

وهكذا تخرج حميدة من الزقاق، هذا الماضي المظلم، البائـد والبائس في الوقت نفسه إنه بالنسبة لها الوراء الثابت، العفن على حين تصبو نفسها المتمردة إلى المستقبل وإلى الطموح الذي

---

[247] نجيبمحفوظ، زقاق المدق ص 194
[248] المصدر السابق ص 215
[249] المصدر السابق ص 215

تستطيع بواسطتــه الحصول على المال وتحقيق الآمال. تقطع إذا حميدة علاقتها بزقاق المدق وتدخل عالـــم الدعارة من أوسع أبوابه بدءا بفرج ابرهيم التاجر الفاجر الذي جعلها فريسة في أيدي الانجليز وراح يقول عنها " مليحة بـــــلا أدنى شك وهيهات أن ُيكذبني ظني فهي موهوبة بالفطرة هي عاهرة بالسليقـــــة وسوف تكون ناذرة المثال. "[250] ووقعت حميدة في حمأة الرذيلة ووصلت إلى الطريق المسدود بعـــــد مغامرة بدأت بالعوز، ثم "بالرغبة انتهت إلى الطريق القصير. "[251] وأدركـــــت حينها أنها "لكي تتمرغ في التبـر، ينبغي أن تتمرغ فـــي التراب"[252]. وشخصية حميدة لا تبتعد كثيرا عن شخصية محجوب عبد الدايم في القاهرة 30: "إن حميدة بطلة هذه الرواية هي صورة أخرى في الحقيقة من محجوب، يحركها كذلك الطموح والفقر أراد هو أن يخرج عن إطار حياته الضيقة بأي ثمن، وأرادت هي كذلك أن تخرج من إطار زقاقها الضيق بأي ثمن، فأصبح هو قوادا وأصبحت هي عاهرة."[253]

---

[250] نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص 197

[251] غالي شكري، أزمة الحنين في القصة العربية، الطبعة الأولى 1962، منشورات دار الآداب بيروت، لبنان.

[252] عزيزة مريدين، القصة والرواية ( د م ج ) ص 91

[253] العالم، محمود امين، من عبث الأقدار إلى السراب، عن كتاب تأملات في عالم نجيب محفوظ، 1970 ، ص.34

لو تمعنّا قليلا في هذه الشخصية المحورية لوجدنا أنها ترمز- أي حميدة - بنسبة كبيرة إلى مصر وسياستها التي كثيرا ما تميزت بالفشل على مدى عقود من تاريخها السياسي والاقتصادي. خاصة ما ميز المرحلة التي تزامنت مع أحداث رواية زقاق المدق أي ما بعد الحرب العالمية الثانية:"وهناك أيضا شخصية حميدة تلك الفتاة التي يمكن أن نرى فيها - إلى جانب واقعها - رمزا للسياسة المصرية؛ إذ يحبها الجميع ويلتفون حولها، فربما كانت انحرافات حميدة رمزا لبعض انحرافات السياسة التي أدت إلى سقوط مصر خلال الحرب العالمية الثانية... فقد سقطت حميدة لضعفها الاقتصادي الشنيع وسقطت مصر أيضا لنفس السبب لقد كانت منهارة اقتصاديا، مما جعل الانجليز يسيطرون عليها – في تلك الفترة –ويحددون لها شخصيتها وسلوكها."[254] فشخصية حميدة إذا لا تمثل فقط الإنسان المعرَّض للفشل والانتكاسات في حياته بل أيضا البلد والأمة التي كثيرا ما تواجه الصراعات والضربات الموجعة التي تحد من عزيمتها وتجعلها غير قادرة على تطوير نفسها إلى أن تحين الفرصة التي تُخرجها من أزمتها وتمكنها من

[254]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981،ص،15.

النهوض ثانية وهذا ربما ما أراد نجيب محفوظ شرحه من خلال شخصية حميدة.

### 2 . 1 .2 . عباس الحلو:

عباس الحلو فتى في العشرين شخص وديع هادئ مستسلـــم، دمـــــث الأخلاق، طيب القلب كان بطبعـه قنوعا عزوفا عن الحركـة هيابا لكـــــل جديد."[255] إنسان مثالي رومانسي ميالا بطبعه إلى المهادنة والمصالحة يحافـــظ على أداء واجباته الدينية من صلاة وصوم "ولا تفوتـــه صلاة الجمعـــة في سيدنا الحسين "[256]. كان عباس عكس حميدة، يحب الزقاق ويؤثـره على الدنيا جميـعا في حيـن تمثـل حميـــــدة النقيض" لهذه الصفات والصراع بين النقيضين هو محور المأساة. "[257]هذا الصراع الذي ينم إلا من خلال الحب الذي كان من جانب واحـد، من جهة عباس الحلو والرغبة في حياة فاخرة وأرغد من معيشة الزقـــاق التعيسة من جهة حميدة الفتاة المتمردة.

كان البناء الداخلي لشخصية الحلو قائما على مبدأ الضعـف والفقـــر، والإخلاد إلى الخمول والجنوح للإقامة في زقاق المدق، وقضاء السهـرات في مقهى المعلم كرشة.لم يكن الحلو يتطلع

---

[255]نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص. 39
[256]المصدر السابق ص 36
[257]غالي شكري المنتمي، ص 145.

يوما إلى تغير حياته والخروج من الزقاق ـ المكـان الذي يحبه لأنه كان مبغضا: "للأسفار ولو ترك وشأنــه ما اختـار عن المـــــدق بديلا. "[258]ولكن ما ذا تراه فاعلا ؟ وحسين كرشة يدفع به إلى هجر هــذا المكـان والبحث عن عمل نافع يذر عليه مالا يمكن أن يملأ به عيني حميدة اللتين لـم تكونا تشبعان منه وليكن هذا العمل في الجيش البريطاني الذي كان متواجدا آنذاك بمصر وراح حسين كرشة يقول له بلهجة حادة: "يا لك مــن رجــل خامل، معدوم الحياة،عيناك نائمتان، دكانك نائم، حياتك نــوم وخمول، أعياني إيقاظك يا ميت."[259] ثم أردف قائلا بلهجة حادة مرة أخرى :" السفر خير من زقاق المدق ...أنت لم تولد بعد، ماذا أكلت ؟ ماذا شربت ؟ ماذا لبست ؟ مـــــــاذا رأيت ؟ صدقني أنك لم تولد بعد "[260] ولم يكن من السهل أن يستميل حسين كرشة عباس الحلو بحديثه هــذا لولا أنه راح يقول له: إن حميدة فتاة طموح ولن تحظى بها حتى تغير ما بنفسك "[261]ترك حسين صديقه الحلو بعد أن هيج كوامن أفكاره، وأثار انفعالـــــــه، وراح عباس الحلو يعيد على نفسه كل كلمة قالها حسين لن تحظى بها حتى تغير ما بنفسك. هذا ما كان يثير الحلو لأنه كان دائما يتطلع إلى حميدة ويتعلـــــق

[258]نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص 39
[259]المصدر السابق، ص 38
[260]المصدر السابق، ص 40
[261]المصدر السابق، ص 40

بها فيتابعها في كل طريق.بل وراح يبذل المستحيل من أجل وصالها كيـف لا وهي الفتاة التي هام بحبها وشغلت فكره وسحرت لبه بل لو طلبت حميدة لبن العصفور لجلبه إليها وهو يعلم حق العلم مشقة وعناء ذلك. وقد تقاسم كل من حميدة وحسين كرشة دفع عباس للمغادرة والسفـــر فحميدة بحب عباس لها ومعرفته بطموحها الجارف، وعـــدم رضاها على حياة الزقاق البائسة، دفعته إلى مغادرته، وجاء حسين كرشة ليــزيد مــن إقناعه " بأن الحصول على حميدة يعني الطموح والعمل، والحياة الأفضل التي تتحقق خارج الزقاق . "[262]

كان عباس الحلو يأبى المغامرة نتيجة لطبيعته الخاملة ولكن ماذا تراه فاعلا ؟ وقد وجد نفسه بين نارين : حميدة من جهة وحسين كرشة من جهــة أخرى، حينها فقط تساءل الحلو : لماذا لا يسافر؟ألم يعش في هـــذا الزقـاق حوالي ربع قرن من الزمان ؟ فماذا أفاده ؟ إنه زقــاق لا يعــدل بيــن أهلـه، ولا يجزيهم على قدر حبهم له، وربما ابتسم لمن يتجهمه وتجهم لمن يبتسم له."[263]قال هذا وهو مجبر على ذلك لأنه كان متيقنا بأنه لن يجد خيرا من الزقاق فكل طموحه غايته موجهة نحو تحضير مهر حميـــدة

[262]فاطمة الزهراء محمد السعيد، الرمزية في أدب نجيب محفـوظ، ط1،1981 ، ص 76 .
[263]نجيب محفوظ ، زقاق المدق ، ص 40 .

والعودة إلى العيش في الزقاق بكل ما هو عليه من حياة متخلفة. وقرر أخيرا السفر قائلا لحميدة:" سألتحق بخدمة الجيش البريطاني، وعسى أن يصادفني من التوفيق، ما صادف أخاك حسين. "[264]كان يحز في نفسه كثيرا ترك المكان الذي ألفه وأحبه ولا يزال. وتأتـي كلمات الحلو قبل مغادرته الزقاق كاشفة عن مدى التصاقه به وأمنية العودة وهو بعد لم يفارقه، حتى أنه أخفى عن صاحبه حسين كرشـــة الكآبـــة القابضة على قلبه لفراق الزقاق الذي يحبه "[265] ثم أردف قائـــلا بصوت كالنواح " أنت السبب يا حميـــدة، أنت، أنت، السبب أنا والله أحب زقاقنا، وأحمد الله على ما يرزقني به من كفاف ... ولكنـــه وا أسفاه لا أستطيـــع أن أهيئ لك الحياة التي ترضيها، فلم أجدعن السفر مذهبا "[266] ويسافر الحلو وتكلل جهوده بالنجاح، ويوفق في عمله ويعـــود حامـــلا مهر حميدة لكن ماذا يخبئ له القدر ؟ فإن أحداثا لا شك في ذلك قد جدّت ومن أخطرها هروب حميدة، ويسقط الخبر السيئ على مسمعه كالصاعقة، حينها هتف الشاب متـــأوها ." أرأيت كيف يحلم إنسان بالسعادة، إذ الشقاء يترقب يقظتـــه ساخرا،

[264]نجيبمحفوظ، زقاق المدق، ص 87.
[265]المصدر السابـق، ص 110.
[266]نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص 108

هازئا، طاويا ، مصيره بيديه القاسيتين "[267]كانت السعادة أمله المنشود، وكانت حميدة الهدف الذي يعمل جاهدا فـــي سبيل الحصول عليه ولكن يا للأسف على ما وقـــع لفتى الزقاق الوديـــع. ويأبى هذا الشاب المخلص أن يطوي صفحـــة النسيان على اختفـــاء حميدة ويضل يبحث عنها إلى أن يجدها، لكنها تكون محاطـــة بكل معالـم السقوط في حانـــة رفقـــة مجموعـــة من الجنود الانجليز وعندما يحـاول تخليصها وإعادتها إلى منبعها وأصلها يقتل شر قتلة. وبكل بساطة تنتهي مغامرة الحلو على أيدي الجنود الانجليز، العـــدو الذي ينهب خيرات بلاده وثرواتها الثمينة، وقد استغل فوق هذا وذاك حميـدة ورمى بها في التهلكة .

قتل الحلو وانتهى عن حياة الزقاق، وهـــو بعد شاب في مقتبل العمر، وقد حزن لفقده سكان المدق حزنا لا يوصف كونه فـــــتى فاضل، طيب لا يعرف الكره إلى قلبه سبيلا. مات عباس الحلو وهو يدافع عن حميدة رمز سياسة مصر الساقطـــة، في حين كان هـــو رمز الشباب المصري المخلص الـــذي جاهـــد في سبيل استرجاع زمام السياسة المصرية وتخليصها من النفوذ الأجنبي.إن

[267]المصدر السابق، ص 235

طموح الحلو وحميـدة لا ريب في أنـــه متباين، طموحهما قاصر ومحدود ومن ثم قادها إلى السقوط في حمأة الرذيلة التي هي في الحقيقة رمز له . ولكن هل كان " طموح عباس طموحا بناء، إذا كان طموحها طمـــوح سقوط ؟ و إذا كان كذلك ، فلماذا يموت الحلو وتستمر حميدة الداعرة "[268] . ظاهريا يمكننا القول بأن الحلو ذو طموح بناء، غير أن العكس هـــو الصحيح: " إذا كيف لـــه أن يتخلى عـــن الزقاق ليرتزق مـــن الجيـــش الانجليزي، هذا الجيش الذي يستغل أرضه، وشعبه بل ويسحق حميدة التي سافر من أجلها الحلو وإذا تساءلنا عن مدى درجة وعي ؟ قلنا إنـــه لم يكن أكثر من طامح فردي، لم يتعد طموحـــه المحدود باب الحانـــة التي لقي مصرعه فيها على أيدي الانجليز.[269]

### 2 . 1 .3 . حسين كرشة

حسين كرشة شاب في العشرين، حذق، جريء مـــن شطـــار الزقاق، كان تاجر مخدرات، مشتهرا بالنشاط والحركة " بل هو معتد أثيم "[270] اشتغل بادئ أمره في قهوة أبيه، ثم ما لبث أن هجرها لعـدم اتفاقهما، حين ذاك عمل بدكان الدراجات،

---

[268] عبد الله تذروتي– المرأة في روايات نجيب محفوظ حتى1967 رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير، جامعة حلب كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية، 1407 /تحت إشراف الدكتور فؤاد المرعي، ص 42.

[269] المذكرة السابقـة ص 42.

[270] نجيب محفوظ، زقاق المـدق، ص36.

وعندما اندلــع لهيــب الحريق التحــق بخدمة المعسكرات البريطانيـة فرفَـــــه عن نفسه، وغشي المطاعم ودور السينما، وعاقر الخمر ورافق النساء. إن بناء نفسية حسين قائم على عدة تناقضات ربما تكون ترسبت فيـــه من سلوك الأب مع الأم، كون الأب معروف بشذوذه الجنسي، وكذلك تعاطيــه المخدرات. وكانـــت أم حسين لا تفتأ ترمي ابنها الوحـــيد بالجنون، هذا الأخير الذي تعتبره استمرارا لجنون في أبيـــه، كأن تخاطب ابنها قائلة:" جننت والله، أورثك الحشاش جنونه "[271] ويتأكد تصور الأم لابنها، عند حديثها عنه مع أبيه قائلة:" ابننا أرعـن، مجنون."[272] كان حسين بطبعه ماردا، جبارا، متغطرسا، يمقت الزقاق ولا يكف عن السخرية منه، شأنه شأن حميدة فكأن اللبن الذي رضعه من أمه، والـــذي انتهى به إلى ما هو عليه من الطيش والعنف هو نفسه اللبن الـــذي أفضى بحميدة، أخته بالرضاعة إلى المأساة "[273] التي وصلت إليها.إنهما يتفقان في خاصية العنف وبغض زقاق المدق وحـــب المـــال والجنوح للاستهتار جنوحا جامحا، من أجل هـــذا تمنت حميدة لو لم يكـــن

[271]نجيبمحفوظ، زقاق المدق، ص 144.
[272]المصدر السابـق ص 210
[273]عبد المالك مرتاض ، تحليل الخطاب السردي "معالجة تفكيكية سيميائية مركبة، لرواية زقاق المدق ديوان المطبوعـــات الجامعيـــــة، 1995، ص 176

حسين أخاها، لتزوجته لأن طباعهما وأخلاقهما واحدة. ومن الآية على ذلك أن حسينا فر من الزقاق كما فرت منه حميدة، بل إنه هو الذي بصق عليـــه وهو يغادره، ولولا الظروف القاسية التي ألمت به، لما ولى وجهـــه شطر الزقاق مرة أخرى.

إن الأخوة بين حسين وحميدة التي تعمدها نجيب محفوظ ترمز إلى أوجه الشبـــه بينهما، ومساهمتهما معا في مصير عباس الحلو، قال له حسين ذات يوم " هذا الزقاق لا يحوي إلا موتا، ومـــا دمت فيه فلن تحتاج يوما للدفن، عليك رحمة الله."[274]وصاح به مرة أخرى قائلا: " أهجر هذا الزقاق.... عليك بالجيش الانجليزي، الجيش الانجليزي كنز لا يفنى ..... ليست هـــذه الحرب بنقمة كما يقول الجهالـــة، ولكنها نعمة النعم، لقـــد بعثها ربنا لينتشلنا من وهدت الشقاء والعوز."[275] لتقذف مصر بألف غارة وغارة، ما دامـــت تقذفـــه بالـــذهب. حسين وحميدة الطبيعة الواحدة لحياة فاخرة، غير حياة البؤس والتعاسة، حيـــاة الزقاق التي تفوح بالنتانة والتخلف. بينما عباس الحلو هو الصورة المقابلـــة لحسين. إنه يعشق الزقاق ويؤثره على الدنيا جميعا. ولعل هذا التباين بينـه وبين حسين، كان السبب في استمرار صداقتهما. كان حسين كرشة

[274]نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص 39.
[275]المصدر السابق ص 39

أضيق الناس بالزقاق وبأهله، ويتجسد هـــذا الحقد على الزقاق إذ بعد أن بصق عليه، هتف بحنـق: لعنـــة الله عليـك وعلى أهلك."[276]وعندما سافر عباس الحلو خارج الزقاق، اضطرمت عواطـف حسين وقرر السفر قائلا: السفر خير" من زقاق المدق"[277]كما وجدناه يقول لأمه بفظاظته المعهودة: أصغي إلي: لقد عزمت عزما لا رجعة فيه، فهذه حياة لا تطاق ولا داعي مطلقا لتحملها قسرا. "[278]فحدثته بحنق: "أجننت يا ابن المجنونة ؟ "[279]فرد عليها:" بل ثبت إلـــي رشدي بعد جنون طويل، لقد عزمت على السفر ولـم يبق إلا أن استودعك الله : بيت قذر، زقاق نتن، أناس بهائم . "[280]يسافر حسين ولكنه يعود بعد فترة قصيرة، حسين كرشة الذي كـــان كبير الأمل في استمرار هذه الحرب، لقد استغنوا عنه كما استغنوا عـــن آخرين مثله إثر انتهاء الحرب كيف انتهت الحرب بهذه السرعة ؟ من كـان يصدّق؟ هذا ما قاله حسين بصوت ينم عن الحزن والأسف. رجع برفقة زوجته وأخيها، لقد تزوج من غير استئذان أبيه وأمـه أو إخبارهما على الأقل مع ما كان يعلم من أنه وحيدهما. عاد إلى الزقاق ـ هذا الحي

---

[276]نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص 118.
[277]المصدر السابق ص40
[278]المصدر السابق ص 112
[279]نجيبمحفوظ، زقاق المدق، ص 113
[280]المصدر السابق، ص 113

الشعبي ـ الـــذي طالما سخر منه، بل ويواصل من جديد ثورته العارمة تجاه الزقاق قائـــلا: هجـــرت المدق فأعادنـي الشيطان إليه، سأضرم به النار هذه خير وسيلة للتحرر منه "[281]إن الهدف العام الذي ركز عليه " نجيب محفوظ " هـــو رغبـــة سكان الحي في رفض حياتهم الحالية، والتطلع إلى حياة أفضل.وقد لعب المكان باعتباره ـ إطارا تقع فيه الأحداث ـ دورا هاما إذ يمكننا القول بأنـــه كان يقذف بأبنائـــه الواحد تلو الآخر، لحياة أخرى غير حيـــاة التخلف والبؤس وقد وفق نجيب محفوظ في إبراز هذا خاصة بتوظيفه لشخصيتي حميدة و حسين كرشة.

يقدم لنا المؤلف "حسين كرشة " ابن المعلم كرشة على أنه أول من ترك الزقاق بعد أن مل من العيش فيه وتبلغ درجة كراهيته أنه لا يذكره إلا بأبشع الأوصاف مثل قوله: " زقاق نتن، أناس بهائم "[282]. إلا أننا نلحظ اهتمام المؤلف بإبراز مصدر هذه المشاعر التي يعد الزقاق مسئولا عنها، والحوار التالي الذي يدور بين حسين وأمه يكشف عن هذا، فهو يخاطب أمه قائلا: " لا بد من هجر هذا الزقاق."[283]

---

[281]نجيب محفوظ، زقاق المدق ص254.

[282]نجيب محفوظ، زقاق المدق ص. 109

[283]نجيب محفوظ، زقاق المدق ص. 110

فهنا تأكيد من المؤلف على افتقاد حسين الروابط الضرورية التي تربطه بالحياة في الزقاق، وافتقاد هذه الصلة هي التي دفعت حسين إلى الجيش البريطاني:"فهل هذه الحياة التي تراوحت بين فضائح المعلم كرشة ثم السباب والعراك اللذين تشعلهما والدته بسبب شذوذ المعلم وفضائحه، حقيقة بأن تجعله مبقيا على الحياة داخل الزقاق؟ لقد طمح حسين إلى البعد عن الهوان أكثر مما طمح إلى المكسب المادي."[284]

### 2 . 1 .4 .السيد رضوان الحسيني

نجد السيد رضوان الحسيني إنسانا ورعا، تقيا، طيب القلب والمعاملـــة " ذا طلعة مهيبة "[285] يشع النور من غرة جبينه وتقطر صفحته بهاء وسماحـة وإيمانا تشي ابتسامته بحبه للناس وللدنيا جميعا .مما عرف عنه فعله الخير ومساعدتـــه الغير فكان رحمـــــة حيث حل وحيث يقيم "[286] بل" نجده يحرص دائما على ألا يفوتـــه يوم من حياته دون صنع جميل "[287] عاهدناه في الرواية شخص مؤمن بربه، مستسلم لقضائه وحكمه على الرغم، من فقده الأبناء وابتلائه بنوائب شتى . حتى وجدناه يقول:"إن

---

[284]فاطمـــة الزهـــراء محمـــد ســـعيد، الرمزيـــة فـــي أدب نجيـــب محفـــوظ، المؤسســـة العربيـــة للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981 ص9.

[285]نجيب محفوظ ، زقاق المدق ص 12
[286]المصدر السابق ، ص 13
[287]المصدر السابق ، ص 13

المصابين في هذه الدنيا هم أحباب الله "[288]إنه الشخصية الوحيـــــدة في الروايـــــة التي قدمت باسم ثلاثي، على الطريقة المشرقيـــة، إذ نجد السيــد رضوان الحسيني. وتأكيــدا لسيادة وأصالة هذه الشخصية، نجد" لفظ الحسيني ، إشارة إلى أنه مـن آل الحسين. وكفانا أن الاسم وحده، يشير إلى مدلول الفضيلة التقوى والاستقامة ."[289]

يعد السيد رضوان الحسيني، بمثابة شيخ الزقاق. وقد أسند له نجيب محفوظ هذا الدور، نظرا لطبيعته السمحاء التي تؤهلـه لذلك كواعظ ومرشد. فقد جمع المؤلف في شخصه من الملامح ، ما يرتفــع به كواعظ عن مستوى الفرد ليكون" رمزا " لرجـــال الــدين فـــي جماع صفاتهم. "[290]كان السيد رضوان الحسيني ذا منزلة رفيعة في القلوب جميعا على الســواء في زقاق المدق إذ نجـــده على شاكلة "عباس الحلو" يحب الزقاق ويــرتاح للعيش فيه وقد أحزنه كثيرا ما وقـع لحميـــدة ولزيطـــة وللدكتور بوشي. أما حميدة فبعد مغادرتها الزقاق وتبرمها منه، نجدها تسلك طريـــــق الدعارة ـ الطريق القصير ـ تتاجر بجسدها للحصول على المال. في رواية زقاق المدق:" تقوم ثنائية بين حميدة رمزا

---

[288]المصدر السابق ، ص 275
[289]عبد المالك مرتاض ، تحليل الخطاب السردي ( د م ج ) ص 131
[290]فاطمة الزهراء محمد السعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ ص 93 2

للتمرد وعدم الرضي والطموح، وبين السيد الحسيني رمز الرضا بالقضاء."[291] وأما الرجلان زيطة وبوشي فقد كانت فعلتهما الشنعاء ـ نبش قبر أحـد الموتى ومحاولة سرقة طقمه الذهبي، والتحاقهما بالسجن ـ محـــل استياء كبير من طرف سكان الزقاق، خاصة من جانب"السيد رضوان الحسينـــي "الذي أحس بنوع من المسؤوليـــة، تجاه أخطاء أبناء الزقاق حتـى وجدناه يؤنب نفسه بقولــه:"ألا يكـــون الإنسان الطيب بتقاعده عونا للشيطان مـن حيث لا يدري."[292] ونتيجة لهذا كله قرر أخيرا أن يذهب في رحلة إلى الحج بعــد أن ضل يؤجلها عاما بعد عام "وكأنه يقوم برحلة تطهير من كل ما لحق بالزقاق."[293]

### 2 . 1 .5 . المعلم كرشة

إنه صاحب المقهى الوحيد بالزقاق. جعلـــه نجيب محفـــوظ منطلق الأحداث حيث عهدناه في الروايـــة يجلس وراء صندوق الماركـات ويأمر صبيه سنقر أن يعتني بالزبائن وحين ينتصف الليل وينصرف رواد القهـوة يصطفي نفرا من المعلمين أمثاله يصعد بهم إلى حجرة خشبيـــة على سطح المقهى فيتحلقون حول المجمرة لقضاء سهـرة ماجنـــة حتى الفجر

[291]العالم، محمود أمين، من عبث الأقدار إلى السراب، عن كتاب تأملات في عالم نجيب محفوظ، 1970 ، ص.35.
[292]نجيب محفوظ، زقاق المدق ص 277.
[293]فاطمة الزهراء محمد السعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ. ص 93

شعارها الحشيش. إذ وجدناه يقول: "ماله الحشيش؟ راحة للعقل، تحلية للحياة"[294] وفضلا عن هذا فالمعلم كرشة، رجل مستهتر، خليـــع، ذو ميول شـاذة، منحرفة وسيئ الأخلاق. "لا يحول بينه وبين انتهاك الملذات حائل "[295].كان في أول عهده بالشذوذ الجنسي "يحاول التستـر والتـــواري تجنبا للفضيحة "ولكنه لم يلبث أن ضاق ذرعا بهذا التستر فأعلن الفاحشة"[296]بأن كشف وجهه و ارتاد الإثم جهارا ."[297]

لم يعد المعلم كرشة يعبأ بشيء "إلا الكيف والهوى "[298] ولا يعجبه سوى الغلمان .ومن العجب أنه يرى نفســـه دائما على حـــق ويعجب لاعتراض زوجته سبيله، أليس من واجبها أن تطيعه ما دام رزقها موفور، أليس من حقه أن يفعل ما يشاء لقد وجدناه يراود أحد الغلمان عن نفسه قائلا له :" أجل ما أكثر المظلومين، ومعنى هذا بالحرف الواحد: ما أكثر الظالميـــن "[299]ثم يستدرج الفتى من محل إلى المقهى لقاء أجر أغراه به حـــتى وجدنا زوجته تصفه بقولها :" رجل فاجر لا يرده عن

---

[294]نجيب محفوظ ، زقاق المـــــــــــــــدق ص 49
[295] عزيزة مريدن ، القصة والرواية ص 87
[296]عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي ص 115
[297]نجيب محفوظ، زقاق المدق ، ص 58
[298]المصدر السابق ص 151
[299]نجيب محفوظ، زقاق المدق ص 53

شهوتـــه لا ســن ولا زوجة ولا أبناء."[300] لقد استغل المؤلف شذوذ المعلم كرشة ليوحي من خلاله إلى أن القاهـرة بأحوالها الاقتصادية الطاحنة إبان سنوات الحرب كانـــت سببا مباشرا فـي تفشي الفساد وانحلال الأخلاق ويشير نجيب محفوظ إلى هذا بقولـــه:" بأن محور أدبه هـــو ظروف الفقر تفسد الأخلاق والضغـط الاجتماعي أساس الفساد ولا يعني أن الفساد قاصر على الفقراء والمضطهدين الأغنياء أيـضا فاسدون في مجتمع فقير وفساد الرجل الغني هو غناه "[301]. وهذا ما وجدناه في شخص المعلم كرشة . كما يرى علمـاء الاجتماع " أن المنحرفين في المجتمع هم البؤساء والمعوزون ذلك أن الفقر والجـــوع عاملان اجتماعيان يؤديان إلى الانحراف "[302] وهذا ما استخلصناه من الرواية.

إن ما يميز هذه الشخصية أن نجيب محفوظ عمد إلى تقديمه عكس ابنـه حسين كرشة، فالمعلم لا يتطلع إلى حياة خارج الزقاق لأن البيئة المغلقـــة منحته القناعـــة والرضا حتـــى وجدنا المؤلف يقدمه بكل سلوكـــه الشاذ وانحرافه داخل الزقاق، بل داخل قهوته نفسها. و"قد أشار أحد النقاد إلى أن "كرشة لا يمثل

---

[300] نجيب محفوظ، زقاق المدق ص 53
[301] عبد الله تذروتي، المرأة في روايات نجيب محفوظ حتى 1967 ص28
[302] افلين، فريد جورج يارد، نجيب محفوظ والقصة القصيـــــرة ص20

نفسه، بل إنه رمز لكل ما طرأ على ثورة 1919 والتناظر واضح بين حياته الخاصة وتطورات السياسة بعد تلك الفترة، فكما أنها صمدت على أيدي روادها الأوائل لفترة وجيزة، فهو أيضا كان صامدا، وبعد انتخابات 1925 وقد تلاها أيضا وفاة سعد زغلول، انتهت الثورة فعلا وإن بقيت أملا في النفوس وكما انتهى كرشة عام 1936 كانت الثورة قد انتهت تماما." "[303]ومن هنا نستنتج مدى ارتباط هذه الشخصية بالمكان لأنها أصبحت جـــزءا منه، بل وفوق ذلك لم يبد المعلم كرشة مقتا وكراهية أو ازدراء للزقاق مثل ابنه. فقد كان يحبه نظرا لارتباط مصالحه التجارية بهذا المكان.

**2 . 1 .5 . فرج إبراهيم**

شخص ماكر، ووحش كاسر، شديد الاستهتار بالقيـم. نجده يستغل ظروف الحرب ويتاجر بالأعراض، ولقـــد اعتـــرض سبيل حميدة فأوقعها في حمأة الرذيلة، خدعها وقادها إلى طـــريق الفساد، طريق الدعارة وهو حسب الدكتورة فاطمة الزهراء محمد السعيد يرمز سياسيا إلى الأحزاب التي كانت تجر مصر إلى الهاوية غير مكترثة بقيمها وتاريخها: " وهناك أيضا شخصية "فرج إبراهيم" الذي يرمز في هذه الرواية رمزا واضحا إلى

[303]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى،1981، ص 80.

أحزاب الأقليات في مصر قبل ثورة 1952 وهي الأحزاب التي كانت تحاول أن تجر مصر إلى حيث تصبح تسلية ولهوا للاستعمار. لقد قاد فرج إبراهيم، حميدة إلى حانات الانجليز وألبسها ثوب الفساد فكان الانهيار تماما كما فعلت أحزاب الأقليات بالسياسة المصرية التي كانت تحكم البلاد في المرحلة الأولى من الحرب 1939 – 1942."[304] كان فرج يمقت الزقاق وأهله حتى وجدناه يسخر منه عند مخاطبتـــه لحميدة قائلا: لا هذا الحي حيك ولا هؤلاء الناس أهلك. "[305]وعند ما كانت حميدة بصحبته، وأرادت أن تعــود إلى بيتها بالزقـــاق خاطبها قائلا:" أي بيت تعنين ؟ بيت الزقاق، آه ليتك تمسكين عــن ذكر ذلك الحي جميعا، ماذا يعجبك في هذا الزقاق؟لماذا تعودين إليه؟ "[306] لقد كان القواد فرج إبراهيـــم يمقت الزقاق ويعتبر العيش فيه أشبـــه بالموت، بل الموت نفسه مثلما كان يراه حسين كرشة وحميدة.

فرج إبراهيم الذي أَلِف العيش في شوارع وأحياء القاهرة الفاخـرة، تلك الأماكن المفتوحة المتحررة من قيود العادات والتقاليد، ولم يكـن الزقاق إلا ذلك المكان الذي يفوح قذارة ونتانة، إنـــه مقبرة الفئـــة المعوزة، الفقيرة، المتخلفة ولكن راضيـــة

[304]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981 ص 79.
[305]نجيب محفوظ،زقاق المدق. ص 16
[306]المصدر السابق، ص 193

وغير طامعـــة في أكثر من هذا. لقد ألفينا ثلاث شخصيات تمقت المكان وتزدريه وهي حميـــدة، حسين كرشـــة، وفرج إبراهيم واختلاف المنظور يعود على اختلاف التركيبة النفسية لكل شخصية .فحميدة كانت تتوق لحياة متطورة غير حياة التخلف والعفونـة التي ألفتها في الزقاق فوجدناها تدفع بأعز ما تملك في سبيل حياة الترف والبذخ؛ إذ كانت الأخلاق أهون شيء على نفسها المتمردة.وكذلك كان حسين كرشـــة، إنهما الطبيعـــة الواحدة النافرة من حياة الزقاق الدنيئة، وفضلا على هذا هروبا من فضائح أبيه التي تلاحقه يوما بعد يوم:"وهناك ملاحظة طريفة جديرة بالتسجيل لما تكشفه عن الأعماق الباطنية عند نجيب محفوظ فاسم "فرج إبراهيم" يكاد يكون هو نفسه " إبراهيم فرج " وهو سياسي مصري لامع، عمل وزيرا في وزارة الوفد الأخيرة، وإذا عرفنا أن نجيب محفوظ يميل إلى الوفد ميلا واضحا في كل رواياته التي تتصل بتاريخ مصر السياسي."[307]هذا يدفعنا إلى القول أن اختيار الشخصيات له خلفية سياسية نابعة من قناعات نجيب محفوظ الذي ارتبط بالوفد كحزب وطني مثَّل ـ ولمدة طويلة ـ الإجماع بين

[307]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981 ص 79.

المصريين قبل أن يتحول بعد موت سعد زغلول إلى حزب يتنافس على الحكومة كباقي الأحزاب المصرية الأخرى.

واستنتاجا وجدنا أن المكان هو الذي أدى بساكنيه إلى التطلع لحيـاة أفضل غير حياة الشقاء على هـــذا وجدنا الظروف تكاثفت وتوحدت معها الأسباب من داخل النفوس وداخـــل المكان الـــذي كان مثار كره بعض الشخصيات له، تطلعا لحياة فاخرة. حتى وجدنا المؤلف نفســه يقـول عــن زقاق المدق :"إن هذه الرواية قد كتبت في فترة كان يغلب على حياتنا فيهـا الشقاء، وما يشبه اليأس، فاستدعى الصدق إخراج هذه الصورة. ولكن من ناحية أخرى أعتقد أن كـــل شخص في الزقاق كان يحاول تحسين حياته على قدر طاقته، في حدود ظروفـــه البالغـــة السوء... لأن المقصود من الرواية هو تحريك الضمائر وتحريك الواقع. "[308]

باستثناء هـذه الشخصيات الثلاث لـــم نتبين موقف باقي الشخصيات الأخرى ومنظورها تجاه المكان ـ زقاق المدق ـ فهي لم تبد مقتا وكراهية أو ازدراء أو سخرية على شاكلة حميدة وحسين كرشة وفرج إبراهيـــم وعلى هذا نستنتج أنها كانت تحب

[308] يوسف الشاروني ،دراسات في الرواية والقصة القصيرة، 1967، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، عن الكاتب والطبقة التي يعبر عنها ، مجلة روز اليوسف القاهرة 14 أكتوبر 1957

زقاق المدق نظرا لارتباط"مصالحها التجاريــة به مثلا وجود" مقهى المعلم كرشـــــة"، دكان عم كامل، "فرن المعلمـــة حسنيه"، "خرابة زيطة " وكالة سليم علوان "قدم نجيب محفوظ الزقاق وهو يعج بحركة شخصياته. هذه النمـــاذج الإنسانية الفنية التي تباينت نظراتها، ومواقفها تجاه الزقاق الحي العتيـــق الذي يعكس لنا فئة البسطاء وهي الطبقة الوسطى ذات المشاكل الدائمــة التي اهتم بإبرازها "نجيب محفوظ" لأن الطبقة الوسطى كانت هي البيئـــة الاجتماعية التي تناولها المؤلف في رواياته سواء تلك التي تعيش فـــي أحياء القاهرة الجديدة أو في الأحياء القديمة على شاكلة زقاق المدق:." إذ نجد الشارع نفسه يموج بكافة الطبقات، ففيه التجار والمثقفون والعمال والعناصر الطفيلية المختلفة التي تظهر على حواشي الطبقات الاجتماعية مثل "زيطة" صانع العاهات ـ وشخصيات أخرى ـ هذه الطبقات كلها إنما تهدف إلى تحقيق ما يريده محفوظ من الإيماء لنا بأن زقاق المدق ليس مجرد شارع، إنما هو رمز لمصر كلها بما فيها من طبقات اجتماعية مختلفة."[309]لقد أراد نجيب محفوظ أن يعبر عما يضطرم بنفسية شخصيات وأبطال روايـــة زقاق المدق من أقصى أعماقها وكذا

[309]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981، ص81

عن الحرص والحذر الشديدين الـــذي يتسم به موقف بعض أفرادها، والحياد الدقيق الذي يتسم به موقــف البعض الآخر ذلك أننا لم نتبين بدقة موقف بعض الشخصيات من المكان:"وهكذا أراد المؤلف أن يبين عن ارتباط هذه الشخصيات بالمكان وقد أصبحت جزءا منه، وهم لا يتطلعون لحياة أفضل خارجه فالبيئة المغلقة منحتهم القناعة بحياتهم وذلك على العكس من شباب الزقاق الذين احتكوا بالحياة خارجه فتطلعوا إلى حياة أفضل من حياة الزقاق."[310]في الأخير نقول إن قدرة نجيب محفوظ في تناول المواضيع اصطحبت بعبقرية كبيرة في اختيار الشخصيات وإعطاء كل شخصية دورها داخل الزقاق بعد تعريفها وإبراز علاقتها بالمكان (الزقاق) فاستطاع:" توزيع الأضواء والألوان والقدرة على توضيح خصائص الشخصية."[311]تمكن أديب نوبل من توزيع الأدوار على الشخصيات الرئيسية في الرواية وخص كل واحدة منها بمكان معين يمثل أحد مكونات المجتمع المصري بكل طبقاته. فنجد الحلاق وصاحب المقهى والموظف والمجند في الجيش الانجليزي وغيرها من الأعمال المرتبطة بمكان معين."ونجيب محفوظ قد وزعّ شخصياته بعبقرية روائية فذة

[310]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ. ص81
[311]عيد، رجاء، دراسة في أدب نجيب محفوظ، منشأة المعارف، مطبعة الأطلس القاهرة، 1974، ص 8

وجعل تلك الشخصيات تختص بأمكنة وترتبط بها وتتنامى بين أسوارها أو جدرانها، فلكل شخصية مكانها المحبب والمتناغم مع فعلها وميولها وعوالمها النفسية."[312]. هذا الارتباط بين الشخصيات والمكان من جهة والزمان من جهة أخرى يفرض على الدارس للفن الروائي البحث في إيحاءات الفضاء بكل مكوناته. وبالتالي فالمنهج السيميائي يعتبر أفضل منهج يمكنه تحقيق هذا الغرض.

**2.2 .الشخصيات الثانوية**

**1..2.2. سنية عفيف:**

أرملة في الخمسين لا همّ لها سوى أن تحظى بزوج مناسب يؤنس وحدتهـــا فهي لا تبغي من ورائه المال لأنها تملكه وتملك فوق هذا البيت الذي تسكنـه أم حميدة .

**2 .2 .2. أم حميدة:**

سيدة تناهز الستين، تعيش رفقة حميدة التي تعد ابنتها بالتبني تتميز"بصوت غليظ وقوي النبرات"[313] من عادتها تدبير أمور الزواج في الزقاق؛ إذ كانـــت "خاطبة بلانة"[314] وهي بطبعها

[312]وسام علي محمد الخالدي، دلالــة المكــان في رواية بيــن القصرين لنجيب محفوظ، مجلة اللغة العربية وآدابها – العدد 7 ص 260

[313]نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص 19

[314]نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص 20

ثرثارة دأبها إشاعـــة أخبار الحـــــي خيرها وشرها. هناك أيضا شخصية المعلمة حسنيه الفرانة صاحبة الفرن الوحيـــد في الزقاق، المسيطرة على زوجها إذ تلاحقه وتتشاجر معه حتى يسقط عند رجليها ( أفضل قدميها ) باكيا مستعطفا ومستنجدا بأهالي الزقاق. بجانب الفرن نجد خرابة زيطة وهو شخص وضيع، أثيم،قدمه المؤلف فـــي صورة بشعة يحفها السواد من كل جانب مما دعى"أهل الزقاق تجنـــبَ رائحته النتنة."[315]

### 2 .2 .3. زيطة صانع العاهات:

تظهر شخصية زيطة، صانع العاهات، والذي فضل العمل ليلا بدل النهار فخرج بذلك عن النسق المتزن للعالم. يعرفنا نجيب محفوظ على شخصيته غير السوية بقوله: "وكان ذا خيالات مريضة مدمرة، يتمنى الهلاك والتدمير للناس، يتمنى لو كان الشحاذون أكثرية أهل الأرض."[316]يمتهن زيطة صناعة العاهات لمن يروم دخول عالم الشحاذة يأتـــون إليـــه أصحاء فيغادرونه عميانا، وكساحا ومبتوري أرجل وأذرع. وعلى رأي الكاتب فإن الناس:"يجيئون إليه صحاحا ويغادرونه عميانا وكسحانا وأحدابا

[315]نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص 60
[316]نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص 42

وقعسانا ومبتوري الاذرع."[317] يبدو زيطة كشخصية أسطورة فهو" بمثابة مسيح القرن العشرين جـاء ليرد للأصحاء عاهاتهم حتى يتمكنوا من الحياة كما يقول توفيق حنا:"[318] وكانت تربط زيطة صداقة حميمة بالدكتور بوشي. لم يكن هذا الأخير دكتورا وإنما هو أول من تمكن من الظفر بلقب دكتور، مارس مهنـــة نزع الأسنان نظير أجر زهيد وهو محتال أثيم يسطو على أفـــواه الموتى الجدد فينزع منهم أطقم الأسنان ليركبها للأحياء إلى أن افتضح أمره وزج به فـي السجن رفقة زيطة. وتشبه شخصية زيطة في زقاق المدق شخصية اليهودي في رواية أوليفر تويست لتشارلز ديكنز، فقد رأى صلاح مرسي أن يكون نجيب قد استوحى الشخصية من الأديب الانجليزي:"قد توقفنا طويلا ذات اجتماع كان في بيت حسن الحداد في رأس التين، أمام شخصية "زيطة" صانع العاهات. من أين جاء به نجيب محفوظ ؟ من الواقع المصري، أم انه استوحاها من شخصية اليهودي في رواية "أوليفر تويست" للكاتب البريطاني الشهير تشارلز ديكنز؟ذلك أن الشخصيتين تبدوان متشابهتين إلى حد يدعو إلى العجب حقا. لقد كان اليهودي في أوليفر تويست يشوه النفس و البناء الإنساني في

[317] نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص 41
[318] غاليشكري،المنتمي" دراسة في أدب نجيب محفوظ 147.

شخصيات الأطفال حتى يجدوا لقمة العيش، بينما كان زيطة في زقاق المدق يشوه أجساد الرجال حتى يجد أصحابُ الأجساد السليمة الخلاصَ من الجوع في تدمير أعضائهم السليمة؟"[319] فقراءة نجيب محفوظ للأدب الانجليزي في بداياته الأولى وتواجد الانجليز في مصر وبقائه لمدة زمنية طويلة كان له أثر على اختيارات نجيب في مجال الشخصيات المحورية. كما أن الظروف التي مرت بها مصر ـ والتي صورها نجيب في روايته زقاق المدق ـ فرضت عليه الاعتماد على بعض الشخصيات التي يمكنها أن تعبر عن التناقض والاختلاف الذي يتميز به الناس الذين يمارسون مهنا بالنهار وأولئك الذين يفضلون حياة الليل المظلم:"إن التقاط هذه الشخصية ووضعها في هذا السياق يكشف ذلك العالم الآخر المناقض لحركة حياة النهار، حيث النور والضياء في هذا الزقاق في مقابل حياة الظلام. وفي هذا مؤشر من مؤشرات الكشف والإضاءة لعالم مجاور وقاتم يقدم التشويه الحادث في الحياة من حولنا."[320] ومهما يكن من تشابه بين الشخصيتين يبقى زيطة شخصية محورية في الرواية زقاق المدق لكونها استطاعت

[319] مرسي، صلاح، هم و أنا، مكتبة مدبولي الصغيرة، القاهرة، 1996 ص41

[320] سليمان الشطي، الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2004 ، ص.44

أن تمنح الزقاق شكلا من الشخصيات لم تكن موجودة في روايات محفوظ التي كتبت قبل زقاق المدق خلافا للشخصيات الأخرى.

**2 .2 .4. الشيخ درويش :**

كان على سالف عهده مدرسا للغة الإنجليزية سعيدا رفقة أسرته وسرعان ما تحول إلى نوع من الزهد في الحياة نتيجة أزمة مر بها في عمله؛ إذ نزل من الدرجة السادسة إلى الثامنة فترك عمله" وهجر أهله وإخوانه ومعارفه إلى دنيا الله كما يسميها. "[321] وقد استخدمه المؤلف وكأنه" ضمير وحدس للزقاق كله "[322] إذ كان يحس الأحداث قبل وقوعها .

**2 .2 .5. سليم علوان:**

صاحب الوكالة الوحيدة بالزقاق وهو تاجر محنك، وماهر استفاد من ظروف الحرب فأضحى ثريا حتى أنه خاطب نفسه قائلا ثروة طائلة لكنها ملعونة "[323]إذ سرعان ما أصيب بالذبحة الصدرية عند ما تطلع إلى الزواج بحميدة فنغص عليه المرض عيشته، وخارت قواه، وأصبح قلقا، شاردا، لا تبرحه فكرة الموت لحظة.

**2 .2 .6. شخصية عم كامل:**

[321] نجيب محفوظ زقاق المدق، ص18.
[322] فاطمة الزهراء محمد السعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ ص91
[323] نجيبمحفوظ، زقاق المدق. ص240.

شخص ساذج صاحب دكان بسيط بالزقاق مشهور بصناعة البسبوسة، مـــن رواد قهوة المعلم كرشة محل سخرية الجميع، قليل الحركــة والنشاط فكانت حياته أشبه بالموت. يحب عباس الحلو ويعتبره بمثابـــة ابنـــه حتى أنـــه كان يقاسمه المسكن وقد حزن عم كامل كثيرا لفقدان فتى الزقاق الوديـع، عباس الحلو.

# الباب الثالث:

## سيميائية الفضاء الروائي في زقاق المدق

# الفصل الأول:

# تعريف السيميائية كمنهج دراسة

## 1. بين سيميولوجيا سوسير و سيميائية بيرس

يعد المنهج السيميائي حاليا من المناهج المعتمدة بشكل ملفت للنظر في الدراسات الأكاديمية لما "حققته السيميائية من قفزة نوعية في دراسة الأشكال السردية بخاصة، والعمليات اللسانية وغير اللسانية بعامة، مُبْسِطةً نفوذها العلمي على حقول تحليلية مبنية أساسا على المنظور الافتراضي الاستنباطي."[324] ورغم المدة الزمنية القصيرة التي ظهر وتطور فيها هذا المنهج إلاّ أنّه استطاع أنْ يفرض نفسه ويصبح أحد أهم المناهج المعتمدة في الدراسات الأدبية بعدما كان مقتصرا على الأبحاث اللغوية،"والسيميائية تأتي في طليعة المناهج النقدية المستثمرة، ويتجلى ذلك في تركيزها على القطب الداخلي للنص، فلا ريب إذن من إضفاء صفة الألسنية على هذا النقد."[325] بعد أن أطلق العالم السويسري فرديناند دو سوسير(1857-1913) مصطلح "السيميولوجيا" على العلم الذي سوف يتكفل بدراسة: "حياة العلامة في كنف المجتمع."[326]

---

[324] بن مالك رشيد،مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة، الجزائر، 2000 ، ص.97

[325] بشير، تاوريريت، السيميائية في الخطاب النقدي المعاصر، علامات في النقد الأدبي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ج.54 ،2004 ، ص. 177 .

[326] برنار توماس . ما هي السيميولوجيا . ترجمة محمد نظيف . إفريقيا للنشر سنة 2000 مكتبة الفرات والنيلwww.iraq.com/alkauther/9htm

فقد اعتمد في تعريفه هذا على ما يمكن للغة أن تؤديه من دور داخل الحياة الاجتماعية،فـ "اللغة نسق من العلامات التي تعبر عن الأفكار، وإنها لتقارن بهذا مع الكتابة ومع أبجدية الصم والبكم، ومع الشعائر الرمزية، ومع صيغ اللباقة، ومع العلامات العسكرية (...) وإننا لنستطيع أن نتصور علما يدرس حياة العلامات في قلب الحياة الاجتماعية، وإنه العلاماتية (...)سيعلمنا مما تتكون العلامات وأُيُ القوانين تحكمها."[327]

وفي نفس الفترة الزمنية التي تحدث فيها العالم الأوروبي عن السيميولجيا كان الفيلسوف الأمريكي شارل سندرس بورس ( 1839-1914)، يطور نظرة جديدة في البحث المتعلق بالجوانب البشرية وفضل تسمية منهجه بالسيميوطيقا الذي أصبح ينعت بالسيمياء بعد تعريبه،" فهي قد شهدت لحظتي ولادة في مكانين وزمانين امريكا."[328] لا يبتعد علم السيميوطيقا في مفهومه كثيرا عن السيميولوجيا بشهادة بيرس نفسه الذي يعرفه بقوله:"ليس المنطلق بأوسع معاينة سوى مجرد اسم آخر للسيميوطيقيا أو نظرية العلامات."[329]

---

[327] منذر عياشي، العلماتية و علم النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004 ، ص.17.

[328] روبرت شولتز، السيمياء و التاويل، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1 ، 1994 ، ص.9

[329] رامان، سلدن، النظرية الادبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، افاق الترجمة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، 1996 ص.110

يظهر الاختلاف بين المصطلحين في تباين "العلامة" عند العالمين. فسوسير يعتبر العلامة اتحاد بين الدال و المدلول أما بيرس فيضيف إلى العلاقة بين الدال و المدلول مصطلح المرجع"الواقع المعين بواسطة العلامة."[330]

رغم هذا الاختلاف في التسمية إلا أن المنهج الذي اعتمد يكاد يكون متطابقا، وبخاصة بعد أن ُطِور من طرف الباحثين الذين اعتمدوه وطوروه بجعله يتناول بالدراسة العديد من المجالات التي لم يتطرق إليها المؤسسون. وميدان الأدب يعد واحدا من الميادين التي اعتمدت السيميائية منهجا جديدا لتحليل نصوص رواياتها وقصائدها الشعرية. كما أن علوما تطبيقية أخرى قد اعتمدت نتائج الدراسات السيميائية مثل الانثوبولوجيا والسوسيولوجيا والتاريخ وعلم النفس وغيرها من العلوم التي تهتم بالإنسان والمجتمع معا. بعد أن تأصل المصطلح السيميائي ظهرت اتجاهات عديدة تفرعت عن المنهج الأم. وبالتالي أصبحنا الآن نتحدث عن سيميائيات التواصل التي طورها كل من بويسنس وبرييطو ومونان، وسيميولوجيا الدلالة عند رولان بارت، التي اهتمت بدراسة الدال، والمدلول، والتقرير، والإيحاء، والشكل، والمحتوى وغيرها من الدلالات اللغوية. وسيميائيات الثقافة التي عرف بها أمبرطو إيكو

[330]مشهور، مصطفى،علم السيمياء في المسرح، مجلة فكر عربي معاصر، ع.36 ، 1985 ، ص.93

والسيميائيات السردية مع ألجرداس جوليان غريماص والتي طورها أيضا جوزيف كورتيس.

فالسيميولوجيا كلمة ذات أصل يوناني، مركبة من "سيما" و"لوجي من لوجوس" لتعطينا عند التركيب لفظة سيميولوجيا: فكما يؤكد ذلك برناد توسان، فالكلمة مأخوذة من " الأصل اليوناني "سيميون"، الذي يعني "علامة" و"لوغوس" الذي يعني "خطاب" وبامتداد أكبر كلمة "لوغوس" تعني العلم، فالسيميولوجيا هي علم العلامات."[331]

وكلمة سيميولوجيا قديمة في الاستعمال، حيث يرجع استعمالها إلى النصف الثاني من القرن السابع عشر، حيث استعملت أول مرة من طرف الفيلسوف: "جيم لوك ، والذي عاش مابين "1632-1704"غير أن الدراسة السيميولوجية في عصره لم تتجاوز إطار النظرية العامة للغة وفلسفتها النظرية"[332].

وقد ظل هذا العلم يدرس كل العلامات سواء كانت لغوية، موسيقية، أو رياضية. حيث يقول "محمد السرغيني" في هذا المجال :" ليست السيميولوجا غير ذلك العلم الذي يبحث في أنظمة

[331]برنار توسان، ما هي السيميولوجيا؟ ترجمة: محمد نظيف. 1994 ، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ص.9

[332]شلواي عمار ـ السيميائية المفهوم والآفاق ـ منشورات الجامعة (بسكرة) الجزائر 2000 ص: 19

العلامات أيّا كان مصدرها لغويا أو سننيّا أو مؤشريا"[333] كما يذهب إلى هذا الاتجاه أيضا الدكتور أحمد يوسف الذي يعتبر أن السيميائيات " بوصفها مذهبا وعلما للعلامات التي تستكشفها بعض العلوم التجريبية يمكنها أن تحوز عن جدارة صفة العلم لهذه العلامات، و تنال ثقته."[334]

## 2.السيميائية عند الفلاسفة اليونان

كما يعود الفضل للفلاسفة اليونان في ظهور هذا العلم وتطوره إلى أن جاء فرديناند دي سوسير الذي أخذ معه هذا العلم أبعادا متعددة حيث بدأ بتأليفه لكتاب "محاضرات في اللسانيات العامة"، وهذا المؤلَّف عبارة عن مجموعة من المحاضرات في مجال اللسانيات ألقاها على تلامذته. بعد اكتشافه وإعطاء تقنياته بدأ هذا العلم يتجه إلى نواحي فكرية أخرى غير اللغة، التي اهتم بها كل من دي سوسير و بيرس. و بالتالي ظهرت دراسات جديدة شملت معظم العلوم الإنسانية وبخاصة في ميداني علوم اللغة والأدب، ثم بدأت شيئا فشيئا تتخلص من الموالاة للبنيوية بالنسبة لتحليلاتها المتنوعة للنصوص الأدبية. وتتمرد على هذا المنهج الذي علقت به ليكون

---

[333]محمد السرغيني . محاضرات في السيميولوجيا . دار الكتاب للنشر والتوزيع . الدار البيضاء . المغرب 1987. ص: 05

[334]احمد يوسف، الدلالة المفتوحة: مقاربة سيميائية في فلسفة العبلامة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005 ، ص.11

لها منهجها الخاص بها ومما يؤكد لنا اعتماد السيميائية على البنيوية في بداياتها هو استخدامها للعديد من مصطلحات البنيويين كالدال والمدلول والبنية وغيرها من الكلمات التي أصبحت ضمن قاموس السيميائيين:" حيث أننا حين استقصائنا المصطلحات الفاعلة في هذا التحليل تَبَدَّى لنا أنَّ الاهتمام بداخليات النص إنْ هو إلاّ توجُّه بنيوي. والحديث عن البنية والبنية السطحية والبنية العميقة والنظام، والعلاقات، واللغة والكلام والدال والمدلول والمركب والاختلاف. كلها مصطلحات ازدهرت في النقد البنيوي واكتسبت كثيرا من الفاعلية في السيميائيات. "[335]

لقد بدأت السيميائية برسم منهجها الخاص بها حتى ترتسم معالم طريقتها في تناول الأعمال الأدبية و مجالات أخرى متصلة بالأدب و اللغة، كالسينما والمسرح والتلفزيون والغناء والإشهار وغيرها من المجالات التي تعتمد على إبراز الصورة والعلامة و بالتالي أصبح لكل مجال دراسة مختصين يطورون مناهجه و أدواته، " ويمكن ملاحظة هذا التأثير في مجال النقد الأدبي، وأيضا في مجالات أخرى كثيرة، مثلا على السينما (ميتز) وسيميولوجيا

[335]رابح بومعزة . من مظاهر إسهام مدرستي باريس والشكلانيين الروس في تطور السيميائية السردية . منشورات الجامعة بسكرة 2002.ص: 217.

الشعر (كريستيفا) والمسرح (هيلبو) وفي مجال نظرية السرد الروائي (تودوروف) "[336].

وإذا كانت العلامة هي مركز البحث السيميولوجي، كان من الملزم تجاوز دلالاتها المنحصرة في المعنى الواحد لأنها تتجاوز الكلمة الواحدة كما يرى الدكتور بهاء الدين محمد مزيد، "وكما أن كلّ علامة ليست بالضرورة كلمة، فليس كل نص مجموعة من الكلمات أو الجمل المترابطة من حيث المعنى والمبنى."[337]. فالعلامة التي تعنى السيميائية بدراستها ، توجد داخل النص الذي هو بحسب السيميولوجيين مزيج من العلامات تفرض نفسها على الدارس،" فالنص من وِجهة النظر السيميوطيقية هو مجموعة من العلامات المترابطة من حيث المعنى والمبنى والتي تؤدي دلالة مكتملة قائمة بذاتـها "[338].

## 3. السيميائية و الدراسات اللسانية

لم تعرف السيميائية الاستقرار إلا بعد أن ولجت مجال الدراسات اللسانية . فصار لها قاعدة تعتمد عليها بعد أن تمكن رولان بارث

---

[336]لحسن المختار،عشرون عاما على رحيل رولان بارث بيان الثقافة، عدد 48 ت ديسمبر 2000.

[337]بهاء الدين محمد مزيد، أجناس خطابية معاصرة، مقاربة علاماتية، مجلة أفق، اتجاهات ثقافية، موقع على الانترنيت.

[338]بهاء الدين محمد مزيد (المصدر نفسه)

من ادماجها ضمن المجال الألسني حيث دعا سنة 1964 :"إلى إدماج السيميولوجيا في علم الألسنية العامة. وذلك من خلال قيامه بتحليل عينات من الصور الدعائية تحليلا سار فيه على هدْيِ منهج سيميولوجي بحيث قدّم في هذا التحليل مجموعَ العناصر التي اتُّخذت فيما بعد أُسسا لهذا العلم " [339].

يعد رولان بارت من أهم العلماء اللسانيين الذين ساهموا في انتشار المنهج السيميائي المرتبط بالمدرسة الفرنسية الأوروبية التي أرسى أسسها دو سوسير. فأعمال بارت ساهمت بشكل كبير في إرساء قواعد هذا المنهج وتطوير الطرق التي تدرس بها والمجالات التي تهتم بها. فلم تعد الدراسات تقتصر على اللغة بل تعدت إلى باقي مجالات العلوم الإنسانية، إذْ "تعد السيميائية البارثية نموذجا صارخا لهذا الانتماء الألسني، فقد أخذ عن فرديناند دي سوسير النظرية المتعلقة بالدال والمدلول، والمرجع برمتها، إضافة إلى المفهوم المزدوج لغة/كلام...إنما يميز الاتجاه البارثي عن الاتجاهات الأخرى بما في ذلك الاتجاه السوسيري هو قلبه للأطروحة السوسيرية القائلة بعمومية علم العلامة، وخصوصية علم اللغة."[340]

---

[339] محمد السرغيني (المصدر السابق) ص: 08 و 09.

[340] السيميائية في الخطاب النقدي المعاصر،ص. 182 بشير، تاوريريت،

فاليوم يمكننا الحديث عن مدرستين الأولى انجلوساكسونية مرتبطة بالعالم بيرس، والتي تعتمد مصطلح سيميوتيك. والثانية مرتبطة بالعالم السويسري دوسوسير. والتي تفضل استخدام مصطلح سيميولوجيا. فالنقاد المتأثرون بالمدرسة الفرنسية نجدهم يستعملون المصطلح الأول " سيميولوجيا " فيما يذهب الذين تأثروا بالمدرسة الأمريكية الى استعمال كلمة "سيميوتيك".

يعتمد التحليل السيميائي أيضا على المنطق الرياضي، إذ أن نتائجها تكون منطقية ولا تترك مجالا كبيرا للامعقول، فمعظم الدراسات التي قام بها الأمريكي بيرس، كان المنطق الرياضي فيها الركيزة التي يقوم عليها البحث. يقول الدكتور أحمد يوسف:"يكاد التحليل المنطقي يطابق التحليل السيميائي حسبما ارتآه ش.س. بورس و ش.و.موريس."[341] وهذا راجع لتأثر بيرس بالرياضيين وأهل المنطق بين سنتي 1870 و 1887. لقد" تأثر فيها بالمنطقي "دومركان" فمبدأ العلاقات هو عوض عن مبدأ المقولات الأرسطية، كما تأثر بالرياضي "دوبوول" خاصة فلسفته القائمة على ضرورة وجود علاقة بين أطراف ثلاثة، وهذه الثلاثية هي ما ارتكزت عليها فيما بعد نظريته، فإن وجد حدا أو حدين

[341] احمد يوسف، الدلالة المفتوحة: مقاربة سيميائية في فلسفة العبلامة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005 ، ص. 17.

أضيف إليهما ثالث، وان وجد أكثر اختزل الى ثالث."[342]

دون أن نغفل الأبحاث الأوروبية المتشعبة والتي اعتمدت على سوسير السويسري. والذي تأثر كثيرا بالأبحاث التي قدمها كل من "فرويد" و"دوركايم" في علم النفس وعلم الاجتماع مما جعله يعتبر السيميولوجيا فرعا من علم النفس الاجتماعي، "ولعل السبب الذي جعله يضع السيميولوجيا هذا الموضع من علم النفس وعلم الاجتماع هو ولعه بالنتائج التي توصلت اليها أبحاث هذين العلمين على يد معاصريه "فرويد" و"دوركايم" ومن خلال تسميته لهذا العلم بالسيميولوجيا اشتقاقا من Semeion اليونانية ندرك وعيه بالدراسات اللغوية القديمة العائدة إلى الجذور اليونانية."[343]

ويرى الدكتور رشيد بن مالك أن الرواقيين Stoiciens هم أول من انتبه إلى علاقة العلامة بالدال والمدلول ولم يقتصروا في تعريفهم للعلامة على اللغة بل كل نواحي الحياة الاجتماعية: فهم إذن "أول من قال بأن للعلامة دال ومدلول...ليست العلامة اللغوية فقط، وإنما أيضا العلامة المنتشرة في شتى مناحي الحياة الاجتماعية."[344]

## 4 . نقل المصطلح إلى العربية

[342] فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010 ، ص.49.
[343] فيصل الأحمر، نفس المرجع السابق، ص. 42
[344] رشسيد بن مالك، السيميائية: اصولها و قواعدها، منشورات الاختلاف، 2002 ، ص.21.

لا يختلف المصطلحين الانجليزي والفرنسي كثيرا عندما يتعلق الأمر بمقابلتهما بالمصطلح العربي حيث،"يشترك المصطلحان الانجليزي والفرنسي في الأصل ويختلفان في اللاحقة، ويقابل الكلمة الانجليزية في البحوث العربية المعاصرة، السيما والسمياء، وعلم السيما، وعلم السمياء، والسيميائية. ويقابل الكلمة الفرنسية في المعاجم المزدوجة (فرنسي/عربي) نظرية الرموز والعلامات في علم الرياضيات. أو ما يعادل سيميولوجي بمعنى علم الأمراض."[345]

غير أنه في اللغة العربية أخذ عدة تسميات منهم من أطلق عليه "علم الإشارة ومنهم من سماه بـ"علم الرمز" وفريق آخر فضل أن يدعوه بـ"علم الدلائلية"، وجنح بعض العرب إلى تسميته بـ"السيميوتيكا" أو "السيميوطيقا" وسماه آخرون "السيمياء" ليعبر في النهاية عن السيميائية، فقد "اقترح بعض الدارسين مصطلح السيمياء، وذلك لأن الأصل الإغريقي لسيميوتيك معناه الخاص العلامات أو الدال."[346]، كما نجد له في الأصل العربي:"السومة والسيمة والسيماء والسيمياء بمعنى العلامة."[347]

[345]سلامي، عبد القادر، السيميائيات.جدل المصطلح و الاصطلاح، ايقونات، منشورات رابطة سيما للبحوث السيميائيات، الجزائر،ع.1 ، 2010 ، ص. 51

[346]ك.م.نيوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة عيسى علي العاكوب، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، مصر، ط1 ، 1996 ، ص.180

[347]أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، م12 ، ص. 312، باب سوم.

كما تشير المعاجم العربية إلى أن لفظة "السيمياء مشتقة من الفعل سوم، وهي العلامة التي يعرف بها الخير والشر. "[348] أثناء نقله الى العربية عرف المصطلح تباينا في اختيار الكلمات الدالة على المعاني التي يراد اقتراحها مقابل للكلمتين الفرنسية و الانجليزية. فيقترح "عزت محمود جاد" لنا ما يقرب عن الستة أصوات دالة للمصطلح: "السيماء، والسيمة، والسيميائية، والسيميوطيقا، والسيميولوجيا، والرموزية."[349]

في حين يقترح "عبد السلام المسدي" مصطلح علم العلامات الذي يعترض عليه "عبد الله محمد الغذامي" الذي يعتبرانه "تعريب سليم ولا اعتراض عليه، لولا أنني وجدت مشكلة في النسبة إليه، حيث استعصى علي مثلا أن أقول: تحليلا علاماتيا."[350]

فالمصطلح هنا لا يوفي بالغرض من ناحية الشكل وليس المضمون. فيما يرى الدكتور عبد المالك مرتاض أن "سيميائية" هو المصطلح الصحيح والواجب اعتماده لأنه " آت من المادة سوم التي تعني فيما تعني العلامة التي يعلم بها شيء ما، أو حيوان ما،

---

[348] سلامي، عبد القادر، السيميائيات.جدل المصطلح و الاصطلاح، ايقونات، منشورات رابطة سيما للبحوث السيميائيات، الجزائر،ع.1 ، 2010 ، ص.50

[349] عزت محمود، جاد، نظرية المصطلح النقدي.، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003، ص. 326

[350] عبد الله محمود الغذامي، الخطيئة و التفكير-من البنيوية الى التشريحية-قراءة نقدية لنموذج انساني معاصر: مقدمة نظرية و دراسة تطبيقية. النادي الأدبي الثقافي، 1985 ، ص. 41

ومن هذه المادة جاء لفظ السيما."[351] فيما ذهب فريق من الباحثين العرب إلى ضرورة اعتماد المصطلح الغربي من دون البحث عن ترجمة أو مرادف في اللغة العربية من أجل تفادي الوقوع في الخلط بين المصطلحات الغربية والعربية. فنصر حامد أبو زيد مثلا و سيزا القاسم: "يستخدمان مصطلح "السيميوطيقا" ...من خلال كتابيهما: "مدخل الى السيميوطيقا: حول بعض المفاهيم و الأبعاد."[352]

كما يذهب إلى ذلك أيضا صلاح فضل حيث يقول:"ولكننا نرى من الأفضل إطلاق الاسم الغربي، لأن النقل أولى من الاشتقاق في استحداث الأسماء الجديدة، إذا كان الاشتقاق سيؤدي الى الخلط."[353]

فيما ترجم البعض مصطلح السيميائية الى الدلائلية مثل الطيب بكوش والمنصف عاشور لكن نلاحظ أن هذه الترجمة قريبة أكثر من "علم الدلالة" منها إلى علم العلامة أي السيميائية. كما يفضل الدكتور عبد المالك مرتاض استعمال مصطلح "الاشارية" بدل "العلامية" (التي استعملها عبد السلام المسدي) مقابل في العربية لمصطلح "السيميوتيك":"ولقد نعلم أن "السيميوتيكية" أو

[351] فيصل الأحمر، نفس المرجع السابق، ص. 14
[352] فيصل الأحمر، نفس المرجع السابق، ص. 15
[353] عصام خلف، كامل، الاتجاه السيميولوجي و نقد الشعر، دار فرحة للنشر و التوجيه، 2003 ، ص.5

"العلامية" كما يطلق عليها عبد السلام المسدي هي علم نظم الاشارات. ونحن نفضل "الاشارية" على "العلامية" لأن بعض القدامى العرب كان اصطنع هذا المفهوم الالسني لهذا المعنى أو لمعنى قريب منه."[354]

وبالتالي فإنه من الأرجح هو اعتماد المصطلح الغربي "سيميائية" لسببين، الأول هو اقترابه من الكلمات الموجودة في اللغة العربية والتي تؤدي نفس المعنى تقريبا مثل "السمة" والسبب الثاني حتى لا تتداخل المصطلحات العربية والتي تعني في بعض الأحيان معاني مصطلحات علوم أخرى مثل "الدلالة".

## 5. السيمياء عند العرب القدماء

إذا عدنا إلى تراثنا العربي وجدنا بعض المصطلحات الدالة على معنى السيميائية عند ابن منظور مثلا نجد: "السيماء: العلامة: مشتقة من الفعل "سام" الذي هو مقلوب و "سم" وهي في الصورة "فعلى" يدل على ذلك قولهم: سمة، فإن أصلها: "وسمى" و يقولون: "سيمى" بالقصر، وسيماء بزيادة الياء وبالمد، ويقولون "سوم" اذا جعل "سمة".(...) قولهم: سوم فرسه، أي جعل عليه السمة، وقيل الخيل المسومة، هي التي عليها السيمة، والسومة

[354] عبد المالك مرتاض، النص الأدبي من أين ؟ و إلى أين؟ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 ، ص.21.

وهي العلامة."[355] مما يبين تقارب المعاني بين المصطلحات العربية القديمة وغيرها من المصطلحات الغربية الحديثة. حتى أن العلماء العرب من غير الذين اهتموا بالجانب اللغوي ذكروا كلمة سيمياء ومعانيها في كتبهم التي ألفوها وتركوها لنا تراثا زاخرا.

ففي مخطوط لابن سينا معنون بـ "كتاب الدر النظيم في أحوال علوم التعليم"، حسب ما ذكر الدكتور رشيد بن مالك، يقول الطبيب المسلم في تعريفه لعلم "السيميا" مايلي:" علم يقصد فيه كيفية تمزيج القوى التي في جواهر العالم الأرضي ليحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب، وهو أيضا أنواع."[356] مما يبين اهتمام الأطباء بعلم السيميولوجيا منذ القدم. وعند العالم اللغوي عبد القاهر الجرجاني ما يشير إلى علم العلامة والدلالة فالكلام عنده على ضربين:"ضرب أنت تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده، و (...) ضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة تصل بها إلى الغرض، ومدارها هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل."[357]

وحسب رأي الدكتور نصر حامد أبو زيد فإن ألفاظ اللغة عند

---

[355] ابن منظور، لسان العرب، مادة عادل، المجلد العاشر، دار صادر، بيروت، ص.308.
[356] رشيد بن مالك السيميائية: أصولها و قواعدها، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002 ، ص.23.
[357] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1 ، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص.173.

الجرجاني :"ليست إلا مجرد علامات وسمات دالة على المعاني(...)فيمكننا أن نستبدل علامة بعلامة للدلالة على نفس العلامة."[358]

والجرجاني من خلال هذه الإشارات يعزز الفكرة القائلة باهتمام اللغويين العرب بعلم السيمياء قبل العلماء الغربيين لكن الانقطاع وعدم مواصلة البحث في الحقول اللغوية والأدبية جعل العرب يتناسون هذه الأبحاث القديمة، مما أعطى الفرصة للعلماء اللسانيين الغربيين للعمل على تطويره وجعله يمتد إلى جوانب عديدة من الحياة البشرية كالإشهار والسينما والمسرح وغيرهما من الميادين التي ولجها علم السيمياء.

ومما يبين اهتمام الفلاسفة وعلماء الكلام المسلمين بالأشياء المرئية ومحاولاتهم فهمها وشرحها ما قاله أبو حامد الغزالي:" إن للأشياء وجودا في الأعيان، ووجودا في اللسان ووجودا في الأذهان، أما الوجود في الأعيان فهو الوجود الأصلي الحقيقي، والوجود في الأذهان هو الوجود العلمي الصوري والوجود في اللسان هو الوجود اللفظي الدليلي."[359] فالذي يقصده الغزالي من قوله "وجود في الأعيان" هو ما نراه بالعين ونريد شرحه بإعطائه

---

[358]نصر حامد، ابوزيد، اشكالية القراءة و اليات التاويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2001 ، ص. 56

[359]مبارك حنون، السيميائية عند العرب، مجلة دراسات أدبية و لسانية،فاس، ع.5 ، 1986 ، ص.95

مدلولا ينسجم مع واقعنا وما تعارفنا عليه وهذا الشرح الغزالي غير بعيد من الشرح السوسوري أي اعطاء مدلول للعلامة مهما كان طابعها.

## 6. العلامة عند بيرس

لقد اقترح بيرس ثلاثة فروع من العلامات ترتكز عليها الدراسة السيميائية:" الأيقونة تدل على التشابه أو التماثل بين الإشارة وما تشير إليه، والمؤشر هو ارتباط ظاهري أو وجودي بين الاشارة وما تدل عليه مثل التعبيرات اللاإرادية على الوجه والجسم وتورد الخدين. أما الرمز فهو يدل على عادة عرفية اعتباطية في الاستعمال."[360] . **الأيقونة** التي تشير إلى التشابه بين الإشارة وما تشير إليه. و**المؤشر** الذي هو بمثابة الارتباط بين الإشارة وما تحيل إليه من معان، من خلال تعابير الوجه عند الإنسان. و**الرمز** الذي يعد علاقة اعتباطية بين العلامة ومرجعها، وبالتالي فإن " الاعتباط يقع بين العلامة (دالا ومدلولا) والشيء الذي تعينه وليس بين (الدال والمدلول) خصوصا أنها من طبيعة نفسية...إن الاعتباط يكمن بين اللسان والعالم، ليست العلاقات داخل اللسان باعتباطية

[360] روبرت شولز، السيمياء و التاويل، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1994 ، ص. 111

وإنما هي(ضرورية)."[361] خلافا للألسنية، لا تميز السيميائية بين اللغة والكلام، "ففي الأول يستحيل أن توجد لغة من دون أن يوجد كلام، وفي الثانية لا بد أن تتعاقب اللغة والكلام من غير أن ينطلق معا من المنطلق نفسه. فاللباس الذي تصفه صحيفة من صحف الأزياء بواسطة اللغة المنفصلة يعد لغة على مستوى التواصل اللباسي وكلاما على مستوى التواصل اللفظي."[362]

**7. ما هي مجالات الدرس السيميائي ؟**

**الدلالة** من وجهة نظر السيميائية هي"الاهتمام بمعاني الإشارات قبل استعمالها في قول منطوق."[363] وتنقسم الدلالة اللغوية بدورها إلى دال ومدلول بالإضافة إلى المؤولة التي تكلم عنها السيمائيون. "أما الدال فهو المعاني التي تقرن اقترانا حرا بكلمة معينة خلال تاريخ استعمالها بدلالة الإيحاء...أما المدلول فهو المفهوم الذي يشكل الاشارة (العلامة) بارتباطه بصورة معينة، أما المؤولة فهي أن تؤول إشارة واحدة بأخرى وهي عملية توليد سيميائي لا محدود."[364] وبالتالي فمجال الدرس السيميائي، لا يتجاوز دراسة العلامة اللغوية للنص الأدبي من كل جوانبها. على اعتبار أن هذه

---

[361] عبد الله ابراهيم و اخرون، في معرفة الاخر، مدخل الى المناهج النقدية الحديثة، الدار البيضاء، 1996، ص.75.

[362]، المرجع نفسه، ص.99 عبد الله ابراهيم و آخرون

[363] روبرت شولز، السيمياء و التاويل، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1994 ، ص.252.

[364] روبرت شولز، السيمياء و التاويل، ص111.

الاخيرة هي البنية الأساسية لأي نص أدبي، فـ "العلامة هي تلك الإشارة الدالة على الرغبة في إيصال معنى، فهي شيء مدلول يظهر شيئا ذهنيا آخر. فالدال (مادي)، والمدلول عليه (ذهني) أي: الصورة السمعية والمفهوم."[365]

كما تعد السيميائية السيميوز موضوعها الرئيسي للدراسة،"والسيميوز في التصور الدلالي الغربي هي الفعل المؤدي الى انتاج الدلالات وتداولها، أي سيرورة يشتغل من خلالها شيء ما باعتباره علامة."[366]

وهذا ليس معناه بالضرورة أن دراسة للعلامة اللغوية عند السيميائيين تقتصر على متابعة البنية النصية آخذين بعين الاعتبار عدديتها ونوعها أو دلالتها المعجمية ومدى ترابطها للوصول إلى تشكيل نص متكامل. لأن هذا المجال الدراسي اهتم به البنيويون. فالعلامة اللغوية، حسب المجال الدراسي السميائي ليست فقط مفردة كلامية بل هي أيقونة أي إشارة ذات دلالة. فالنص الأدبي على اعتباره مجموعة مفردات ما هو إلا علامة لغوية حاملة لدلالة. أو بتعبير السيميائيين هو شفرة لغوية محملة بمعاني يراد إيصالها للمتلقي ووصفها، "فإذا كانت السيميائية نقلا لثقة، فهي

[365] جهاد يوسف العرجا، سيميائية الشخصيات في القاهرة الجديدة لنجيب محفوظ، بحث معد بكلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بغزة، 2002 ،ص.13.

[366] سعيد بن كراد، السيميائيات و موضوعها، علامات في النقد الأدبي، النادي الادبي الثقافي بجدة، ع.16 ، ، ص. 79 .

أيضا أكثر من ذلك، فباعتبارها عملية وصف، يجب أن تدقق مستوى أو مستويات التحليل التي تريد أن تتموقع فيها."[367]

والدارس للسيميائية يمكنه فهم هذه المعاني وشرحها. أي أنه تمكن من اعطاء شروحات وتأويلات لما قد أبدعه الأديب وبالتالي فهو يصبح مبدعا ثانيا لأنه قادر على شرح ما عجز عنه الآخرون، " فالقراءة السيميائية إذن تحرر الدوال من قيد المعجم وتحوّل العلاقة بين القارئ والنص إلى فعالية إبداعية تعتمد أساسا على كفاءة هذا القارئ في إنتاج نص قرائي يساوي أو يفوق النص المقروء."[368]

وعليه فالدراسة السيميائية لا تكتفي بالاعتماد على ما هو معروف ومألوف لدى جميع الدارسين بل تبدع طرقا جديدة تكون بها السباقة في مجال داستها. مما يجعل الدراسات السيميائية العربية لم ترق الى ما وصلت اليه الأبحاث في أوروبا وأمريكا مثلما يرى الدكتور حفناوي بعلي، فـ" وضع المصطلحات السيميائية في العالم العربي. يختلف تماما عما عليه في أوروبا. إذ لم يرق بحكم التضارب الموجود في المصطلحات المستعملة إلى

[367] جوزيف، كورتيس، مدخل الى السيميائية السردية و الخطابية، ترجمة جمال حضري، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2007 ، ص.57.

[368] يوسف لطرش . المقاربة السيميائية في قراءة النص الدبي . منشورات الجامعة (بسكرة) الجزائ2000. ص 147.

بلورة نموذج مؤسس لخطاب علمي دقيق يضبط مفاهيمه وأدواته الإجرائية الخاصة به سلفا. يكفي أن نقرأ بعض الدراسات السيميائية لنتأكد من الاختلافات الموجودة بين الباحثين".[369]

من هنا يتضح أن مجال السيميائية في وطننا العربي لازال لم يبلغ مداه المتوخى، حيث اقتصرت الدراسات ـ في أغلبها ـ على المجالات التالية:

## 7. 1 . سيميائية العنوان

يعد العنوان من أبرز المفاتيح الهادية إلى تسهيل قراءة النص الأدبي وفهمه

"العنوان ليس مجرد علامة حدودية لبداية النص."[370]

"وإذا كان العنوان أول "عتبة" تصادف القارئ، فانه اخر علامة توشح النص بعد ان تكتمل صورته. و هذا هو وجه الاختلاف بين أسماء الأشخاص باعتبارها علامات أعلام، وعناوين النصوص بصفتها علامات كيان: فالأولى تعريفية استباقية، والثانية أشارية

---

[369] حفناوي بعلي . التجربة العربية في مجال السيمياء . منشورات الجامعة (بسكرة) الجزائر 2002. ص: 165.

[370] عامر الحلواني، سيميائية الأرض والهوية في قصيدة حصار لفوزية العلوي، علامات في النقد الأدبي، النادي الادبي الثقافي بجدة، ج.29 ،200 ، ص. 69 .

إلحاقية تنبه لتفاصيل الهوية."[371]

فدراسة العنوان أو التترولوجيا كما يحلو للبعض أن يطلق عليه يقوم بدراسة العلامة الدالة على معان ظاهرة وباطنه. فالأعمال الأدبية غالبا ما تحمل عناوينها كعلامات دلالاتها في ذاتها وهذا ما يجعل تقديم شرح سيميائي لعمل أدبي ما من دون الاهتمام بالعنوان هو عمل مبتور، كما أن التعامل مع هذا العنوان بطريقة تعتمد على الشرح المعجمي يعد عملا ناقصا. و العنوان بحسب رأي الدكتور بودربالة: " نص مختَزل ومكثَّف ومختَصَر، إنه نظام دلالي رامز، له بنيته الدلالية السطحية وبنيته الدلالية العميقة، مثل النص. ولا يخفى على أحد وجود شبه كبير بين العنوان وتسمية المولود الجديد، فالتسمية تؤسس لنسب الطفل واندماجه في الجماعة، وكذلك الحال بالنسبة للعنوان الذي يؤسس لانتماء النص الأدبي والثقافي والإيديولوجي والحضاري "[372].

كما تعدد وظائف العنوان، إذ يمكن أن تختصرها في، " وظيفة احتواء ـ وظيفة تناصية ـ وظيفة مرجعية ـ وظيفة تأثيرية ـ وظيفة جمالية ـ وظيفة إيقونية..إلخ وهذه الوظائف بجزئياتها تفضي في

---

[371] عامر الحلواني، سيميائية الأرض والهوية في قصيدة حصار لفوزية العلوي، علامات في النقد الأدبي، النادي الادبي الثقافي بجدة، ج.29 ،200 ، ص. 69 .

[372] الطيب بودربالة . قراءة في كتاب سيمياء العنوان للدكتور بسام قطوس . منشورات الجامعة (بسكرة) الجزائر 2002 ص: 25

النهاية إلى الدلائلية الكلية للعنوان، الذي يشكل جزئية هي من الأهمية بمكان في الدرس السيميائي بوجه خاص."[373]

## 7. 2 . سيميائية المكان

خلافا للدراسات السابقة التي اعتمدت على مناهج مختلفة في تناولها للمكان، فإن السميائيين قد ركزوا في دراستهم على المكان لما يخزنه من دلالات لأن، "الأمكنة في الواقع كالحجارة في المقلع، لا تشكل بناء جماليا، إلاّ عندما يقطعها المبدع وينقشها بالحلم و الرؤيا يكحلها بالأزمنة."[374]، والمكان بحسب محمد بنيس، " منفصل عن الفضاء، وأنه سبب في وضع الفضاء، أي أن الفضاء بحاجة على الدوام للمكان."[375]

ومن جهة أخرى نجد أن دراسة الفضاء تحتم علينا دراسة شاملة تتناول جميع الأماكن التي تحتويها الرواية فالفضاء يتسع " ليشمل البيئة الطبيعية والصناعية، بمختلف أنماطها ووظائفها، والشوارع وكل الأماكن التي تعيش فيها الشخصيات الروائية، كما يشمل الوقت من اليوم ، وما يترتب عليه من أضواء أو ظلمة أو الطقس

[373]ذويبي خثير الزبير، سيميولوجيا النص السردي، مطبوعات رابطة أهل القلم، سطيف، 2001 ، ص. 28

[374]شاكر، النابلسي،جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ص 59

[375]حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل و الهوية في الرواية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000 ، ص.42

بكل أحواله والأصوات والروائح."[376] ولأن الرواية تنتقل فيها الأحداث من مكان إلى آخر، ويساعد الزمان في تحديد الفترات والمواقيت التي يحدث فيها هذا الانتقال، وتكون الشخصيات الروائية هي المحور الذي يبنى عليه الفعل الروائي. وبما أن الأمكنة متباينة وكثيرة في الرواية الواحدة، كان من الواجب جمعها في إطار شامل يطلق عليه الفضاء الروائي، حيث أنّ "الفضاء(...) يشير إلى المسرح الروائي بكامله، والمكان يمكن أن يكون فقط متعلقا بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي."[377]

أما لوتمان فيعتبر أن الفضاء الروائي هو" مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل: الاتصال، المسافة."[378]

لقد اقترح لوتمان تقسيما للفضاء بين فيه أربعة أمكنة تلتقي فيما بينها لتشكل الفضاء الواسع:

ا. **عندي:** وهو المكان الذي أمارس فيه سلطتي، ويكون بالنسبة لي حميميا وأليفا.

---

[376] فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010 ، ص.125.

[377] حميد لحميداني، القراءة و توليد الدلالة، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2003، ص.63.

[378] شريبط احمد شريبط، بنية الفضاء في رواية"غدا يوم جديد"، مجلة الثقافة، ع.115 ، 1997 ، الجزائر، ص.150.

**ب.عند اللآخرين:** وهو مكان يشبه الأول في نواحي كثيرة، لكنني فيه أخضع لسلطة الغير التي أعترف بها.

**ج. الأماكن العامة:** وهي ليست ملكا لأحد معين، ولكنها ملك للسلطة العامة(الدولة)، النابعة من الجماعة، والتي يمثلها الشرطي المتحكم فيها.

**د. المكان اللامتناهي:** يكون بصفة عامة خاليا من الناس، فهو الأرض التي لا تخضع لسلطة أحد، مثل الصحراء، هذه الأماكن لا يملكها أحد، إنها ملك للدولة."[379]

فيما يذهب العالم الروسي ميخائيل باختين إلى اقتراح أربعة أنواع للفضاء تختلف نوعا ما عن أنواع لوتمان. تتمثل الفضاءات المقترحة من طرف باختين في:" الفضاء الخارجي، الفضاء الداخلي، الفضاء المعادي وفضاء العتبة."[380] في حين، أنّ الفضاء الأخير تمثله الممرات، الأبواب، الشوارع وغيره من الأماكن المساعدة في تنقل الشخصيات المحورية في الرواية.

وبحسب الدكتور محمد عزام فإن " الفضاء يتكون من التقاء فضاء الألفاظ بفضاء الرموز الطبيعية، وهو المظهر التخييلي أو الحكائي، ويرتبط بزمان القصة، وبالحدث الروائي، وبالشخصيات

[379] شريبط احمد شريبط، بنية الفضاء في رواية"غدا يوم جديد"، مجلة الثقافة، ع.115 ، 1997 ، الجزائر، ص.158.

[380] فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010 ، ص.128.

التخييلية، فالمكان لا يتشكل إلا باختراق الأبطال له، وليس هناك أي مكان محدد مسبقا، وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال."[381] وتظهر الدلالة اللغوية في كون اللغة في العمل الأدبي لا تقوم على معنى واحد. فلغة الأدب لا تعبر عن معنى واحد بل تقبل عدة معان منها ما هو حقيقي ومنها ما هو مجازي.

## 7. 3 . سيميائية الزمان

بالاعتماد على دلالة الأفعال سواء ما كان منها ماضيا أو مضارعا يمكن دراسة الأعمال الأدبية دراسة سيميائية تدعم الدراسة التي تهتم بالمكان والشخوص. لأن إغفال الزمان في أي دراسة سيميائية تتناول عملا أدبيا ما يجعل الدراسة غير نزيهة. فإذا أخذنا رواية مثل زقاق المدق وأردنا تطبيق المنهج السيميائي لدراسة الفضاء دون التطرق إلى الزمان كان العمل مبتورا. فقيمة الفضاء تكمن في معرفة الشخوص التي تسكنه والأزمنة التي ُتنظمه وتعطيه الحياة مدة زمنية معينة، فالزمن يبقي العنصر المهم في الإبداع الأدبي سواء ما تعلق بالرواية أو القصة أو القصيدة. وبالتالي " لم تعد الدراسات النقدية المعاصرة تنظر إلى

[381] محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005 ، ص.72

الزمان في الإبداعات القصصية بوصفه مجرد خلفية جامدة لابد منها لأجل سيرورة الحدث أو مجرد عنصر داخل عمليـة التهيئة والإعـداد لما هو مهم في القصة أو الرواية، بل صار الزمان يُنظر إليه جزءا ضروريا وحيويا من أجزاء البنية الأساسية للعمل القصصي لا يقل أهمية عن أهمية سائر الأجزاء حتّى قيل: إن هذا الزمن يوشك أن يصبح بطل القصة"[382].

والزمن ليس فقط الأفعال الدالة على فعل ماض أو مضارع بل لا بد من دراسة كل كلمة تحيل الى الزمان من أسماء وظروف وغيرها، مما قد يساعد في فهم العلامة ذات الدلالات الحقيقية أو الرمزية والتي بدورها تحيلنا إلى فهم النص الأدبي كما يقول غاستون باشلار:"..فإنه لن يكون بعيدا عن الاستنتاج معنا بأن الزمان بالمعنى الدقيق للكلمة هو علامة"[383].

وفهم العلامة هو جوهر الدراسات السيميائية عندما يتعلق الأمر بدراسة المكان أو الزمان أو الشخوص.

## 7. 4 . سيميائية الشخوص

---

[382]إحسان صادق سعيد ـ الزمان والمكان والشخص في أدب غادة السّمّان ـ نزوى كومwww.Nizwa.com

[383]غاستون باشلار ـ جدلية الزمنـ ترجمة خليل أحمد خليل ـ ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر 1983 ص133

تعتمد الدراسة السيميائية للشخصيات الروائية على اعتبار أن كل شخصية ترمز لشخص موجود في الواقع، والشخصيات ما هي في الحقيقة إلا تجسيد، إذْ " يرصد عالم الرموز كل عناصر بناء الشخصية في وصفها الخارجي والنفسي وفي اختيار الاسم واللباس والوظيفة والانتماء الاجتماعي والثقافي والإيديولوجي."[384]

والشخصية الروائية "مثلها مثل الشخصية السينمائية، أو المسرحية لا تنفصل عن العالم الخيالي الذي تعزي إليه، بما فيه من أحياء وأشياء، إنه لا يمكن للشخصية أن توجد في ذهننا على أنها كوكب منعزل، بل إنها مرتبطة بمنظومة وبواسطتها هي وحدها تعيش فينا بكل أبعادها."[385]

ويقترح فيليب هامون ثلاثة أنواع للشخصية الروائية، وهي تابعة لأنواع العلامات يمكن أن نختصر هذه الأنواع فيما يلي:

ا.**الشخصيات المرجعية:** التي تمثلها الشخصيات التاريخية والأسطورية والمجازية كالحب والكراهية.

ب. **الشخصيات الإشارية:** تمثلها الشخصيات الناطقة باسم المؤلف.

---

[384] جهاد يوسف العرجا، سيميائية الشخصيات في القاهرة الجديدة لنجيب محفوظ، بحث معد بكلية الاداب، قسم اللغة العربية، الجامعة الاسلامية بغزة، 2002 ،ص21

[385] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، ص115.

**ج.الشخصيات الإستذكارية:** وهي الشخصيات التي تذكر بأشياء ملفوظة في النص.[386]

تعد دراسة الشخصيات الروائية في أي عمل أدبي فرصة حقيقية لمعرفة القيمة الإبداعية للروائي. في أعمال نجيب محفوظ مثلا نجد هذا الاخير "يتقن فن تضمين الأسماء في روايته طاقة إيجابية ورمزية بارزة، ومن ثم يصبح اختيار الأسماء الخطوة الأولى في الترميز الشيفري الناجح."[387] كما أنّ اختيار الشخوص يكون من إبداع الكاتب بالاعتماد على خياله من جهة، وعلى النماذج البشرية الموجودة في المجتمع الذي يعيش فيه، "فشخصيات نجيب محفوظ منتقاة بعناية كبيرة من قطاعات المجتمع المختلفة، ومن نماذجه المتعددة، وقد استنتج ذلك تنوعا في القضايا التي تناولها والمزاجات التي تحكمت في حركة المجتمع في فترة من أعقد فتراته وتشابكها."[388]

الشيء الذي جعل جل أعماله ذات قيمة إبداعية من جهة ومحبوبة من طرف الشعب المصري بتشعب طبقاته، فحتى الطبقة الغير محسوبة على الثقافة تعشق أعماله التي تكون إما عرفتها من

---

[386] ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010 ، ص218.
[387] صلاح فضل، شفرات النص-دراسة سيميولوجية في شعرية القص و القصيد، دار الادب، 1999 ، ص184.
[388] حلمي بدير، الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، دار المعارف، القاهرة، 1979 ، ص173

خلال الكتب والصحف أو شاهدتها عبر السينما والتلفزيون.

# الفصل الثاني

# من سيميائية العنوان
# إلى سيميائية المكان

## 1 . الفضاء العام و الفضاء الروائي

دراسة الفضاء تفرض علينا كما أشرنا سابقا دراسة:" البيئة الطبيعية و الصناعية، بمختلف أنماطها و وظائفها، والشوارع و كل الأماكن التي تعيش فيها الشخصيات الروائية، كما يشمل الوقت من اليوم، و ما يترتب عليه من أضواء أو ظلمة أو الطقس بكل أحواله و الأصوات و الروائح."[389] و بالتالي فنحن مضطرون إلى دراسة عنوان و شخصيات النص إضافة إلى الأمكنة حتى نكون قد وفينا الدراسة السيميائية لرواية زقاق المدق حقها.من الاجتهادات في تعريف السيميائية ما أورده الباحث المغربي سعيد بن كراد. اذ يعتبر: "أن السيميائية في معناها الأكثر بداهة هي تساؤلات حول المعنى. إنها دراسة للسلوك الإنساني باعتباره حالة ثقافية منتجة للمعاني."[390] وبالتالي فالدراسات السيميائية السردية اهتمت بإظهار تطورات السلوك الإنساني عند الشخصيات المحورية في الحكي سواء كان حكاية شعبية مثل ما درسه فلاديمير بروب أو ما كان رواية و قصة مكتوبة بلغة رسمية. و هذا ما اجتهد فيه تودوروف و غريماس و من نحا منحاهما من السيميائيين الفرنسيين خاصة.

---

[389] فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010 ، ص.125

[390] سعيد بن كراد، مفاهيم في السيميائية، علامات في النقد الأدبي، النادي الادبي الثقافي بجدة، ع.17 ،2004 ، ص. 85

عند دراسة الشخصيات الروائية لا يمكن إغفال جانب الفضاء الذي يتحركون ضمنه و هذا ما جعل العديد من الباحثين يربطون دوما بين الشخصيات من جهة و الزمان و المكان من جهة أخرى بسبب عدم إمكان تفسير أي تطور عند أي شخصية ما بدون رؤية مدى تأثير الزمان و المكان فيها و كيف تتطور هذه الشخصيات بتطور الفضاء بمختلف أمكنته.

و الفضاء الروائي هو شامل لعدة عناصر مترابطة و متداخلة منها الزمان و الشخصيات التي تملؤه فلا داعي للخوض في تعريفه لأن ذلك يؤدي الى تشعبات تبعدنا عن جوهر دراستنا. يقول غريماس: «إن مصطلح الفضاء مستعمل في الدلائلية بمفاهيم متباينة قاسمها المشترك هو اعتباره كموضوع مبني (يتضمن عناصر متقطعة) انطلاقا من الامتداد، المعتبر كاتساع مملوء، ممتلئ، دون حل للاسترسال. إن بناء الموضوع - الفضاء يمكن فحصه من وجهة هندسية (...)، ومن وجهة نظر نفسية فيزيولوجية (كظهور متصاعد لخصائص مكانية انطلاقا من الخلط الأولي) أو من وجهة نظر اجتماعية ثقافية (كتنظيم ثقافي للطبيعة مثل الفضاء المعمر).

وإذا أضفنا جميع الاستعمالات الاستعارية لهذه الكلمة أن استعمال مصطلح الفضاء يتطلب حذرا شديدا من طرف الدلائليين.»[391].

تنطلق الدراسة السيميائية من عنوان الرواية كمدخل قبل التطرق الى المحتوى الذي يفرض علينا حتما دراسة المكان و الزمان والشخصيات:"فبعض العناوين الأدبية تتكون من كلمة تنطوي على افتقار ذاتي إلى ما يخصصها، إن وصفا و إن اضافة. مثل هذه العناوين تلعب أعمالها الأدبية عمل الصفة أو المضاف إليه، فيصبح للعنوان - و الحال هذه- موقعين سيميوطيقيين:موقع تؤسسه نصيته المثقلة كعنوان، وآخر يؤسسه عمله المعنون به، إذ يخصصه أو يفسره في كل لحظة من لحظاته."[392]

2. **سيميائية العنوان في روايات نجيب محفوظ.**

العنوان هو الواجهة التي يمكن من خلالها الاطلاع على الرواية من دون قراءتها. فهو يمكننا حتما من معرفة و لو القليل عن اتجاه الرواية و ما إذا كان الكاتب متأثرا بعمل آخر كتب من قبل بنفس اللغة التي استعملها أي بلغات أخرى. و قد أفرد جيرار جينيت كتابين (اطراس و عتبات) تحدث فيهما عن العتبات النصية و التي

[391]محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، الجزء 3، الدار البيضاء، دار توبقال، الطبعة الأولى، 1990، ص. 112 - 113

[392]محمد فكري، الجزار، العنوان و سيميوطيقا الاتصال. دراسة ادبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998 ، ص.125

يعرفها بكل ما أحاط بالنص الداخلي من غلاف و عنوان و إهداء مما يهدي القارئ إلى فهم المضمون عندما يبدأ في قراءته. فالعنوان كما عرفه لو إتش هوك ": مجموعة من العلاقات اللسانية قد ترد طالع النص لتعينه وتعلن عن فحواه وترغب القراء فيه".[393] من خلال اختيار العنوان الدال على فكرة و معنى نجد القارئ ينجذب نحو الكتاب ليشتريه. فالإعجاب أحيانا يكون قبل قراءة الكتاب و بالتالي فهو يمكن من «:إقامة علاقة بين النص ونفسه، أي بين العمل الأدبي باعتباره نصا جديدا وبين صورته لدى القارئ باعتباره نصا أدبيا رسميا ومعتمدا."[394] الصورة التي تكونت لدى القارئ بعد أن اطلع على العتبات النصية التي يعتبر العنوان أحد أبرز مكوناتها. "و إذا كان العنوان أول عتبة تصادف القارئ، فإنه آخر علامة توشح النص بعد أن تكتمل صورته. و هذا هو وجه الاختلاف بين أسماء الأشخاص باعتبارها علامات اعلام، و عناوين النصوص بصفتها علامات كيان: فالأولى تعريفية استباقية، والثانية إشارية إلحاقية تنبه لتفاصيل الهوية."[395]

---

**393** محمود الهميسى، براعة الاستهلال فى صناعة العنوان، الموقف الأدبي، دمشق، ع 313، مايو 1997، ص211

[394] محمد فكرى الجزار،العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، دراسات أدبية.. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998 ص 137.

[395] عامر الحلواني، سيميائية الارض و الهوية في قصيدة "حصار" لفوزية العلوي ، علامات في النقد الأدبي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ج.29 ، ص.69-70

توجد علاقة افتراضية بين العنوان و النص الروائي، في غالب الأحيان تندرج العلاقة ضمن طبيعة النص وما يحتويه من أحداث وما يكمن داخل العنوان من معان مرتبطة بالسياق الحكائي مما يبلغ عن التواصل الموجود بين النص و العنوان على المستوى الجمالي خاصة. العنوان هو من اختيار الكاتب يقترحه إما قبل الانتهاء من كتابة الرواية أو بعد الانتهاء منها و هناك العديد من الأدباء من غير تسمية روايته بعد أن كان اقترح عنوانا قبل البدء في كتابتها مما يفسر المهمة الصعبة التي تكون على عاتق المبدع أثناء اختياره لأي عنوان. و نجيب محفوظ واحد من هؤلاء الأدباء الذين اهتموا كثيرا بعناوين رواياتهم معتمدا في بعضها على الاستشهاد بالأسماء التي تخلد الحضارة الفرعونية مثل "رادوبيس"، "كفاح طيبة" و"خوفو" التي تحولت بعد مشورة الدكتور سلامة موسى إلى ""عبث الاقدار" يقول: " إلى أن أعطيته رواية "خوفو" قال لي: هذه رواية في مستوى يمكن أن ينشر، لكن اسم "خوفو" لم يعجبه، رغم أن له ابنا اسمه "خوفو"، واقترح علىّ أن أسميها "عبث الأقدار"، وقدر نشرها لي في كتاب وزعه على المشتركين في المجلة الجديدة."[396]

[396] صلاح فضل، نجيب محفوظ والرواية التاريخية ، الرواية والتاريخ، مجموعة باحثين، المجلس

والإبداع الأدبي عند نجيب يظهر من خلال اختيار العنوان فتختلف عناوين رواياته من فترة زمنية إلى أخرى و من نمط عنواني لمجموعة روائية إلى أخرى فنجد على سبيل المثال عناوين تعتمد على الثنائيات و المفارقات على منوال "بداية ونهاية"، أين استطاع العنوان بالتلاحم مع النص أن يحقق": مسألتين : الأولى، نمو النص انطلاقا من بذرة وعاها الكاتب بدقة وهو ما دعوناه بالدينامية، الثانية، دورية الحكاية حيث البداية تعكس النهاية وتؤكدها، الأولى مرآة للثانية، والثانية استمرارية للأولى".[397] إضافة إلى روايات مثل: "السمان والخريف"، "اللص والكلاب"، "حديث الصباح والمساء" و غيرها مما أبدعه الفنان نجيب محفوظ، في حين تبدو بعض العناوين حاملة لمعان مخبئة بداخل كلمة واحدة مثل "السراب"، "والشحاذ"، و"الحرافيش"، و"الطريق"، و"المرايا" كما تنبؤنا عناوين أخرى عن محاور سياسية مرتبطة بالواقع المصري خاصة ما بعد ثورة 1952 مثل "حضرة المحترم"، "قلب الليل"، "عصر الحب".و"التنظيم السري"، و"باقى من الزمن ساعة"، "يوم قتل الزعيم"، "أفراح القبة"، "العائش في الحقيقة"، "حكايات حارتنا"،

---

الوطنى للثقافة والفنون
والتراث، قطر، 2006 ،ص. 189

[397] سعيد الحنصالى، بداية ونهاية.. قراءة وتحليل، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1995 ص. 19

و"حب تحت المطر" كما اعتمد في عناوين أخرى و هي كثيرة على أسماء أمكنة أو أحداث عرفتها مصر القديمة أي المنطقة الفاطمية التي ولد بها نجيب محفوظ و بقي مرتبطا بها حتى و هو كبير في السن مما ألهمه الكثير من الأفكار الروائية. و من بين هذه العناوين "الحرافيش"، "خان الخليلى" التي تحدثنا عن حي من أحياء مصر القديمة التي طالما تردد عليها وتعرف على أشخاص معروفين جسّدهم في رواياته. يحدثنا أديب نوبل في هذه الرواية عن ": البرجوازى الصغير أحمد أفندى عاكف، الذى لقيه الأستاذ نجيب محفوظ في "خان الخليلى" فالتقط لنا صورته الجسمية والنفسية بل والاجتماعية أيضا، وذلك لا لأنه بطل من أبطال تلك الطبقة الوسطى، التي يسمونها في أوربا بالبرجوازية الصغيرة، بعد أن حلت البرجوازية الكبيرة ذات الثراء الواسع، الذى ترده الصناعة والتجارة، محل الارستقراطية القديمة التي كانت تقوم على الدم الأزرق أو إقطاع الأرض"[398]، و الثلاثية المتكونة من "بين القصرين، قصر الشوق و السكرية" و "عصب الموضوعية في "الثلاثية" هو تصميم الكاتب على تتبع أصول وجوده ومسالك تطوره، فلا يقف الكاتب عند عرض انحلال إرث الماضي

[398] يوسف القعيد، "البرجوازى الصغير"، محمد مندور، عبقرية المجهود.. مندور ناقدا للقصة والرواية، المجلس الأعلى للثقافة،
القاهرة، 2005 ص 377.

ومجتمع السطوة الأبوية وإنما يذهب في ذلك إلى محاولة تخطى جيله وحدود بيئة انتمائه الأصلي."[399] بالإضافة إلى أسماء مقاهي و عوامات و بنسيونات مثل ما هو الحال مع روايات:"الكرنك"، " قشتمر"، "ثرثرة فوق النيل"،". في رواية "ميرامار" البنسيون المتواجد في الإسكندرية يعرفنا نجيب عبر كلام أحد الشخصيات عامر وجدى بهذه المدينة العريقة اين تدور احداث الرواية:"الإسكندرية أخيرا.. الإسكندرية قطر الندى، نفثه السحابة البيضاء، مهبط الشعاع المغسول بماء السماء، وقلب الذكريات المبللة بالشهد والدموع. ثم ما يلبث أن يستأنف وصفه لهذه العمارة التي يقبع فيها البنسيون.. العمارة الضخمة الشاهقة تطالعك كوجه قديم، يستقر في ذاكرتك فأنت تعرفه ولكنه ينظر إلى لا شيء في لا مبالاة فلا يعرفك."[400]

## 2. 1 . زقاق المدق كعنوان.

الزقاق و هو مفرد أزقة يعبر عن مكان ضيق داخل أماكن سكنية تعج بالسكان و هو في الغالب يطلق على المناطق الشعبية و ذلك لكون الأديب كان يغلب على أعماله الاهتمام بالأماكن الشعبية

[399]ناجى نجيب، نجيب محفوظ نوبل 1988، كتاب تذكارى، وزارة الثقافة، القاهرة، 1988،ص 173.
[400]نجيب محفوظ، رواية ميرامار ، مكتبة مصر، القاهرة، ص7.

لأنها ربما تجعله يعود بذاكرته الروائية الى حنينه المرتبط بأماكن ولادته و لعبه بالإضافة الى ما كان يجد في هذه الأماكن من مواضيع اجتماعية أثناء جلوسه في مقاهيها كمقهى الفيشاوي و غيره. وهو يستمع إلى حكايات يرويها أناس بسطاء يقضون أوقاتهم في اللعب و حساء الشاي الشراب المفضل عند المصريين. و باعتباره واحد من أبناء الحارة الشعبية المصرية :" كان يجنح نحو شعبية الأمكنة حيث يقول ..."زقاق" و لا يقول مثلا: شارع" أو "نهج" ؛ و يقول في موطن آخر: "حارتنا"، و لا يقول مثلا "حينا" لأن هذه الأمكنة هي التي كان يتخذ منها مجالا "لمختبره" السردي حيث كان يعايش أبسط الشخصيات درجة اجتماعية و يبني عليها إشكاليته الروائية."[401]

و عنوان الرواية التي نحن بصدد دراستها "زقاق المدق" يوحي بالجو الشعبي الذي عودنا نجيب محفوظ على تقديمه، و على رأي الدكتور طه حسين:" فإنك لا تكاد تسمعه و تنطق به حتى تتبين أنك مقبل على كتاب يصور جوا شعبيا قاهريا خالصا. فهذا العنوان

401 عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 ، ص.277

يوشك أن يحدد موضوع القصة و بيئتها."[402] و زقاق المدق هو حي شعبي من أحياء القاهرة القديمة ، زاره نجيب محفوظ و جلس في مقهاه الذي صوره في الرواية باسم "قهوة المعلم كرشة"[403] و حتى بعض الشخصيات المذكورة في النص الروائي تعرف على بعضها في الواقع و سمع من أهل الزقاق عن باقي الشخصيات. فالعنوان إذن مرتبط بالنص و لا يمكن اختيار عنوان آخر له و إلا وقع اختلال، فكل الرواية تتحدث عن أهل الزقاق، سواء من بقي وفيا له أو من خرج ثم رجع أو فكر في الرجوع مثل حميدة.

**3. سيميائية الشخصيات من خلال التمفصلات الدلالية.** تعتبر رواية زقاق المدق نصا سرديا يساعد النقاد على تطبيق المنهج السيميائي و ذلك من خلال النظرية التمفصلية التي وضع معالمها أندري مارتني باعتبار أن أي خطاب لا بد و أن يقبل على الأقل بتمفصلين. وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار الرواية تعتمد أربع تمفصلات:"

**3. 1 .التمفصل الأول:** الوحدات السيميائية الدالة على الفقر و المعاناة. معانات أهل الزقاق يبينها لنا الكاتب من خلال المستوى

[402] طه حسين، نقد و إصلاح، دار العلم للملايين، بيروت، 1956 ،ص17
[403] جمال الغيطاني، شريط مصور

المعيشي الذي هم فيه، فمعظمهم يمتهن حرفة يضمن بها قوته، كالحلاقة التي امتهنها عباس الحلو قبل أن يصبح عاطلا و بيع البسبوسة التي يمتهنها العم كامل و العمل في الفرن الذي تمثله سنية، العمل في المقهى و هذا لا يعني أن الزقاق كان خاليا من بعض الشخصيات الغنية التي تفرض نوعا من التوازن الطبقي كالعم كامل و سليم علوان أغنا شخصيتين ذكرهما الكاتب. يوجد أيضا من امتهن مهنة خبيثة و هي حفر القبور و صنع العاهات و التي يمثلها زيطة. هذه الظروف التي فرض جزءا منها الاحتلال الانجليزي جعل الكثير من ساكني الزقاق يفكر في الهروب من أجل تغيير وضعه، فكانت بطلة الرواية حميدة واحدة من هؤلاء."بعد فرارها من الزقاق"[404] فكلمة هروب التي استعملها الكاتب لها دلالة سيميائية تحيل إلى عدم تقبل الوضع، فحميدة تردد دوما في كلامها عدم رضاها بالعيش داخل الزقاق. فهي تعتبره شؤما عليها كما يعتبره حسين كرشة الذي فضل العمل مع الانجليز تاركا مقهى والده المعلم كرشة، زقاقا لم ينصف ساكنيه. "و الفقر

[404] نجيب محفوظ، زقاق المدق، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر، 1989 ص 221.

في زقاق المدق يمثل واحدة من الدعائم التي تقوم عليها البنية السردية بحذافيرها."[405]

**3. 2.التمفصل الثاني:** الوحدات السيميائية الدالة على الصراع بين الأشخاص. يعتبر بعض السكان أن الزقاق لم ينصف ساكنيه إلا البعض بينما يعيش البعض الآخر في الحضيض الأسفل، فلا يوجد طريق آخر إلا السفر و هذا ما ينطبق على حسين كرشة الذي :" لا يعدل بين أهله ولا يجزيهم على قدر حبهم له. وربما ابتسم لمن يتجهمه وتجهم لمن يبتسم له، فهو يقطر عليه الرزق تقطيرا، ويغدقه على السيد سليم غدقا، وعلى كثب منه تتكدس رزم الأموال المالية حتى ليكاد يشم عرقها الساحر، في حين أن راحته لا تقبض إلا على ثمن الرغيف، فليكن سفرا وليتغيرن وجه الحياة"[406]. فكلمة العدل المستعملة من طرف نجيب محفوظ لها مدلول سيميائي يحيل إلى أن الزقاق فض نوعا من الصعداء الطبقي بين أفراده جعل البعض يتلفظ بأفكار وجودية مثل ماقاله زيطة لأحدهم:"كان ينبغي إذن أن تولد غنيا."[407] هذا الكلام الذي تلفظ به زيطة يمكن تفسيره سيميائيا بكرهه للأغنياء و الفقراء معا فهو

[405]عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 ، ص.53.
[406] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص38.
[407]نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص52.

كان يفضل أن يولد غنيا لكنه عندما وجد نفسه فقيرا بين الأغنياء تولد في نفسه كراهية للأغنياء لا يظهرها إلا للشحاذين من أمثاله:" ولعل الكراهية إن تبدو مكشوفة معلنة في سلوك زيطة و كلامه حيث أنه كان شديد الحقد على الأغنياء؛ فكان الأغنياء، بالقياس إليه، أيا من الناس: إذ أي منهم يمكن أن يكون أمثل منه حالا، و أوسع من يده يدا، و أبسط من جيبه جيبا."[408] مع تطور الأحداث تتباين مواقف بعض الشخصيات بعد خوجها من الزقاق و تظهر علامات توحي في دلالاتها على الندم و الاشتياق الى الزقاق خاصة بعد السقوط في الرذيلة الذي عرفته حميدة.

**3. 3 .التمفصل الثالث:** الوحدات السيميائية الدالة على العند من جهة و على الفشل من جهة أخرى.

نلاحظ أن الكاتب يقدم لنا نموذجين من الشخصيات، العنيدة من ناحية و من ناحية أخرى التي تحاول توجيه هذه الشخصيات المتهورة. من جانب لدينا أم حميدة و أب حسين و هما يمثلان الكبر و النضج و من جانب آخر لدينا حسين و حميدة اللذان يمثلان الصغر و الطيش. يظهر هذا الإصرار من الابن حسين و إرادة

[408] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 ، ص.38.

تغيير موقفه من هذا الحوار المطول بين الابن وأبيه: "هل تروم حقا مغادرتنا ؟ فقال بهدوء وعزم معا :نعم يا أبي ...فسأله الرجل وهو يعاني خناق غيظه: ولماذا ؟ فتفكر الشاب قليلا ثم قال: أريد أن أحيا حياة أخرى...

فقبض الرجل على ذقنه وهز رأسه ساخرا وقال :فهمت ...فهمت. تريد حياة أخرى تناسب المقام لأن كلبا مثلك نشأ محروما ضائعا يجن إذا امتلأ جيبه. وأنت الآن صاحب قرش انجليزي، فمن الطبيعي أن ترتاد حياة أخرى، تليق بمقامك العالي يا قنصل الإوز ..

فكظم حسين غيظه وقال :لم كلبا جائعا قط، لأني نشأت في بيتك، وبيتك لم يعرف الجوع أبدا والحمد لله. وكل ما في الأمر أريد أن أغير حياتي، وهذا حقي لا مراء فيه ولا داعي لغضبك وسخطك."[409]

فاستعمال الكاتب لعبارة "وهو يعاني من خناق غيضه" له دلالة سيميائية تحيل إلى التمسك بالنفس حين الغضب و هي شيمة يشترك فيها الكبار أصحاب التجارب في الدنيا و الذين يفضلون ألا يقع أبناؤهم في نفس الأخطاء التي وقعوا هم فيها. وفي العبارة

[409]نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص.72.

تناص مع الآية الكريمة"والكاظمين الغيظ و العافين عن الناس". بينما نجد في جواب حسين، بعد أن اعترف أنه لا ينقصه الأكل في بيت أبيه الذي كان من أغنى رجال الزقاق، وأن الذي يدفعه إلى الخروج من الزقاق هو إرادة التغيير ، فهو مصر على ذلك بحجة أن ذلك من حقه. فعبارة "و هذا حقي لا مراء فيه." لها دلالة سيميائية تدل على عدم التريث في أخذ القرار و عدم الاكتراث بالنتائج مهما كانت و كلاهما من خصوصيات الشباب صاحب التجربة القليلة.

و في هذا الحوار بين الابن و أبيه:" تأكيد من المؤلف على افتقاد حسين الروابط الضرورية التي تربطه بالحياة في الزقاق، وافتقاد هذه الصلة هي التي دفعت حسين إلى الجيش البريطاني. هذه الحياة التي تراوحت بين فضائح المعلم كرشة ثم السباب والعراك اللذين تشعلهما والدته بسبب شذوذ المعلم وفضائحه.( ....) لقد طمح حسين إلى البعد عن الهوان أكثر مما طمح إلى المكسب المادي. وهذا ما واجه به المعلم كرشة حينما أخذ يسأله عن أسباب عزمه الرحيل."[410] فهل استطاع حسين أن يغير حياته إلى أفضل مما

---

[410]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981، ص 83.

كانت عليه داخل الزقاق و هل استطاعت حميدة أن تنعم بالحرية التي أرادتها خارج الزقاق؟

**3. 4 . التمفصل الرابع:** الوحدات السيميائية الدالة على النهاية المأساوية و الضياع. بعد أن عمل حسين كرشــة سنوات في الجيش الانجليزي و تاهت حميدة في أحضان الجنود الانجليز بعد أن وقعت في شباك فرج إبراهيم القواد الذي يغري النساء بالمال و لو بدفعهم إلى العمل في الأماكن التي يتردد عليها الانجليز، و بعد أن دفع حسين بعباس الحلو إلى الخروج مكرها من الزقاق حتى يفوز بحميدة و هو الذي أحب الزقاق و لم يفكر أبدا في الخروج منه، لكن حبه لحميدة كان أقوى: " وجاء "حسين كرشة" ليزيد من إقناعه بأن الحصول على حميدة يعني الطموح والعمل والحياة الأفضل التي تتحقق خارج الزقاق ولو ترك عباس وشأنه ما اختار بالمدق بديلا. وهذا يعود إلى شخصية عباس نفسه فهو بطبيعته يأبى المغامرة نتيجة لطبيعته الخاملة، ويوضح المؤلف هذه النقطة قائلا."[411] يخبرنا نجب محفوظ أن الحلو كان: " بطبعه قنوعا، عزوفا عن الحركة، هيابا لكل جديد، مبغضا للأسفار."[412] ذهب الحلو ليعمل و يأتي بمهر حميدة لكن موته يكون على يد الانجليز

[411] فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، ص84.
[412]نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص.111

حين أراد تخليصها من أحد الجنود: "ويسافر عباس وتكلل جهوده بالنجاح، إذ يعود حاملا معه مهر حميدة، ولكنه يجد أحداثا جدت من أخطرها، هروب حميدة، ويأبى فتى الزقاق أن يطوي صفحة النسيان على اختفائها فهي فتاة الزقاق ورمز لالتصاقه الكبير به فيظل يبحث عنها إلى أن يجدها ولكنها تكون محاطة بكل معالم السقوط ويكون مصرعه على يد أحد الجنود الانجليز، حينما حاول أن يدافع عن حميدة وهي بين أيديهم."[413]

و دلالة عباس الرمزية في النص المحفوظي هو شهامة المصري ابن البلد الذي يدافع عن الشرفاء و الساقطين معا عندما يتعلق الأمر بوجود أجنبي دخيل يحاول العبث بمقدسات البلد، كما يرى بعض النقاد فإن:" "عباس رمزا لشباب مصر وقد مات وهو يدافع عن حميدة رمز السياسة الساقطة، مات وهو يحاول إعادتها إلى منبع أصالتها وينتقم لها، فكان قتله على يد الانجليز بالذات."[414] رغم أن رضوان الحسيني قد نصحه بعدم الذهاب حتى لا يعرض حياته للخطر:" يا عباس أصغ إلي كما ينبغي لشاب شهد له جميع أهل الزقاق بالعقل واللطف، عد إلى التل الكبير في أول فرصة، بل

[413] فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، ص85.
[414] سليمان الشطى، الرمز والرمزية فى أدب نجيب محفوظ، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2004 ،ص 192

اليوم إن سمعت وأطعت."[415] لقد جعل نجيب محفوظ سقوط الشخصيات الثلاث في الرواية و نهايتهم على يد الانجليز و في ذلك دلالة على أن أصل المشكل هو الوجود الانجليزي. فحسين فقد عمله بعد أن عمل عندهم مدة زمنية ابتعد خلالها نهائيا من الزقاق وعن أبيه و حميدة أوقعها تقربها من الانجليز في الوقوع في الرذيلة و الحلو قتله الانجليزي عندما حاول الدفاع عن محبوبته. فالدلالة الرمزية للانجليز هي النهاية المأسوية لأغلب المصريين و ما شخصيات الرواية إلا أمثلة عن ذلك.

**4. سيميائية أسماء الشخصيات في زقاق المدق.**

بحسب رأي الدكتور عبد المالك مرتاض فإن الشخصية هي:"كائن حركي حي ينهض في العمل السردي بوظيفة الشخص دون أن يكونه. و حينئذ تجمع الشخصية جمعا قياسيا على الشخصيات لا على الشخوص الذي هو جمع لشخص. و يختلف الشخص عن الشخصية بأنه الإنسان، لا صورته التي تمثلها الشخصية في الأعمال السردية."[416] غير أنه، و باعتراف الدكتور مرتاض نفسه فإن الجدل و الخلط لا يزال قائما حول اختيار المصطلح فالدكتورة فاطمة الزهراء محمد سعيد تراوح بين الشخصيات و

[415] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص274

[416] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ص.126

الشخوص و الدكتور لويس عوض استعمل الأشخاص بدل الشخصيات عندما تحدث عن ثلاثية نجيب محفوظ.

### 4. 1 . اختيار الاسم في المجتمع

من العادات و السلوكات الطيبة التي يجنح إليها الانسان تلك التي يقوم بها عندما يولد له مولود جديد فيختار له اسما يتوسم فيه الخير و التفاؤل و الحزم الشديد. و الواقع أن دستور الشريعة الإسلامية خير دليل يمكن الرجوع إليه عند القيام باصطفاء اسم مولود جديد و الأكيد." أنّ الآباء يسمون ابناءهم بالاتفاق و التراضي."[417]

لقد شاءت حكمته عزّ وجل أن يسمى معتنقي دينه بالمسلمين: " هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم و تكونوا شهداء على الناس."[418] وهذا النبي صلى الله عليه و سلم يوصينا بحسن الاختيار حيث يقول :" إياكم و هذه الأسماء القبيحة فما من مولود يولد إلا و يحضره ملك و شيطان فيقول الملك : سموه بكذا اسما حسنا و يقول الشيطان:سموه بكذا اسما قبيحا."[419] وفضل اختيار الاسم الحسن عظيم، تدعو إليه مبادئ الشريعة الإسلامية في أكثر من موضع حيث يقول صلى الله عليه و

[417] أحمد هيبي ، التسمية في الاسلام، مجلة العربي ، الكويت، 1997- العدد 462 ، ص. 167
[418] سورة الحج – الآية 78
[419] مصطفى بوهلال ، أسماء من التراث، مجلة المنهل ، المجلد 57 – العدد 522 محرم 1416 هـ/ يونيو 1995 م. ص.336

سلم: "من أتاه الله وجها حسنا و اسما حسنا و جعله في غير موضع شائن فهو من صفوة خلقه."[420] و لما كانت أخلاق الأنبياء أشرف الأخلاق، كانت في أسماؤهم أحسن الأسماء و لهذا دعى الرسول صلى الله عليه وسلم أمته إلى التسمي بأسماء الأنبياء. فاختيار أسماء الأنبياء لدى المسلمين دليل على سماحة هذا الدين و عظمة هذا النبي الأمي الكريم.

وثبت عنه صلى الله عليه و سلم في أكثر من موضع إلحاحه الشديد على التمسك بدلالات الصفاء و الليونة و تخلصه من كل أشكال الخبث المادي و المعنوي. و هذا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول:" أحبكم إلينا أحسنكم أسماء، فإذا رأيناكم فأجملكم منظرا، فإذا اختبرناكم فأحسنكم مخبرا. "[421]

و المجال الذي يهمنا نحن أكثر من غيره في هذا البحث ووجدنا له نظيرا في تعاملات الرسول صلى الله عليه وسلم هو القيام بعملية تأويل الاسم و تفسيره وفقا لمقتضى الحال فإن سمعنا اسما جميلا توسمنا في حامله كل دلالات الحسن و النجاح . بيد أنه إذا سمعنا اسما قبيحا، تراء لنا حامله في صورة بشعة و كأنه نذير شؤم .و موضع الترجيح و الاستنتاج في هذا المقام ما جاء في الأثر

[420] الامام محمد بن عبد الوهاب ، هديه صلى الله عليه و سلم في الأسماء و الكنى – الطبعة الثالثة 1981- المكتب الاسلامي –ص 131

[421] الراغب الاصفهاني ، محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء – المجلد الثالث – ص 336.

حين لقي عمر رضي الله عنه مسروق بن الأجدع قال: "سمعت رسول الله عليه وسلم يقول: الأجدع شيطان."[422] فاختيار الاسم إذن أصبح مشكلة معقدة يتعامل معها المجتمع بكل حذر. فبعد أن لم يُترك حق اختيار أسماء الأطفال قديما للمرأة، وبعد أن كان حق اختيار الاسم يكاد يقتصر على الرجال خاصّة بالنسبة للمواليد الذكور، ذلك أنّ اسم الطفل الذكر غالبا ما يُترجم جانبا هاما من تراث العائلة، وجزءا أساسيا من هُويتها الاجتماعية؛ إنه اسم الطفل ـ الملك الذي يرث أباه ويخلِّد اسمه ونسبه؛ فهو المُخول الوحيد للحفاظ على التراث الرمزي الجماعي للعائلة البطريقية التي يكون "الأب فيها والجد هو القائد الروحي للجماعة العائلية وينظم فيها أمور تسيير التراث الجماعي وله مرتبة خاصة تسمح له بالحفاظ وغالبا بواسطة نظام محكم على تماسك الجماعة المنزلية."[423] أصبح اليوم من حق الكلّ أن يُدلي بدلوه في مسألة الاختيار، حيث أرسى مبدأ التفاوض جذوره عميقا بين كلِّ أفراد الأسرة الواحدة؛ فالأسرة البطريقية أضحت نووية يُخيِّم عليها الجو الديمقراطي و"ذلك لعدة اعتبارات منها تساوي منزلة الزوج مع منزلة زوجته وذلك بفضل المستوى الثقافي العلمي الذي تحصلت عليه المرأة في

[422] أبو عمر بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ،منشورات دار الكتاب العربي –بيروت- لبنان –1402 ه / 1982 م الجزء الثاني ص. 301

[423] بوتفنوشنت. مصطفى، العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة، ترجمة دمري. أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 ، ص. 37

هذه السنوات إذ حسنت كثيرا من وضعيتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية على الوضعية التي كانت عليها."[424]

### 4. 2 . نجيب محفوظ و اختياره لأسماء روايته

يحسن الأدباء اختيار أسماء شخصياتهم لما لها من دلالات سيميائية مخبئة تحيلنا دوما إلى معان ضامرة لا يمكن فهمها إلا ضمن إطارها السردي و بالرجوع إلى التاريخ و الواقع الذي كتبت فيه الرواية و نجيب محفوظ واحد من الروائيين الذين أتقنوا:"فن تضمين الأسماء في روايته طاقة إيجابية و رمزية بارزة و من ثم يصبح اختيار الأسماء الخطوة الأولى في التمييز الشيفري الناجح."[425] فهو كونه ابن الطبقة الاجتماعية المتوسطة، استطاع بفضل احتكاكه بأفراد هذه الطبقة، و قراءته للأخبار التي توردها الصحف التي كان متعودا على قراءتها و خاصة صفحات الأحداث، أن يترك لنا مجموعة كبيرة من الأسماء، اختارها لشخصيات رواياته:"فشخصيات نجيب محفوظ منتقاة بعناية كبيرة من قطاعات المجتمع المختلفة، و من نماذجه المتعددة، و قد استنتج ذلك تنوعا في القضايا التي تناولها و المزاجات التي تحكمت في

---

[424] عقون. محسن، تغيير بناء العائلة الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 17 ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002، ص. 129

[425] صلاح فضل، شفرات النص. دراسة سيميولوجية في شعرية القصد و القصيد، دار الادب، القاهرة، 1999 ،ص.184.

حركة المجتمع في فترة من أعقد فتراته و تشابكها."[426] يخبرنا نجيب عن قيمة الاسم كعلامة و ما تحمله من دلالات، على لسان أحد شخصياته عندما يخاطب حميدة قائلا لها:"ليس الاسم يا محبوبتي بالشيء التافه لا يقام له وزن."[427]

فهناك أسماء لشخصيات لها دلالات في الواقع فهي ترمز لأشخاص وجدوا في الحقيقة و بالتالي فتفاهتهم في مجتمعهم جعلت الأديب يصورهم في الرواية شخصيات تافهة عبر اختياره لأسماء مثل زيطة الذي وصفه نجيب محفوظ بقوله:"وكانت له ساقان كعودين رقيقين من الفحم...أما أنيابه فقد كانت وحشية...رائحته المنتنة؛ فلم يكن الماء يعرف سبيلا إلى وجهه أو جسده. فكان إذا قذرا، و لعله بالقاذورات مستهويا لها."[428] ، وجعدة و سنقر و حميدة التي تتحول فيما بعد إلى تيتي و هو كما يشرحه لها فرج إبراهيم:"اسم جميل، و من جماله أن لا معنى له؛ فالاسم الذي لا معنى له يحوي المعاني كلها؛ بل هو من الأسماء الأثرية التي تسحر ألباب الانجليز و الأمريكان، و سهل النطق به على

[426]حلمي بدير، الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة، دار المعارف، القاهرة،ط.1 ، 1981 ، ص.173.

[427]نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص179

[428]نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص107-112

ألسنتهم." [429] هذه الأسماء المفردة التي ذكرناها يراد لحامليها أن يكون غير معروف النسب حتى إذا ارتكب محظورا لم يعاقب على فعله أهله و لم تلحقهم اللعنة و العتاب:" فلو كانت هذه الأسماء مفردة لكانت مجهولة النسب سهلة السقوط دونما عائق من أهل أو معارف أو أصدقاء."[430] خلافا للأسماء الثنائية و الثلاثية التي أعلن عنها نجيب محفوظ و التي تعد ركيزة الزقاق لما لها من قيمة دلالية غير قابلة لأن تبدو في صورة غير لائقة طوال تعاقب أحداث الرواية و حتى و إن وقعت في الخطأ أحيانا إلا أن قيمتها التسموية تشفع لها عند أهل الزقاق:" "إنها أسماء ثنائية أو ثلاثية، أي أن شخصيات هذا النص معروفة النسب، و بالتالي فإن سقوطها يكون حذرا." [431] مثل ما هو الحال بالنسبة للمعلم كرشة الذي تهدي دلالته السيميائية إلى اعتبار لقبه الأول "معلم" :" علم على شيء من المال و الأبهة."[432] فهو رغم أعماله المخلة بالآداب التي كان يعلمها القاصي و الداني داخل الزقاق فهم يصفونه ب:"الفاجر، الحشاش كرشة."[433] غير أن مركزه الاجتماعي كمعلم شفع له بأن بقي داخل الزقاق بدون فضيحة علنية. نبدأ

---

[429] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص.180

[430] جهاد يوسف العرجا، سيميائية الشخصيات في القاهرة الجديدة لنجيب محفوظ، بحث معد بكلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بغزة، 2002 ،ص.22

[431] جهاد يوسف العرجا، سيميائية الشخصيات في القاهرة الجديدة لنجيب محفوظ، ص 22.

[432] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ص130

[433] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص.127

بالشخصية المحورية "حميدة" فاسمها موظف جماليا و اجتماعيا و حضاريا لأنه اسم يشير إلى الحمد فهو يجد قبولا بين أهل الزقاق لأنهم يحسنون نطق الحاء لكن وظيفتها التي اختارها لها فرج فرضت عليها أن تختار اسما آخر أسهل نطقا بين الجنود الانجليز و هو تيتي:"وهو من أيسر ما ينطق في معظم اللغات الانسانية. بينما اسم حميدة إنما يكون له وقع جميل، و إيقاع لذيذ إذا انتهى إلى أذن عربية قحة، أو جرى على لسان عربي أصيل."[434] فاختيار اسمين لشخصية واحدة له دلالته و رمزيته عند نجيب محفوظ، فهو يريد أن يبين أن اسم حميدة يصلح للزقاق فإذا خرجت منه كان لزاما عليه أن تغيره لأنها كما تنكرت للحي الذي تكفل بها فعليها أيضا أن تتنكر لاسمها الذي حملته و هي تعيش داخل هذا الحي، و له أيضا دلالة أخرى؛ فكي لا يتعرف عليها الناس داخل الحانات التي كانت تتردد عليها و يعلموا سكان الزقاق بمكان تواجدها و لو لأيام معدودة كان من الأفضل أن تعرف باسم آخر غير حميدة. من الشخصيات المهمة في الرواية نجد عباس الحلو الفتى الذي أحب حميدة و قتل و هو يريد تخليصها من الجنود الانجليز. اسم "الحلو" له دلالة سيميائة على الطيبة و التسامح و حب الآخر

[434] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ص.130.

والقناعة و المرح و هو ما عرف به داخل النص المحفوظي فصوره: "شخصا وديعا، دمث الأخلاق، طيب القلب، ميالا بطبعه إلى المهادنة و المصالحة والتسامح...عرف بالقناعة و الرضا...كان عباس مجبولا على الفرح الذي كان لا يفارقه."[435] إذ لم يرد مغادرة زقاق المدق إلا بعد أن عرف أن مهر حميدة يحتم عليه العمل بعيدا عن الزقاق. علامة الوفاء التي طبعت شخصيته جعلته يعود مباشرة بعد ان تمكن من الحصول على المال الكافي لشراء ما يلزمه. لكنه و بالرغم من معرفته بما جرى لحميدة إلا أن حبه لها جعله يذهب للبحث عنها ليلقى مصيره المحتوم.

السيد رضوان الحسيني وهو الشخصية التي راعى فيها نجيب محفوظ إعطاء الاسم الثلاثي لما تمثله من دلالة على التقى و الورع فوصفه النص بكونه:"ذا طلعة مهيبة، تمتد طولا و عرضا، و تنطوي عباءته الفضفاضة السوداء على جسم ضخم. يلوح منه وجه كبير أبيض مشرب بحمرة. ذو لحية صهباء يشع النور من غرة جبينه."[436] هذه الأوصاف كعلامة سيميائية لا تخلو من مدلولات ورعية و من تفسير على تدين هذه الشخصية. فرضوان

[435] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص29
[436] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص10

كاسم هو ملك في الجنة و الحسيني نسبة إلى الحسين و ما يحمله من رمزية دينية لدى المصريين جميعا و لدى نجيب محفوظ على الخصوص فكثيرا ما تردد على الحسين مع والدته وهو طفل صغير و بقيت رمزيته تتردد عبر رواياته خاصة الثلاثية. و السيد هو أيضا علامة سيميائية تدل من جهة على القيمة و المكانة داخل الأسرة و داخل الزقاق بالإضافة إلى مدلولها الشيعي إذ نجدها مستعملة عند الشيعة لإبراز درجة المرجع الديني، و المصريون منذ الدولة الفاطمية أصبحوا متشيعين قلبا و شافعيين مذهبا، لما تحتويه بلادهم من مزارات شيعية كالسيدة زينب و السيدة عائشة "عيشة" كما يحلو للمصريين نطقها و "سيدنا" الحسين.

فرج إبراهيم هو الشخصية التي تلتقي بها حميدة عندما تقرر الهروب من الزقاق. يقدمه لنا النص على أنه كان:"طويل القامة نحيفا، عريض المنكبين، حاسر الرأس،غزير الشعر. و كان وجهه نحيلا مستطيلا، لوزي العينين، كثيف الحاجبين."[437] فلا يوجد في هذا الوصف من علامة تدل على أنه كان يدفع بالنساء إلى أحضان الانجليز ليربح المال على حسابهم بإيهامهم بحبه لهن و أنه سوف يتزوجهم:"كانت طريقته إذا أوقع فريسته في شباكه أن يمثل معها العاشق(...) حتى اذا استنامت اليه تمتع بها فترة قصيرة، و من ثمة

[437]نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص132

يطمئن الى سيطرته عليها بما يبعثه فيها من تعلق به، و ما يكبلها به من قيود مالية، ثم بما يتهددها عادة من رقابة القانون، فاذا تم له سعيه بدا على حقيقته، و تمخض العاشق عن تاجر الأعراض."[438] اسم فرج اختاره الكاتب لما له من مدلول يرتبط بالمساعدة التي سوف يقدما لبطلة الرواية فهو الفرج الذي كانت تنتظره رغم ما فيه من ضرر:"يمكن أن تقوم سيميائيته على الفرج الذي كانت تعتقد حميدة الفته في شخصيته."[439] هناك شخصية أخرى يمكن أن ترعى باهتمام الباحث عن العلامات السيميائية، إنها شخصية الدكتور بوشي؛ إذ: "تركز الدراسات السيميائية على أن كل شخصية هي صورة للشخص البشري المتعدد الوجوه و الشخصيات، و الباحث عن ذاته الواحدة و هويته عبر هذا التعدد و يصد عالم الرموز كل عناصر بناء الشخصية في وصفها الخارجي و النفسي و في اختار الاسم و اللباس و الوظيفة والانتماء الاجتماعي و الثقافي و الايديولوجي، كما يرصد شبكة العلاقات بين الشخصيات فيرسم ما يطبعها من انسجام و تفاخر و ما طرأ على هذه العلاقات من تطور أو تراجع."[440] فالاسم الذي اختاره نجيب محفوظ لهذه الشخصية علامة له رمزيته

[438] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص213

[439] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ص.131

[440] جهاد يوسف العرجا، سيميائية الشخصيات في القاهرة الجديدة لنجيب محفوظ، ص 21.

ف"الدكتور" هو رمزي المعرفة والدرجة الرفيعة من العلم بالأمور الدينية و الدنيوية. لكن دكتور الرواية لا يتعدى أن يكون سارقا لأسنان الموتى ليبيعها للأحياء إذا ما احتاجوها:"الدكتور بوشي طبيب الأسنان المزعوم."[441] و كان نجيب محفوظ جعل من اسمه احتيالا على مهنة شريفة و هي الطب كما أضاف له اسما آخر لو نطقناه باللغة الفرنسية لأعطى معنى يتلاءم مع العمل الخبيث الذي تقوم به ليلا هذه الشخصية، كما ان اسم بوشي فيه دلالة السلب:"فكان بوشي منحوت من لفظين اثنين هما: بدون-شيء، أي لا شيء. ذلك بأن الوظيفة السردية التي وكلت إلى هذه الشخصية في النص تلائم هذه الدلالة حيث تظل شخصية الدكتور بوشي عائمة كأنها بدون وظيفة في النص الروائي. و هو أمر حتما مقصود."[442] إضافة إلى الشخصيات التي ذكرناها نجد النص يحتوي على شخصيات أخرى لها دلالاتها أيضا ساعدت في تمكين الشخصيات الرئيسية من القيام بدورها داخل الإطار الزماني و المكاني للرواية.

## 5. سيميائية الزمان في رواية زقاق المدق

[441] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص142

[442] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ص.130

عندما نتحدث عن المكان لا يجوز إغفال الزمان فهما متجانسان و لا يجوز إغفال أحدهما في أي دراسة أدبية و إلا اختل البحث و اعتبر مبتورا من أحد مكوناته الرئيسية. "للمكان في كتابات نجيب محفوظ شأن أي شأن حيث نلفي كثيرا من أعماله الروائية تتصدرها عناوين مكانية...بينما الزمن لا يتخذ في عناوين رواياته إلا عناية ضئيلة."[443] عندما نبدأ قراءة رواية زقاق المدق تصادفنا هذه المقدمة في الصفحة الخامسة:" تنطق شواهد كثيرة بأن زقاق المدق كان من تحف العهود الغابرة وأنه تألق يوما في تاريخ القاهرة المعزية كالكوكب الدري أي قاهرة أعني؟...الفاطمية؟...المماليك؟ السلاطين؟، علم ذلك عند الله وعند علماء الآثار، ولكنه على أية حال أثر، وأثر نفيس."[444] فهذه الإشارات التاريخية "المعزية" نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمي الخليفة الفاطمي الذي تأسست خلال حكمه مدينة القاهرة ثم جاء بعده الأيوبيون و المماليك، ما هي إلا علامات ترشدنا إلى الزمن المزدهر للقاهرة القديمة، أين توجد إلى حد الآن الأماكن التاريخية التي سكنها نجيب محفوظ و هو صغير و كتب عنها بعد أن أصبح روائيا كبيرا. فهو يعتبر من خلال هذه الإطلالة التاريخية أن

[443] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ص277.
[444] نجيب محفوظ، زقاق المدق، ص1

الأماكن الشعبية في القاهرة هي الأصل دون غيرها، فالحارة التي غيبت في الأماكن الراقية و عوضت بالعمارة و الفيلا لا تعني له شيئا، و حتى في حياته الحقيقية، رغم سكونه في عمارة بحي العجوزة و التي توفي بها و "امتلاكه فيلا بحي المونوفية"[445] إلا أنه ظل طوال حياته يتردد كل صباح ماشيا إلى مقاهي الأحياء القديمة أين يلتقي أصدقاءه من الأدباء و الفنانين "الحرافيش" . و زقاق المدق كمكان يعتبر:"انطلاقا من الصياغة التقريرية للتاريخ، لا من الصياغة الاستفهامية له؛ على أنه من أقدم الشوارع التي أسست بالقاهرة بصرف النظر عن أن يكون ذلك حقا واردا، مكانيا، في التاريخ، أم مجرد خلق أدبي جديد عبر العالم الروائي."[446]

### 5. 1 .الزمن الليلي و النهاري

تتخلل الرواية فترات تختلف من ليلبة و نهارية و لكل دلالاتها فهناك أحداث تصير بالنهار و أخرى بالليل:"يقدم لنا الزقاق في ساعة الغروب موحيا بأنه يقدم صورة من الحياة على وشك الغروب. و هو ينهي الرواية في لحظة الشروق إذ كانت الحرب

[445] معلومة افادنا بها شرطي يعمل بمستشفى الشرطة الذي توفي به نجيب محفوظ و هو محاذي للشقة التي كان يسكنها بالعجوزة

[446] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ص230

على وشك الانتهاء."[447] فالليل الذي يتسم في الغالب بالسكون يتحول في النص إلى دلالة على فعل المسكوت عنه. فالمعلم كرشة يتناول الحشيش و يأتي الغلمان ليلا و حميدة تلتقي الانجليز ليلا و الحلو تعلم ارتياد الحانات مع حسين ليلا و قتل ليلا و أخذت حميدة إلى المستشفى بعد إصابتها برصاص الإنجليز، و هي التي فرت من الزقاق ليلا مع فرج إبراهيم و بالليل يتمكن الدكتور بوشي من نزع أسنان الموتى داخل المقابر، و يصنع زيطة العاهات لمن أراد أن يمتهن التسول، فالليل:" بما فيه من سكون وظلام و خوف يظاهر الشخصيات المريبة مثل زيطة، و بوشي، و المعلم كرشة، و حسين، و حميدة...لتفعل فعلتها المنكرة؛ ذلك بأن النهار لم يكن يمكنها من ذلك باليسر الذي كانت تريد، و التستر الذ كانت تروم."[448] كما أن النهار له أيضا دلالته، فهو كعلامة يفيد الشخصيات التي تحب ممارسة أعمالها بالنهار كالتجارة و الوعظ و الجلوس في المقهى و غيرها من الأعمال التي تمارس في وضح النهار و لا تحتاج للتستر. يظهر في النص أيضا دلالات زمنية تفيد المدة التي استغرقها موقف من المواقف. فعندما سافر عباس الحلو الى التل الكبير للعمل مثلا يفيدنا النص

[447] فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، ص 76.
[448] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ص 237.

أنه بقي شهرين:"كنت في هذين الشهرين أسعد الناس أحلاما."[449] يقول عباس مخاطبا العم كامل. و للشهرين دلالة على طول المدة حيث نجد الكاتب يستعملها أيضا للدلالة على طول غياب حميدة:"مضى على اختفائها زهاء شهرين."[450] كما وظفت الفصول أيضا للتدليل على المدة الزمنية، كمرض سليم علوان (الشلل) الذي حجبه:"في أواسط الشتاء، و أعاده الشفاء في أوائل الربيع:"[451] سليم علوان الذي حدثنا النص عن صينيته العجيبة التي كان أحد غلمانه يأتيه بها كل يوم محشوة بالحمام و الفريك مع بعض المقويات التي تسهل له ممارسة ما شرعه الله له مع زوجته ليلا:"و كان لصينية الفريك قصة يعرفها أهل الزقاق جميعا. هي طعام ووصفة في آن واحد. و قد برع في تهيئتها أحد عماله المقربين فظلت حقيقتها سرا بينهما(...) هي صينية فريك محشو بالحمام و مخلوط بقدر من مسحوق جوزة الطيب، يلتهمها في الغذاء(...) فتحدث مفعولها ليلا، و يستمر تأثيرها الساحر ساعتين كاملتين في بهجة خالصة."[452] هذه الشخصية الغنية التي أرادت أن تتدنى إلى إحدى أحط بنات الزقاق مرتبة و التي اعتبرها فرج

---

[449] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص192
[450] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص194
[451] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص55
[452] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص58

إبراهيم:"عاهرة بالسليقة."[453] و يفرط في زوجته العفيفة التي رزقته الأولاد و حافظت له على مكتسباته طوال سنين عديدة. و كأنها اشارة الى شلل البورجوازية عندما أرادت التقرب من الطبقة الكادحة التي تعتبر رمز الاشتراكية.

### 6.سيميائية المكان

الدراسة التي نتناولها تخص الأماكن الجغرافية التي ذكرها نجيب محفوظ و هي بتعبير السيميائيين علامات لها دلالاتها و مؤشرها و بالتالي سوف نهتم بكل :" ما عنى حيزا جغرافيا حقيقيا."[454] زقاق المدق كعلامة سيميائية تشير إلى طبيعة المكان القاهري المصري بصفة خاصة و كنمط من العيش يترك فيه بقية الشعوب العربية عامة. فكل الممارسات الإنسانية و التطورات التي يعرفها الزقاق عرفتها البلدان العربية من استعمار و طبقية وثورات و غيرها من الممارسات السياسية كالترشح الى البرلمانات. و يذكر لنا نجيب محفوظ الأماكن بصورتها و باسمها أحيانا بينما:"يعتم عن قصد صورة المكان، و يقتصر على إشارات عابرة تدعو لها الضرورة

[453]نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص164
[454]عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ص.245

لإقامة الحكي."[455] فهو من خلال طريقته هذه استطاع أن يرشدنا إلى الأماكن الرئيسية في النص بذكرها و الوقوف عندها تعريفا ووصفا بينما لا يتعدى تقديم الأماكن المساعدة على السرد إلا بإشارات عن طريق جمل قصيرة:"فالروائي يحاول تقديم إشارات جغرافية تشكل نقطة انطلاق من أجل تحريك خيال القارئ، أو من أجل تقديم استكشافات منهجية للأماكن."[456] التي لم تتناول قدرها من الوصف و التقديم. اتسع المكان "الزقاق" لكل الصراعات التي دارت بين الآباء و أبنائهم؛ حميدة مع أمها، حسين كرشة مع أبيه المعلم كرشة. الصراع من أجل الفوز بالمرأة "حميدة" و يظهر هذا الصراع بين عباس الحلو، سليم علوان و غيرهما من سكان الحي. صراع من أجل التغيير و الخروج من الزقاق. بالإضافة إلى:"صراع الطبقات و يمثله سليم علوان و عمال وكالته (...) ثم هناك الصراع الديني و يمثله رضوان الحسيني مع حميدة و المعلم كرشة."[457] فالزقاق كمكان يصير هو الدولة التي تجتمع فيها المتناقضات السياسية و الدينية و العاطفية و هي الوطن الذي يمكنه أن يتقبل كل أفراده مهما أخطاؤا و مهما ذهبوا و عادو يبقى صدره

---

[455] لحميداني حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزع، ط.1 ، 1991 ،ص.91

[456] لحميداني حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزع، ط.1 ، 1991 ،ص.53

[457] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ص.247

دائما حنونا عليهم حنان الأم على أولادها:"فهنا يثير محفوظ دوافع ارتباط الإنسان بالمكان، ويقدم رؤيته حول قضية انتماء الإنسان للوطن فعندما يهب المكان للفرد الإحساس بالكرامة والسعادة والطمأنينة يقوى ارتباط الفرد بهذا المكان وهذه المشاعر الضرورية للإنسان لم يحسها حسين كرشة داخل الزقاق، ففضائح أبيه تلاحقه يوما بعد يوم(...) وكانت هذه الحياة المهينة داخل الزقاق هي دافعه إلى الارتماء بين أحضان الجيش البريطاني إذ "ضاق بآله وبيته وبالزقاق جميعا."[458]

### 6. 1 .الأماكن المغلقة و الأماكن المفتوحة في النص

كما ذكرنا سابقا فهناك أماكن مغلقة و أخرى مفتوحة فالأولى تعبر عن عجز ساكنيها أو المتردد عليها في التواصل مع العالم الآخر، كما تمثل في مواقف أخرى ملاذا يجد فيه من عجز عن التواصل في المكان الفسيح متنفسه كما هو الحال في المقاهي و الحانات مثلا. أما الثاني أي المكان المفتوح فهو يوفر للشخصيات المساحة المطلوبة من أجل التحرر و التغيير. في الرواية نجد تنوعا في ذكر الأماكن المغلقة و المفتوحة.

[458]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981. ص. 83

### 6. 1 1. الأماكن المغلقة

**أ.المنازل.** يذكر نجيب محفوظ عدة نماذج لبيوت متباينة في الانتماء الطبقي؛ فنجد منزل أم حميدة الذي يمثل الطبقة الفقيرة كما "ينضوي تحت هذا الصنف أيضا منزل حسنية الفرانة، وشقة عباس و العم كامل، و شقة بوشي و أدنى من ذلك مزبلة زيطة أو كوخه."[459] فوصف النص بيت حسنية بالمظلم:"و تكاد الظلمة تطبق على المكان ليل نهار، لولا الضوء المنبعث من فوهة الفرن."[460] و الظلمة هنا ترمز للكآبة و التعاسة و الفقر لولا الدراهم التي تجنيها حسنية من الفرن و التي تمكنهم من العيش. "انبعاث الضوء". و وصف منزل زيطة بالخرابة المملوءة بالقاذورات:"يلقي على المكان ضوءا خفيفا يفضح أرضه المتربة المغطاة بأنواع من القاذورات كأنها مزبلة."[461] في مقابل البيوت الفقيرة هناك بيوت لأناس متوسطي الحال كمنزل سنية. أما منازل كل من سليم علوان و فرج ابراهيم فيمثلان الطبقة الغنية. النموذج الرابع للبيوت والذي وصفه الكاتب أيما وصف يفيد بأن صاحبه

[459] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ص.247.
[460] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص.48.
[461] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص.48.

ورع و تقي:"فهذه الأربعة نماذج من المنازل تمثل أربعا من الطبقات الاجتماعية."[462]

**ب.المقهى**

يعد المقهى الوحيد الذي تردد ذكره مرات عديدة في النص، حيث ذكره الكاتب 67 مرة و في ذلك دلالة سيميائية واضحة على تواتر أحداث كثيرة بداخله "وتصبح قهوة المعلم كرشة ساحة بما يدور فيها من حوار وعلاقات للكشف عن التغيير الذي يأتي سريعا على المجتمع المصري إبان الحرب العالمية الثانية."[463]

إضافة إلى المقهى الذي يعد مكانا مغلقا لكن بابه منفتح على الشارع، نجد الحانة التي تعد مكانا منغلقا تماما لأن بابه يغلق بمجرد دخول مرتاديها اليها فهي إذن إشارة سيميائية إلى الانعزال و الهروب من الواقع الأليم الذي يعيشه أهل الزقاق. وتكتفي الرواية بذكر حانة فش و حانة فيتا.

**ج.المدارس، الصالونات، الدكاكين و المقابر**

[462] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ص.248.

[463] فاروق عبد المعطي، نجيب محفوظ بين الرواية والأدب الروائي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. الطبعة الأولى: 1414ه/1994م. ص.74.

يحدثنا نجيب محفوظ عن بعض الأماكن المغلقة الأخرى التي تجري فيها أحداث مهمة في السياق السردي للنص مثل:"مدرسة الدعارة التي كانت الفتيات الضحايا يتعلمن فيها مبادئ اللغة الانجليزية المتعلقة بالجنس، و يتمرسن على ألوان من الرقص و العري، وفنون من الفجر و الدعارة ليحسن التعامل مع جنود الحلفاء و استدرار جيوبهم. كما نلاحظ وجود المقبرة التي يتم فيها إلقاء القبض على بوشي و زيطة."[464] بالإضافة إلى أحياز أخرى أشار إليها النص و هي دكان البسبوسة للعم كامل و فرن حسنية و زوجها جعدة و صالون الحلاقة للحلو وكلها أماكن مغلقة لكن بها أبوابا تطل على الزقاق و بالتالي فمن يكون بداخلها يبقى في ارتباط و تواصل مع ما يحدث في الزقاق الذي يمثل المحور الأساسي الذي بفضله تبقى الشخصيات مرتبطة ببعضها البعض، فرغم اتصالها بالعالم الخارجي تبقى محافظة على انتماءها المكاني:" "مكان الرواية، هو المحور الأبرز فيها، المرتبط بكل ما فيها من شخصيات وأحداث ارتباطاً وثيقاً. والكاتب يسعى لترسيخ هذا الارتباط والتلازم والالتحام على امتداد الرواية بجميع فصولها؛ فالصراع في "زقاق المدق" قائم على أساس علاقة

[464] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ص.249

الإنسان بالمكان، والعلاقات بين الناس وبعضهم فيه، وعلاقاتهم بالعالم الخارجي. وقضية الزقاق تتلخص في كيفية تفاعله وتفاعل ساكنيه مع الخارج مع الحفاظ على الهوية والأصالة المميزة له."[465] إضافة إلى الأماكن المغلقة هناك الأماكن المفتوحة و التي تمثلها الساحات و الميادين و الأحياء الخ.

### 6. 1 .2 .الأماكن المفتوحة

#### ا. الزقاق كشارع

أولى هذه الشوارع هو شارع زقاق المدق الذي ذكره الكاتب "192 مرة"[466] في النص مما له دلالة على قيمته في النص. فنجده محبوبا من طرف أغلب سكانه عدا شخصيتين اثنتين أبديتا نكرانا وعوقبتا على ذلك بالطرد من العمل بالنسبة لحسين كرشة الذي كان يريد دائما مغادرته معللا ذلك بحبه العيش كباقي أبناء الأسر الثرية. من خلال هذا الحوار مع والده يبين حسين لماذا يقرر ترك الزقاق:" "كل ما في الأمر أني أريد حياة أخرى غير

---

[465] ماهر الضامن، **الإنسان والمكان في "زقاق المدق"**

*http://sanabsi.com/forum/showthread.php?t=533* 28-09-2008

[466] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ص.250

هذه الحياة. إن كثيرين من زملائي يقطنون في بيوت فيها الكهرباء ... إن زملائي جميعا يحيون حياة جديدة، وقد انقلبوا جميعا جنتلمان كما يقول الانجليز (...) أريد أن أحيا حياة جديدة، هذا كل ما هنالك، وسأتزوج من بنت ناس "[467] لقد علل حسين خروجه من الزقاق بإرادة العيش في العالم المتحضر أين توجد الطبقة الارستقراطية التي تتشبه بالانجليز، أي في مصر الجديدة التي بنت على الطراز الأوروبي أيام الخديويات من أحفاد محمد علي باشا. فهو عكس الحلو تنكر للزقاق و أراد أن يخرج منه ليس لجمع المال و العودة بل للبقاء خارجه:" فهو تعنيه الحياة المتحضرة أكثر من الحصول على نقود الانجليز. وهذا هو الفارق – كما سيأتي – بينه وبين عباس الحلو الذي يوجه غاية طموحه نحو تحضير مهر حميدة والعودة للعيش في الزقاق بكل ما هو عليه من حياة متخلفة. فحسين كرشة دفعه سخطه على الحياة المتخلفة التي يحياها الزقاق إلى هجره."[468] لكن تنكره للمكان جعله يلقى مصيرا مأسويا بحيث عاد بزوجته و أخيها إلى الزقاق بعد أن استغنى الانجليز عن خدماته و هذه في حد ذاتها رمزية للمكان الذي لا يضيق بأهله و لتأثير الحرب العالمية على الشعب المصري والزقاق كنموذج

[467] نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص.150.
[468] فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، ص.84.

مصغر:" ويعود حسين كرشة منهزما جارا وراءه زوجه وأخاها العاطل، إذ كانت الحرب وشيكة على الانتهاء فاستغنى الجيش الانجليزي عن الكثيرين وكان حسين أحدهم (...) وهذه النهاية لطموح حسين أوحى "نجيب محفوظ' من خلالها بأثر الحرب العالمية الثانية في تغيير حياة أبناء الزقاق، وهو ما سيواصل تقديمه من خلال حميدة وعباس الحلو."[469] خلافا لحسين كرشة يخرج عباس من الزقاق لجمع المال و العودة للزواج من حميدة:" وقرر عباس السفر عازما على أن يهيئ لحميدة الحياة التي ترضاها."[470] لكنه يتأسف لهذه المغادرة ذات الدلالة العاطفية و التي تنبئ بمصيره المحتوم، و كان نجيب محفوظ يخبرنا بأن مصير الحلو بعد خروجه من الزقاق هو الموت:" أنت السبب يا حميدة. أنت أنت السبب.أنا والله أحب زقاقنا، وأحمد الله على ما يرزقني به من كفاف. وما أحب أن أنأى عن الحسين الذي أقوم وأقعد باسمه، ولكني وأسفاه لا أستطيع أن أهيئ لك الحياة التي ترضينها فلم أجد عن السفر مذهبا. وربنا يأخذ بيدي ويجمعنا على أهنأ حال. "[471] كما لاقت حميدة نفس المصير الذي لاقاه حسين كرشة فبعد أن رمى بها فرج إبراهيم إلى الانجليز و جعلها

[469]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، ص.84
[470]فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، ص85
[471]نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص90

تمارس الدعارة و توهمت أنه سوف يتزوجها، أصبحت لا تساوي شيئا و هي التي كانت تسخر من الزقاق و أهله بقولها:"مرحبا بك يا زقاق الهنا و السعادة، دمت و دام أهلك الأجلاء، يا لحسن هذا المنظر، و يا لجمال هؤلاء الناس."[472]

**ب.الأحياء و الميادين**

و هي كلها أماكن ذكرت في النص سواء كحيز ساعد شخصية ما على أداء وظيفة أو كمعلم تاريخي أو ديني، هناك أحياء وميادين و ساحات تحيل دلالاتها إلى القاهرة القديمة كحي و ميدان الحسين و حي الأزهر و حي الغورية و حي الجمالية ذكرت مرات عديدة في النص دلالة على قربها و ارتباطها بزقاق المدق، و أخرى ترمز إلى القاهرة الحديثة مثل حي الموسكي و عماد الدين و ميدان الأوبرا و حديقة الأزبكية التي لم يشر إليها إلا قليلا. وبالتالي فوجود الأماكن المفتوحة و المغلقة بجميع أشكالها ساهم في جعل الزقاق كمكان محوري له دلالته الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و السياسية ففيه التجارة و الوعظ الديني و الغيرة و الحب و الاحتيال و الدعارة و تناول الحشيش، و كلها متناقضات استطاع الكاتب أن يجمعها في حيز واحد: "جعل نجيب محفوظ من الزقاق مسرحا يجمع بين المتناقضات الاجتماعية والاقتصادية، إلى أنماط

[472]نجيب محفوظ ، زقاق المدق، ص26

تتورط مع سائر أشكال الفساد داخل الزقاق."[473] هذه رواية من روايات صاحب أكبر جائزة علمية في الأدب لم ينلها قبله و لا بعده عربي، أردنا بدراستها إبراز قيمتها الأدبية و الاجتماعية معتمدين على المنهج السيميائي الذي نأمل أن نكون قد وفقنا في تطبيقه على هذا النص المحفوظي الممتع في قراءته المفيد في معرفة الواقع المصري داخل الأحياء الشعبية في فترة من فترات التاريخ. لقد تناولت دراستنا هذه الفضاء غير ان قراءتها و بشكل متأن أفادنا في اكتشاف عوالم أخرى يمكن للباحث التطرق إليها، كسيميائية الروائح و الوجه و الصوت والألوان و غيرها سوف تكون موضوعا لمقالات تسند هذه الرسالة المتواضعة، و الله الموفق.

[473] فاروق عبد المعطي، نجيب محفوظ بين الرواية والأدب الروائي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. الطبعة الأولى: 1414ه/1994م. ص.74

# خاتمة

**الخاتمة**

لقد اختار نجيب محفوظ طريقــه بذكاء، انطلاقا من مقتضيات عصره، حيث كانت مصر بمشاكلها المحور والموضوع الرئيسي الذي شغلـــه، فاستطاع أن يقـدم لنا من خلال "زقاق المدق" تحليلا عميقا لواقع يتسم بالمرارة والأسى. وما استخلصته من دراستي لهذه الرواية، هو تركيزه على إبراز الفضاء الروائي بكل عناصره، إذ يعد البطل الذي تدور فيه الأحداث.

يغلب على الرواية أيضا الحوار الداخلي (المناجاة) أو المنولوج الذي يفصح عن نفسية الشخصيات فنجد العديد من الحوارات الداخلية عند الحلو وحميدة مثلا تفصح عن طبيعة الشخصية. وجدت أيضا أن الزمان لم يكن مجرد إطار خارجي لأحداث الروايـة ، وإنما كان من أهم التقنيات التي اعتمدها الكاتب في سرده الروائي، وقد تنوع استعماله من زمن ليلي وزمن نهاري إلى مدة زمنية استغرقتها شخصية ما لإنجاز عمل، إلى بداية فصل ونهاية آخر فاصلَ زمنٍ لبدئ مرض أحد الشخصيات ونهايته. ولكل شكل زمني دلالته السيميائية كما وضحت ذلك في الدراسة التي تناولت الزمن.

لاحظت أيضا، من خلال هذه الدراسة أن الشخصيات المختارة من طرف نجيب محفوظ تنتمي إلى طبقات اجتماعية متباينة، وأنه اعتمد أيضا على الشخصيات الغير مثقفة، حيث نلمس أنّ أغلبها تعيش أوضاعا مزرية، نتيجة الظروف الاجتماعية من جهة، والجهل من جهة أخرى، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى الزقاق وإلى الظروف التي كانت تعيشها مصر أيام التواجد الانجليزي بها.

وبحكم قرب نجيب محفوظ من هذه الطبقة المتوسطة وهذا الشعب المصري استطاع تصويره بشكل أقرب إلى الحقيقة رغم طبيعة النص الروائية.

كما أنّ اللغة التي يكتب بها محفوظ سهلة الفهم، لكنها تحتوي على عدة رموز وإشارات لا يمكن فهمها إلا إذا كنا قد درسنا التاريخ المصري القديم والحديث، حتى من فهم القيمة التاريخية للأحياء التي تجري بها أحداث الرواية كزقاق المدق والجمالية والحسين والغورية. وقرأنا دراسات تناولت المجتمع المصري لمعرفة دلالات الحارة والزقاق والميدان، وغيرها من المصطلحات التي لا يعرف مدلولها إلا ضمن هذا الحيز المكاني.

لقد جعل نجيب من الزقاق فضاء منه يبدأ الحكي و إليه ينتهي فالناس تخرج منه ثم سرعان ما تعود، إما بالنجاح أو بالخيبة أو بالمصير المجهول. فمنهم من ذهب للعمل ومنهم من ذهب للبحث عن الحرية ومنهم من ذهب إلى الحج، وحميدة ذهبت إلى الدعارة، وكلهم عادوا، "في عالم الزقاق لاحظنا كيف مثل الزقاق مركبا روائيا مهيمنا، من أول الرواية لآخرها. منه يبدأ العالم وإليه ينتهي. ورأينا كيف كان الزقاق نقطة انطلاق في تنظيم الحكي، إذ تستهل به أغلب فصول الرواية وفقرات أساسية كثيرة فيها."[474]

لقد ارتبطت عبقرية محفوظ بالاهتمام بالمجتمع المصري من الداخل وهذا الجانب هو الذي جعله ينال تقدير المهتمين بالأدب في العالم العربي والغربي على السواء، ولولا ذلك ما وصلت شهرته إلى العالمية، ولما أحبه الشعب المصري الذي منه من لا يقرأ و ما عرف الأديب إلاّ من خلال رواياته عندما حولت إلى أفلام. فعظمة الكاتب تكمن في عدم الابتعاد عن مشاكل عصره ومجتمعه.

في زقاق المدق كان ثمة شخصيات غريبة، فسميت بأسماء غريبة كذلك مثل جعدة الفران القصير الذي كانت امرأته تضربه.

---

[474] *حسين، حمودة، في غياب الحديقة، حول متصل الزمان/ المكان في روايات نجيب محفوظ، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2007 ، ص.166.*

وزيطة صانع العاهات الذي كان يعيش في خرابة لا فرق بين لونها ولونه. والمعلم كرشة الذي كان رب أسرة في الستين من عمره، ومع هذا كان يعشق الغلمان. هذه الشخصيات ارتبطت بالزقاق فلا يمكن تخيل الزقاق من دونها ولا يمكن فهم طبيعتها من دون الزقاق،" نجد في الرواية «نماذج فريدة ومختلفة من أمثال شخصية «المعلم كرشة» المصاب بالشذوذ الجنسي، وزوجته الثائرة، الحاقدة عليه دوماً، وابنه «حسين كرشة» المتمرد على روح الخنوع التي يتميز بها الزقاق، وشخصية «سليم علوان» ثري الحرب الذي لم يكتف بزوجته، فبدأ يفكر في الزواج من «حميدة» حتى تخلى عن أفكاره ومشاريعه، عندما فاجأته الذبحة الصدرية وتراقص أمامه شبح الموت... ثم شخصية «زيطة» صانع العاهات للشحاذين والنصابين، والفران «جعدة» وزوجته «سنية الفرانة» التي تضربه أكثر من مرة يوميا بالشبشب، حتى يسمع الزقاق صراخه، وشخصية «الشيخ درويش» الذي كان يعمل مدرساً اللغة الإنجليزية، ثم نزع إلى التصوف الذي قارب حد الجنون والهوس، وشخصية «الست سنية عفيفي» الأرملة المتصابية التي لم تكن تفكر إلا في الزواج، وكيفية الحصول على زوج، حتى ولو أنفقت كل ما تدخره بعد وفاة زوجها، وشخصية

«عم كامل» بائع البسبوسة الذي يستيقظ من النوم لكي ينام مرة أخرى بسبب لحمه وشحمه المتراكمين و«عباس الحلو» الحلاق، الذي يريد الزواج من «حميدة»، و«فرج إبراهيم» القواد."[475]

جعل نجيب محفوظ من المكان في روايته منطلق الأحداث، فمن منزل ودكان وفرن وقهوة وصالون حلاقة الزقاق، تنطلق الشخصيات الرئيسة وتقرر ما تقرر وترى ما ترى وتبحث عما تبحث عنه. وجعل من الزمان عنصرا منضما لتحركات هذه الشخصيات، "حيث إن المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية، أما الزمن فيتمثل في هذه الأحداث نفسها وتطورها. وإنْ كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث نفسها وتطورها."[476]

من خلال تعامل الشخصيات الرئيسية مع الانجليز، حاول نجيب محفوظ إظهار آثار الحرب العالمية على المواطن المصري بصفة عامة، وعلى الذين عملوا عند الحلفاء الذين كانوا منتشرين في مصر وغيرها من البلدان من أجل القضاء على دول الألمان. فأقحم الكاتب بعض الشخصيات الرئيسية ضمن هذا الإطار التاريخي،

---

[475] *حسين علي محمد، الشخصية الإسلامية في رواية «زقاق المدق» من كتاب "مقالات في الأدب العربي المعاصر"، أصوات مُعاصرة، دار الإسلام للطباعة، المنصورة ،2004م. ص.8*

[476] *ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الحرية للطباعة، بغداد،1986 ،ص.85*

منهم حسين كرشة وحميدة، إضافة إلى شخصيات غير فاعلة في السياق الروائي، و" من خلال الشخصيات الثانوية السابقة، لخّص نجيب محفوظ رؤيته لأثار الحرب المدمّرة، خاصة آثارها على الطبقة الشعبية المطحونة، هذا التلخيص الذي أعقبه الدخول إلى الشخصيات الرئيسية موسعا للفكرة. "[477]

لم يُرد نجيب محفوظ أن يعمم حب الشخصيات للزقاق، فجعل بعضها ترتبط به ارتباطا وأخرى تمقته مقتا لا يظاها، وذلك ليبين أن الاختلاف في الرأي يعد من جوهر الحياة وأنه مهما بلغ المكان في جماله أو قبحه، فإن الآراء تبقى دائما مختلفة ولا يمكن تعميم الأحكام على الأشياء.

هذه الفكرة الفلسفية يكون نجيب محفوظ قد استلهمها من قراءاته الفلسفية التي تعد أولى اهتماماته الجامعية قبل أن ينتقل إلى قسم اللغة العربية، "وقد كان لاهتمام نجيب محفوظ بعرض صورة الحياة في الزقاق هدف يبغي من ورائه التأكيد على مساهمة الزقاق في دفع أبنائه للهجرة خارجه."[478]

---

[477] فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981. ص.81

[478] *فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981. ص.81*

من خلال هذه الدراسة تبين لنا مدى تعلق نجيب محفوظ بالأحياء الشعبية التي ولد ولعب ودرس فيها، ثم اعتمد عليها فيما بعد لتكون المادة الأولية لمعظم رواياته. بأحداثها وأسماء أماكنها وشخصياتها، يقول نجيب محفوظ : "الحارات الشعبية هي مواطن إلهامي وقد نشأت فيها... نشأت في حي قرمز بالقاهرة ثم انتقلت إلى رياض العباسية وظل قلبي معلقا بأحياء الحسين والأزهر، السيدة زينب وخان الخليلي. إن هذه الأحياء هي مواطن إلهامي. و قد جسدتها في أعمالي الروائية."[479]

استطاع أديبنا بفضل براعته وتمكنه من التصوير والوصف من جعل الأمكنة تعبر عن نفسها، فهي ليست مجرد حيز جامد تسكنها، أو تتردد، أو تتحدث عنها شخصيات النص، بل لها دلالات جمالية واجتماعية واقتصادية وسياسية، يخبرك عنها كل مكان وظف في الرواية، "والمكان ليس مساحات خرساء جامدة إسمنتية من جدران وسقف، بل هي أدوات وتشكيل روائي مشحونة بطاقات إشعاع وظلال تنعكس على الحدث الروائي والشخصية وحوارها

[479] *رشيد، الذوادي، احاديث في الادب، 1982 ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص.33*

ولغتها، ولم يكن اختيار نجيب محفوظ للمكان اعتباطاً بل يخضع لاعتبارات جمالية وفنية."[480]

فالمكان يحمل بداخله شفرات دلالية ذات مضامين تنطبق على الواقع العربي.فحميدة التي أرادت الخروج من الزقاق يمكن أن يفهم تصرفها في وقتنا الحالي على أنه دلالة على تحرر المرأة، والبيت الذي كانت تعيش بداخله ضمن الزقاق الذي يسيطر عليه الرجال، على أنه سجن هربت منه، رغم أن نتيجة تحررها جعلها نجيب محفوظ أفظع من السجن نفسه، "المكان في روايته هذه مرتبط بالحرية فضلا عن ارتباطه بشفرات دلالية تشع بمضامينها على مختلف أبنيته الروائية التي لا مناص من ربط ذلك المكان بصيرورة الحدث ونمو سرديته. فللمكان علاقة بالحرية، فبعض البيوت كالسجون لاسيما للمرأة (الشرقية)."[481]

على أن قيمة نجيب محفوظ ليست السجل الاجتماعي الذي يمثله إنتاجه الأدبي، وإنما هو أيضا فيما صنعه محفوظ للأدب العربي ذاته، لفن الرواية التي فتح أمامها أبوابا جديدة لم تكن قد طرقتها من قبل.

---

[480] وسام علي محمد الخالدي، دلالــة المكــان في رواية بيــن القصرين لنجيب محفوظ، مجلة اللغة العربية وآدابها – العدد. 7، ص. 250

[481] *وسام علي محمد الخالدي، دلالــة المكــان في رواية بيــن القصرين لنجيب محفوظ، ص.250*

كتب محفوظ الرواية التاريخية والواقعية والفلسفية والملحمية، وله من الروايات ما يستعصى على التصنيف التقليدي.

وبهذا أكون قد أتيت على نهاية هـذا البحث المتواضع فإن حققت بعض أهدافه فذلك ما كنت أصبو إليه ، وإلا فعذرا فإني طالبــة في بدايـــة الطريق تارة أخطئ وأخرى أصيب. لم نعتقد يوما من الأيام التي قضيتها في انجاز هذا العمل المتواضع جدا أنني أستطيع أن أضيف شيئا كثيرا للدراسات الكبيرة التي اهتمت بنجيب محفوظ، لكنني لم أتردد في الاعتقاد ولو للحظة أنني بصدد تجميع العديد من المراجع التي تناولت أديب نوبل العربي بالدراسة.

# الملاحق

# الملحق الأول

# نجيب محفوظ:

# ما كتب و ما كتب عنه

**(من مقال نشر بمجلة الرواية تحت عنوان:نجيب محفوظ –**

سيرة حياة من إعداد: محمد أبو المجد)

**أعماله وكتبه:**

* مصر القديمة ـ للكاتب جيمس بيلي ـ (مترجم) ـ 1932م.

* همس الجنون ـ مجموعة قصصية ـ 1938م.

* عبث الأقدار ـ رواية ـ 1939م.

* رادوبيس ـ رواية ـ 1943م.

* كفاح طيبة ـ رواية ـ 1944م.

* القاهرة الجديدة ـ رواية ـ 1945م.

* خان الخليلي ـ رواية ـ 1946م.

* زقاق المدق ـ رواية ـ 1947م.

* السراب ـ رواية ـ 1948م.

* بداية ونهاية ـ رواية ـ 1949م.

* بين القصرين ـ رواية ـ 1956م.

* قصر الشوق ـ رواية ـ 1957م.

* السُكّرية ـ رواية ـ 1957م.

* اللص والكلاب ـ رواية ـ 1961م.

* السمان والخريف ـ رواية ـ 1962م.

* دنيا الله ـ مجموعة قصصية ـ 1962م.

* الطريق ـ رواية ـ 1964م.

* بيت سيئ السمعة ـ مجموعة قصصية ـ 1965م.

* الشحاذ ـ رواية ـ 1965م.

* ثرثرة فوق النيل ـ رواية ـ 1966م.

* ميرامار - رواية - 1967م.

* أولاد حارتنا - رواية - 1967م. [1]

* خمارة القط الأسود - مجموعة قصصية - 1969م.

* تحت المظلة - مجموعة قصصية - 1969م.

* حكاية بلا بداية ولا نهاية - مجموعة قصصية - 1971م.

* شهر العسل - مجموعة قصصية - 1971م.

* المرايا - رواية - 1972م.

* الحب تحت المطر - رواية - 1973م.

* الجريمة - مجموعة قصصية - 1973م.

* الكرنك - رواية - 1974م.

* حكايات حارتنا - رواية - 1975م.

* قلب الليل - رواية - 1975م.

* حضرة المحترم - رواية - 1975م.

* ملحمة الحرافيش - رواية - 1977م.

* الحب فوق هضبة الهرم - مجموعة قصصية - 1979م.

* الشيطان يعظ - مجموعة قصصية - 1979م.

* عصر الحب - رواية - 1980م.

* أفراح القبة - رواية - 1981م.

* ليالي ألف ليلة - رواية - 1982م.

* رأيت فيما يرى النائم - مجموعة قصصية - 1982م.

* الباقي من الزمن ساعة - رواية - 1982م.

* أمام العرش (حوار بين حكام مصر) - 1983م.

* رحلة ابن فطومة - رواية - 1983م.

* التنظيم السري - مجموعة قصصية - 1984م.

* العائش في الحقيقة - رواية - 1985م.

* يومَ قُتِل الزعيم - رواية - 1985م.

* حديث الصباح والمساء - رواية - 1987م.

* صباح الورد - مجموعة قصصية - 1987م.

* أهل الهوى - مختارات قصصية - 1988م. [2]

* قُشتُمر - رواية - 1989م.

* الفجر الكاذب - مجموعة قصصية - 1990م.

* حول التحرر والتقدم - مقالات - 1994م.

* حول الشباب والحرية - مقالات - 1994م.

* حول العلم والعمل - مقالات - 1994م.

* أصداء السيرة الذاتية - سيرة قصصية - 1996م.

* القرار الأخير - مجموعة قصصية - 1996م.

* وطني مصر - رواية - 1997م.

* صدى النسيان - مجموعة قصصية - 1999م.

* فتوة العطوف - مجموعة قصصية - 2001م.

* أحلام فترة النقاهة - مجموعة أقاصيص - 2004م.

مسرحيات كتبها:

(1) يُحيي ويُميت ـ في مجموعة "تحت المظلة".

(2) التركة ـ في مجموعة "تحت المظلة".

(3) النجاة ـ في مجموعة "تحت المظلة".

(4) مشروع للمناقشة المهمة ـ في مجموعة "تحت المظلة".

(6) المهمة ـ في مجموعة "تحت المظلة".

(6) الجبل ـ في مجموعة "الشيطان يعظ".

(7) الشيطان يعظ ـ في مجموعة "الشيطان يعظ".

روايات لم تُنشر:

* ما وراء العشق.

أعماله المترجمة:

إلى الإنجليزية:

السمان والخريف.

ميرامار.

دنيا الله.

بين القصرين.

قصر الشوق.

السكرية.

ثرثرة فوق النيل.

الشحاذ.

حضرة المحترم.

أفراح القبة.

بداية ونهاية.

الطريق.

أولاد حارتنا.

زقاق المدق.

اللص والكلاب.

المرايا.

يوم قُتل الزعيم.

إلى الفرنسية:

زقاق المدق ـ عام 1970م.

اللص والكلاب.

قصر الشوق.

السكرية.

بين القصرين.

إلى الألمانية:

زقاق المدق.

الثلاثية.

ثرثرة فوق النيل.

أولاد حارتنا.

إلى السويدية:

الثلاثية.

زقاق المدق.

ثرثرة فوق النيل.

أولاد حارتنا.

إلى الصينية:

الثلاثية.

اللص والكلاب.

الحرافيش.

الكرنك.

زقاق المدق.

بداية ونهاية.

الشحاذ.

رادوبيس.

الأعمال المترجمة في الجامعة الأمريكية:

- *drift on the Nile*

- *Dweller in Trutb :Akbenaten*

- *Arabian Nights and Days*

*Autumn Quail -*

*The Beggar -*

*The Beginning and the End -*

*Children of the Alley -*

*The Day the Leader Was Killed -*

*The Harafish -*

*Fattouma The Journey of Ibn -*

*s Wisdom`Khufu -*

*Midaq Alley -*

*Miramar -*

*Palace Walk -*

*Respected Sir -*

*Rhadopis of Nubia -*

*The Search -*

*The Seventh Heaven -*

*Sugar Street -*

*Thebes War -*

*The Thief and the Dogs -*

*The Time and the Place -*

*Voices from the Other World -*

*gWedding Son -*

*The Dreams -*

*Echoes of an Autobiography -*

*Mirrors -*

بالإضافة إلى ترجمة بعض الأعمال إلى: الروسية ـ الإيطالية ـ البولندية ـ الإسبانية ـ اليونانية ـ النرويجية ـ البرتغالية ـ الدانمركية ـ الفنلندية ـ التركية ـ التايلاندية ـ الفارسية ـ اليابانية ـ العِبرية.

وقد بلغ عدد اللغات التي ترجمت إليها أعماله إلى 33 لغة.

كتب تناولت أدبه وحياته:

باللغة العربية:

(1) المنتمي (دراسة في أدب نجيب محفوظ) ـ د. غالي شكري ـ مكتبة الزناري ـ القاهرة ـ 1964م.

(2) تأملات في عالم نجيب محفوظ ـ محمود أمين العالم ـ الهيئة العامة للتأليف والنشر ـ القاهرة ـ 1965م.

(3) قضية الشكل الفني عند نجيب محفوظ ـ د. نبيل راغب ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة ـ 1967م.

(4) قراءة الرواية (نماذج من نجيب محفوظ) ـ د. محمود الربيعي ـ هيئة الكتاب ـ القاهرة ـ 1974م.

(5) قراءة في أدب نجيب محفوظ ـ د. رجاء عيد ـ منشأة المعارف ـ القاهرة ـ 1974م.

(6) نجيب محفوظ على شاشة السينما ـ هاشم النحاس ـ هيئة الكتاب ـ القاهرة ـ 1975م.

**(7) سليمان الشطي، الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2004**

(8) أحاديث مع نجيب محفوظ ـ د. صبري حافظ ـ دار العودة ـ بيروت ـ 1977م.

(9) الإسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ ـ د. محمد حسن عبد الله ـ الكويت ـ 1972م.

(10) نجيب محفوظ.. الرؤية والأداة ـ د. عبد المحسن طه بدر ـ دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة ـ 1978م.

(11) العالم الروائي عند نجيب محفوظ ـ إبراهيم فتحي ـ دار الفكر المعاصر ـ القاهرة ـ 1978م.

(12) نجيب محفوظ يتذكر ـ جمال الغيطاني ـ دار المسيرة ـ بيروت ـ 1980م.

(13) العالم الروائي عند نجيب محفوظ ـ إبراهيم فتحي ـ هيئة الكتاب ـ القاهرة ـ 1981م.

(14) الرمزية في أدب نجيب محفوظ ـ فاطمة الزهراء محمد سعيد ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ القاهرة ـ 1981م.

(15) بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) ـ د. سيزا قاسم ـ هيئة الكتاب ـ القاهرة ـ 1984م.

(16) الشخصية وأثرها في البناء الفني في روايات نجيب محفوظ ـ نصر عباس ـ شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ـ 1984م.

(17) قضايا السرد عند نجيب محفوظ ـ وليد نجار ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ 1985م.

(18) مذهب للسيف.. ومذهب للحب ـ شاكر النابلسي ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ 1985م.

(19) نجيب محفوظ.. حياته وأدبه ـ نبيل فرج ـ هيئة الكتاب ـ القاهرة ـ 1986م.

(20) نجيب محفوظ من الجمالية إلى نوبل ـ د. غالي شكري ـ هيئة الاستعلامات ـ القاهرة ـ 1988م.

(21) عالم نجيب محفوظ من خلال رواياته ـ د. رشيد العناني ـ كتاب الهلال ـ دار الهلال ـ القاهرة ـ 1988م.

(22) الفن القصصي بين جيلي طه حسين ونجيب محفوظ ـ د. يوسف نوفل ـ 1988م.

(23) نجيب محفوظ في السينما المصرية ـ هاشم النحاس ـ وزارة الثقافة ـ القاهرة ـ 1988م.

(24) أولاد حارتنا.. فيها قولان ـ محمد جلال كشك ـ الزهراء للإعلام العربي ـ القاهرة ـ 1989م.

(25) نجيب محفوظ.. الصورة والمثال ـ د. لطيفة الزيات ـ هيئة الكتاب ـ القاهرة ـ 1989م.

(26) نجيب محفوظ من القومية إلى العالمية ـ فؤاد دوارة ـ هيئة الكتاب ـ القاهرة ـ 1989م.

(27) نجيب محفوظ في مرآة الاستشراق السوفييتي ـ إعداد: أحمد الخميسي ـ دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة ـ 1989م.

(28) الطريق إلى نوبل عبر حارة نجيب محفوظ ـ محمد يحيى ومعتز شكري ـ أمة برس للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ 1989م.

(29) الرؤية الوفدية في أدب نجيب محفوظ ـ د. مصطفى بيومي.

(30) اعترافات نجيب محفوظ ـ محمود فوزي.

(31) نجيب محفوظ والسينما ـ سمير فريد ـ هيئة قصور الثقافة ـ القاهرة ـ 1990م.

(32) الرؤى المتغيرة في روايات نجيب محفوظ ـ عبد الرحمن أبو عوف ـ هيئة الكتاب ـ القاهرة ـ 1991م.

(33) قراءات في نجيب محفوظ ـ د. يحيى الرخاوي ـ هيئة الكتاب ـ القاهرة ـ 1992م.

(34) نجيب محفوظ.. صداقة جيلين ـ هيئة قصور الثقافة ـ القاهرة ـ 1992م.

(35) نجيب محفوظ: الطريق والصدى ـ د. علي شلش ـ هيئة قصور الثقافة ـ القاهرة ـ 1993م.

(36) نجيب محفوظ يقول ـ رجب حسن ـ هيئة الكتاب ـ القاهرة ـ 1993م.

(37) إسلاميات نجيب محفوظ (أدب نجيب محفوظ ـ حقيقة الرؤية ومطالب التشكيل) ـ د. محمد حسن عبد الله ـ هيئة قصور الثقافة ـ القاهرة ـ 1994م.

(38) مسيرة عبقرية (قراءة في عقل نجيب محفوظ) ـ د. مصري حنّورة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ 1994م.

(39) نجيب محفوظ.. الثورة والتصوف ـ د. مصطفى عبد الغني ـ القاهرة ـ 1994م.

(40) أولاد حارتنا.. قراءة نقدية ـ د. صلاح الدين عبد الحليم سلطان ـ مركز الإعلام العربي ـ القاهرة ـ 1994م.

(41) في حب نجيب محفوظ ـ رجاء النقاش ـ القاهرة ـ 1995م.

(42) حكاية أولاد حارتنا ـ د. عبد الجليل شلبي، د. سمير سرحان، ومحمود أمين العالم ـ كتاب اليوم ـ مؤسسة أخبار اليوم ـ القاهرة ـ 1995م.

(43) رحلة الموت في أدب نجيب محفوظ ـ حسين عيد ـ هيئة قصور الثقافة ـ القاهرة ـ 1997م.

(44) نجيب محفوظ وتطور الرواية العربية ـ د. فاطمة موسى ـ مكتبة الأسرة ـ هيئة الكتاب ـ القاهرة ـ 1999م.

(45) نجيب محفوظ (صفحات من مذكراته، وأضواء جديدة على أدبه وحياته) ـ رجاء النقاش ـ القاهرة.

(46) تجربتي مع نجيب محفوظ ـ عامل محمد عطا إلياس ـ هيئة الكتاب ـ القاهرة.

(47) نجيب محفوظ: وطني مصر ـ محمد سلماوي ـ هيئة الكتاب ـ مكتبة الأسرة ـ القاهرة ـ 2000م.

(48) توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ ـ د. سعيد شوقي ـ إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ 2000م.

(49) عالم نجيب محفوظ السينمائي (من الرواية إلى الفيلم) ـ د. وليد سيف ـ هيئة قصور الثقافة ـ القاهرة ـ 2001م.

(50) نجيب محفوظ والفن الروائي ـ إشراف: د. عبد الحميد إبراهيم ـ هيئة قصور الثقافة ـ القاهرة ـ 2002م.

(51) نجيب محفوظ: رواية مجهولة وتجربة فريدة ـ حسين عيد ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة ـ 2002م.

(52) السينما في أدب نجيب محفوظ ـ د. عبد التواب حماد ـ هيئة قصور الثقافة ـ القاهرة ـ 2003م.

(53) مقاهي نجيب محفوظ في مرفأ الذاكرة ـ رشيد الزوادي ـ تونس ـ 2003م.

(54) بنية القصة القصيرة عند نجيب محفوظ ـ د. محمد السيد إبراهيم ـ هيئة قصور الثقافة ـ القاهرة ـ 2004م.

(55) هكذا تكلّم نجيب محفوظ ـ عبد العال الحمامصي ـ هيئة قصور الثقافة ـ القاهرة ـ 2005م.

(56) فعل الإبداع الفني عند نجيب محفوظ ـ د.عزت قرني ـ هيئة الكتاب ـ القاهرة ـ 2005م.

(57) نجيب محفوظ نوبل (حول المجرم والجريمة والظواهر الإجرامية) ـ د.مصطفى محمد موسى ـ هيئة الكتاب ـ القاهرة ـ 2005م.

(58) المرأة في أدب نجيب محفوظ ـ مكتبة الأسرة ـ هيئة الكتاب ـ القاهرة ـ 2005م.

(59) أنا.. نجيب محفوظ (سيرة ذاتية) ـ إبراهيم عبد العزيز ـ المجلس القومي للشباب ـ القاهرة ـ 2006م.

(60) نجيب محفوظ .. نوبل ـ د. مصطفى محمد موسى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ 2006م.

(61) التراجيديا والثورة الأبدية ـ يسري الجندي ـ دار التحرير ـ كتاب الجمهورية ـ القاهرة ـ 2006م.

(62) نجيب محفوظ في السينما (ثلاثة أجزاء) ـ د. مدكور ثابت ـ أكاديمية الفنون ـ القاهرة ـ 2006م.

(63) نجيب محفوظ.. الرؤية والموقف ـ يوسف أبو العدوس ـ د. ت ـ دار جرير.

(64) السينما في عالم نجيب محفوظ ـ مصطفى بيومي ـ مكتبة الإسكندرية ـ 2005م.

(65) نجيب محفوظ والإخوان المسلمون ـ مصطفى بيومي ـ كتاب اليوم ـ مؤسسة أخبار اليوم ـ القاهرة.

(66) الرجل والقمة ـ سامح كريّم ـ القاهرة.

(67) فن الرواية الذهنية لدى نجيب محفوظ ـ مصطفى.

(68) نجيب محفوظ والقصة القصيرة ـ

(69) كلمتي في الرد على أولاد حارتنا ـ عبد الحميد كشك.

(70) نجيب محفوظ.. سيرة ذاتية ـ حسين عيد ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة.

(71) مع نجيب محفوظ ـ أحمد محمد عطية ـ القاهرة.

(72) نجيب محفوظ.. نوبل 1988 ـ كتاب تذكاري ـ وزارة الثقافة ـ القاهرة ـ 1988م.

(73) فكرة التاريخ في أدب نجيب محفوظ ـ د. وفاء إبراهيم ـ الإمارات.

(74) نجيب محفوظ في السينما المكسيكية ـ د. حسن عطية ـ مكتبة الإسكندرية.

(75) نجيب محفوظ.. أمير الرواية العربية ـ سلوى العناني ـ مكتبة الدار العربية للكتاب ـ القاهرة.

(76) المجالس المحفوظية ـ جمال الغيطاني ـ دار الشروق ـ القاهرة.

باللغات الأجنبية:

(1) ثلاثية نجيب محفوظ ـ الأب جاك جومييه ـ ترجمة: د. نظمي لوقا ـ 1959م.

(2) الإيقاع المتغير: دراسة في روايات نجيب محفوظ ـ ساسون سوميخ ـ أ. ج. بريل ـ لايدن ـ 1973م.

(3) نجيب محفوظ.. حياته وأدبه (بالألمانية) ـ 1979م.

(4) عالم نجيب محفوظ ـ مجموعة باحثين ـ المعهد المصري للدراسات الإسلامية ـ مدريد ـ 1989م.

(5) نجيب محفوظ أمير الرواية العربية ـ ف. كيريتشينكو ـ موسكو ـ 1992م.

(6) وطني مصر ـ محمد سلماوي ـ دار لاتيس ـ فرنسا ـ 1996م.

(7) نجيب محفوظ في سيدي جابر ـ تحرير: محمد سلماوي ـ الجامعة الأمريكية ـ القاهرة ـ 2006م.

ناشرو أعماله:

(1) سلامة موسى:

شجعه على النشر، ونشر له في "المجلة الجديدة"، وفي "المجلة"، ثم نشر له رواية "عبث الأقدار".

(2) عبد الحميد جودة السحّار:

اقترح تكوين لجنة لنشر أعمال الأدباء، وهي اللجنة التي أصبحت دارًا للنشر عرفت باسم "مكتبة مصر" وهي التي نشرت له جميع أعماله باستثناء رواية "أولاد حارتنا".

(3) روزا اليوسف:

نشرت له رواية "خان الخليلي" في سلسلة "الكتاب الذهبي" عام 1952م بالتعاون مع نادي القصة.

(4) الأهرام:

وقع نجيب محفوظ في سبتمبر 1959م عقدًا يستأثر فيه الأهرام بنشر أعماله الروائية والقصصية مسلسلة قبل طباعتها. وقد نشرت رواية "أولاد حارتنا" مسلسلة في جريدة الأهرام في الفترة من 1959/9/21م حتى 1959/12/25م، ومن بعدها نشر العديد من أعماله القصصية، وكان آخرها "أحلام فترة النقاهة".

(5) أخبار اليوم:

نشرت له رواية "ثرثرة فوق النيل" عام 1981م.

(6) دار الهلال:

قدّمت مختارات قصصية اختارها الكاتب الراحل بنفسه لتُنشر في روايات الهلال عقب فوزه بجائزة نوبل، وهي التي أسماها "أهل الهوى" وقد نشرت في نوفمبر 1988م.

(7) الجامعة الأمريكية بالقاهرة:

تولى قسم النشر بالجامعة الأمريكية نشر أعمال محفوظ مترجمة إلى اللغة الانجليزية منذ عام 1978م، وهو المشروع الذي توسّع عقب فوزه بجائزة نوبل.

(8) دار الشروق:

اتفقت دار الشروق مع نجيب محفوظ منذ سنوات قليلة على إعادة نشر جميع أعماله سواء بشكل مفرد أو في مجلدات أو على الإنترنت. وقد أصدرت دار الشروق عدة مجلدات من الأعمال الكاملة، وتعيد النظر في تقديم هذه الأعمال بشكل جديد بعد وفاته.

أعماله في السينما:

استمدت السينما المصرية عددا كبيرا من أفلامها من أعمال نجيب محفوظ، وكان من بينها 17 فيلما اختيرت من بين أفضل مائة فيلم في تاريخ السينما المصرية.

وفيما يلي قائمة أفلام نجيب محفوظ في السينما المصرية:

(1) بين السما والأرض - 1959م.

(2) بداية ونهاية - 1960م.

سيناريو: صلاح عز الدين وصلاح أبو سيف - إخراج: صلاح أبو سيف.

(3) اللص والكلب - 1962م.

سيناريو: كمال الشيخ، صبري عزت - إخراج: كمال الشيخ.

(4) زقاق المدق - 1963م.

سيناريو وحوار: سعد الدين وهبة - إخراج: حسن الإمام.

(5) الطريق - 1964.

سيناريو وحوار: حسين حلمي المهندس - إخراج: حسام الدين مصطفى.

(6) بين القصرين - 1964م.

سيناريو وحوار: يوسف جوهر - إخراج: حسن الإمام.

(7) القاهرة 30 - 1966م.

سيناريو: صلاح أبو سيف وعلي الزرقاني ووفية خيري - حوار: لطفي الخولي - إخراج: صلاح أبو سيف.

(8)خان الخليلي - 1966م.

سيناريو: محمد مصطفى سامي - إخراج: عاطف سالم.

(9) السمان والخريف - 1967م.

سيناريو وحوار: أحمد عباس صالح - إخراج: حسام الدين مصطفى.

(10) قصر الشوق - 1967م.

سيناريو وحوار: محمد مصطفى سامي - إخراج: حسن الإمام.

(11) ثلاث قصص - 1967م. (عن: دنيا الله)

سيناريو: عبد الرحمن فهمي - إخراج: إبراهيم الصحن.

(12) ميرامار - 1969م.

سيناريو وحوار: ممدوح الليثي - إخراج: كمال الشيخ.

(13) السراب - 1970م.

سيناريو وحوار: علي الزرقاني - إخراج: أنور الشناوي.

(17) الاختيار - 1971م.

كتابة القصة: نجيب محفوظ (بالاشتراك مع يوسف شاهين) - سيناريو وحوار وإخراج: يوسف شاهين.

(18) ثرثرة فوق النيل - 1971م.

سيناريو وحوار: ممدوح الليثي - إخراج: حسين كمال.

(19) صور ممنوعة - 1972م.

سيناريو وحوار: رأفت الميهي - إخراج: مدكور ثابت.

(20) السكرية - 1973م.

سيناريو وحوار: ممدوح الليثي - إخراج: حسن الإمام.

(21) الشحات - 1973م.

سيناريو وحوار: أحمد عباس صالح - إخراج: حسام الدين مصطفى.

( ) أميرة حبي أنا - 1974م. (عن المرايا)

سيناريو وحوار: صلاح جاهين، ممدوح الليثي - إخراج: حسن الإمام.

(22) الحب تحت المطر - 1975م.

سيناريو وحوار: ممدوح الليثي - إخراج: حسين كمال.

(23) الكرنك - 1975م.

سيناريو وحوار: صلاح جاهين، ممدوح الليثي - إخراج: علي بدرخان.

(24) المذنبون - 1976م.

سيناريو وحوار: ممدوح الليثي - إخراج: سعيد مرزوق.

(25) المجرم - 1978م.

(26) الشريدة - 1980م.

سيناريو وحوار: أحمد صالح - إخراج: أشرف فهمي.

(27) فتوات بولاق - 1980م.

سيناريو وحوار: وحيد حامد - إخراج: يحيى العلمي.

(28) الشيطان يعظ - 1981م.

سيناريو وحوار: أحمد صالح - إخراج: أشرف فهمي.

(29) أهل القمة - 1981م. (عن: الحب فوق هضبة الهرم)

سيناريو وحوار: علي بدرخان، مصطفى محرم - إخراج: علي بدرخان.

(30) وكالة البلح - 1982م.

سيناريو: مصطفى محرم - حوار: شريف المنبّاوي - إخراج: حسام الدين مصطفى.

(31) الخدامة - 1984م.

سيناريو وحوار: مصطفى محرم - إخراج: أشرف فهمي.

(32) أيوب - 1984م.

سيناريو وحوار: محسن زايد - إخراج: هاني لاشين.

(33) المطارد - 1985م.

إخراج: سمير سيف.

(34) دنيا الله - 1985م.

سيناريو وحوار: مصطفى محرم - إخراج: حسن الإمام.

(35) شهد الملكة - 1985م.

سيناريو: مصطفى محرم - حوار: بهجت قمر - إخراج: حسام الدين مصطفى.

(36) التوت والنبوت - 1986م.

سيناريو وحوار: عصام الجنبلاطي - إخراج: نيازي مصطفى.

(37) الحب فوق هضبة الهرم - 1986م.

سيناريو وحوار: مصطفى محرم - إخراج: عاطف الطيب.

(38) عصر الحب - 1986م.

سيناريو وحوار: عصام الجنبلاطي - إخراج: حسن الإمام.

(39) الحرافيش - 1986م.

سيناريو وحوار: أحمد صالح - إخراج: حسام الدين مصطفى.

(40) الجوع - 1986م. (عن: الحرافيش)

سيناريو وحوار: مصطفى محرم - إخراج: علي بدرخان.

(41) وصمة عار ـ 1986م.

سيناريو وحوار: علي بدرخان ومصطفى محرم وطارق الميرغني ـ إخراج: أشرف فهمي.

(42) أصدقاء الشيطان ـ 1988م.

سيناريو وحوار: إبراهيم الموجي ـ إخراج: أحمد ياسين.

(43) قلب الليل ـ 1989م.

سيناريو وحوار: محسن زايد ـ إخراج: عاطف الطيب.

(44) ليل وخونة ـ 1990م. (عن: اللص والكلاب)

سيناريو وحوار: أحمد صالح ـ إخراج: أشرف فهمي.

(45) نور العيون ـ 1991م.

سيناريو وحوار: وحيد حامد ـ إخراج: حسين كمال.

(46) سمارة الأمير ـ 1992م.

سيناريو وحوار: مصطفى محرم ـ إخراج: أحمد يحيى.

أعماله في السينما العالمية:

(1) بداية ونهاية

إنتاج مكسيكي ـ سنة 1995م.

إخراج: آرتورو ريبيستين.

(2) زقاق المدق:

إنتاج مكسيكي ـ سنة 1994م.

بطولة: سلمى حايك ـ إرنستو جوميث كروث ـ ماريا روجو.

إخراج: خورخي فوفي.

سيناريوهات كتبها:

(1) المنتقم - 1947م.

(بالاشتراك مع صلاح أبو سيف) - إخراج صلاح أبو سيف.

(2) مغامرات عنتر وعبلة - 1948م.

(مع صلاح أبو سيف وفؤاد نويرة) - إخراج: صلاح أبو سيف.

(3) لك يوم يا ظالم - 1951م.

(بالاشتراك مع صلاح أبو سيف) - إخراج: صلاح أبو سيف.

(4) ريا وسكينة - 1953م.

(بالاشتراك مع صلاح أبو سيف) - إخراج: صلاح أبو سيف.

(5) الوحش - 1954م.

(بالاشتراك مع صلاح أبو سيف) - إخراج: صلاح أبو سيف.

(6) فتوات الحسينية - 1954م.

(بالاشتراك مع نيازي مصطفى) - إخراج: نيازي مصطفى.

(7) جعلوني مجرما - 1954م.

(مع السيد بدير) - إخراج: عاطف سالم.

(8) درب المهابيل - 1955م.

(مع عبد الحميد جودة السحّار) - إخراج: توفيق صالح.

(9) شباب امرأة - 1955م.

(مع أمين يوسف غراب) - إخراج: صلاح أبو سيف.

(10) النمرود - 1956م.

(مع السيد بدير ومحمود صبحي) ـ إخراج: عاطف سالم.

(11) الفتوة ـ 1957م.

(مع السيد بدير وصلاح أبو سيف ومحمود صبحي) ـ إخراج: صلاح أبو سيف.

(12) الهاربة ـ 1958م.

(بالاشتراك مع حسن رمزي) ـ إخراج: حسن رمزي.

(13) مجرم في أجازة ـ 1958م.

(مع كامل التلمساني) ـ إخراج: صلاح أبو سيف.

(14) الطريق المسدود ـ 1958م.

(قصة: إحسان عبد القدوس) ـ إخراج: صلاح أبو سيف.

(15) أنا حرة ـ 1959م.

(قصة: إحسان عبد القدوس) ـ إخراج: صلاح أبو سيف.

(16) الله أكبر ـ 1959م.

إخراج: إبراهيم السيد.

(17) إحنا التلامذة ـ 1959م.

إخراج: عاطف سالم.

(18) جميلة بو حريد ـ 1959م.

(مع علي الزرقاني وعبد الرحمن الشرقاوي ووجيه نجيب) ـ عن قصة: يوسف السباعي ـ إخراج: يوسف شاهين.

(19) الناصر صلاح الدين ـ 1963م.

(مع عبد الرحمن الشرقاوي وعز الدين ذو الفقار ومحمد عبد الجواد) ـ عن قصة: يوسف السباعي ـ إخراج: يوسف شاهين.

(20) ثمن الحرية - 1964م.

(إعداد سينمائي) ـإخراج: نور الدمرداش.

(21) بئر الحرمان - 1969م.

(قصة: إحسان عبد القدوس) - إخراج: كمال الشيخ.

(22) دلال المصرية - 1970م.

(إعداد القصة) - إخراج: حسن الإمام.

(23) إمبراطورية ميم - 1972م.

(إعداد سينمائي) - إخراج: حسين كمال.

(24) توحيدة - 1976م.

(إعداد سينمائي) - إخراج: حسام الدين مصطفى.

(25) المجرم - 1978م.

(مع صلاح أبو سيف) - إخراج: صلاح أبو سيف.

أعماله على المسرح:

(1) زقاق المدق:

المسرح الحر - 1958م - إعداد: أمينة الصاوي - إخراج: كمال ياسين.

(2) بداية ونهاية:

المسرح القومي - 1960م - إعداد: أنور فتح الله - إخراج: عبد الرحيم الزرقاني.

المسرح القومي - 1971م و 1976م - إعداد: أحمد عبد المعطي - إخراج: فتحي الحكيم.

جمعية فناني الجيزة - 1986م - إعداد أمينة الصاوي - إخراج: صلاح منصور.

(3) بين القصرين:

المسرح الحر - 1960م - إعداد: أمينة الصاوي - إخراج: صلاح منصور.

(4) قصر الشوق:

المسرح الحر - 1961م - إعداد: أمينة الصاوي - إخراج: كمال ياسين.

(5) اللص والكلاب:

المسرح الحديث (فرق التليفزيون) - 1962م - إعداد: أمينة الصاوي - إخراج: حمدي غيث.

(6) خان الخليلي:

المسرح الحر (فرق التليفزيون) - 1963م - إعداد: صلاح طنطاوي - إخراج: كمال حسين.

(7) قهوة التوتة:

فرقة تحية كاريوكا - 1963م - (عن: الخوف) - إخراج: فايز حلاوة.

(8) روض الفرج:

المسرح الحديث (فرق التليفزيون) - 1964م - إعداد: صلاح طنطاوي، حسين كمال - إخراج: حسين كمال.

(9) تحت المظلة:

مسرح الجيب - 1969م - إعداد: مصطفى بهجت مصطفى - إخراج: أحمد عبد الحليم.

(10) ميرامار:

المسرح الحر ـ 1969م ـ إعداد وإخراج: نجيب سرور.

(11) الجوع:

(12) بلاغ كاذب:

مسرح الطليعة ـ 1962م ـ إعداد وإخراج: فايز حلاوة.

(13) الشيطان يعظ:

1977م ـ إعداد وإخراج: شريف عبد اللطيف.

(15) القاهرة 80:

مسرح الطليعة ـ (عن: يوم قتل الزعيم) ـ 1985م ـ إعداد: السيد طليب ـ إخراج: سمير العصفوري.

(16) زقاق المدق:

فرقة المتحدين ـ 1987م ـ إعداد: بهجت قمر ـ إخراج: حسن عبد السلام.

(14) قسمتي ونصيبي:

مجموعة المستقبل ـ النيل هيلتون ـ 19

# الملحق الثاني

# صور مخلدة لحياة
# نجيب محفوظ

# 1. نجيب محفوظ من مكان الصبي إلى مكان الوفاة

**في هذا البيت بمنطقة الجمالية ولد الطفل نجيب سنة 1911 .**
**حول المبنى اليوم إلى مقهى**

**مقر شرطة الجمالية يقابل بيت نجيب محفوظ القديم**

**أمام باب المدرسة التي درس بها المرحلة الابتدائية**

**في هذا المكان كان اديب نوبل يلعب**
**وهو صبي"قبو قرمز" نسبة إلى درب قرمز**

**أمام قبر الحسين أين يأتي الناس للتبرك و الدعاء أين كان**
**نجيب محفوظ يرافق أمه و هو صغير و قد خلده في الثلاثية**

**السيدة زينب رمز محبة أل البيت عند المصريين**

**داخل جامع الأزهر غير بعيد عن مسجد الحسين**

**عوامة تشبه تلك التي سكنها نجيب عند زواجه.**

**بعد أن سكن في حي العباسية وهو شاب اشترى نجيب هذا البيت بالعجوزة بعد أن تزوج و سكن عوامة. المنزل قريب من النيل الذي كان الأديب يعشقه**

**غير بعيد عن البيت، مستشفى الشرطة الذي دخله مرتين.**
**الأولى سنة 1994 عندما طعن والثانية سنة 2006 اين توفي.**

# 2. الميادين و الحارات  القاهرية

**ميدان و مسجد الامام الحسين**

**لافتة ترشدنا إلى حارة قرمز مكان الصبا**

**ميدان السيدة زينب احد المزارات النسائية خاصة**

**ميدان الحسين مركز التجارة و السياحة حاليا**
**بمحاذاة الجامع الأزهر مركز الإسلام السني بمصر**

**خان الخليلي المركز التجاري العريق بالقاهرة، عنوان إحدى روائع نجيب محفوظ**

**أزقة الجمالية أين ينتشر الحرفيون و الطبقة الوسطى التي خلدها محفوظ في رواياته**

**شارع الأزهر قربه مسجد الأزهر الذي أسسه**
**جوهر الصقلي و سمي تبركا بالسيدة فاطمة الزهراء**

**حارة الصالحية بالجمالية نسبة الى الساطان الصالح**

**لافتة ترشدنا إلى شارع قصر الشوق عنوان إحدى روايات الثلاثية**

**شارع بيت القاضي بالجمالية**

**حديقة الأزبكية، أين كان نجيب يشتري الكتب على الرصيف**

**ميدان التحرير. بالقرب منه يوجد المتحف المصري**
**و الجامعة الأمريكية. وهو اليوم رمز الثورة المصرية للربيع العربي**

**ميدان نجيب محفوظ بالعجوزة**

**ميدان نجيب محفوظ يتوسطه الكبرى الذي كان يقطعه نجيب محفوظ ماشيا كل صباح**

**تمثال نجيب محفوظ يتوسط الميدان الذي يحمل اسمه**

**أهرامات مصر العظيمة التي يمثل نجيب احدها، و أبو الهول**

**جامع محمد علي أين يوجد قبر مؤسس مصر الحديثة**
**و هو محاط بقلعة صلاح الدين، رمز القوة الأيوبية**

**وراء هذا السياج الحديدي يوجد قبر محمد علي باشا**

## 3.للمقاهي قيمة كبيرة في حياة نجيب محفوظ،، فيها يلتقي بأصدقائه و منها يأتي بمواضيع رواياته

**أمام مقهى ريش العريق الذي تأسس سنة 1908**

**صالون ريش الثقافي داخل مقهى ريش، أين جلس العشرات من المبدعين في كل المجالات. لتخليدهم تعلق صورهم بعد وفاتهم. صورة نجيب محفوظ بحجم كبير**

**أمام المقهى الذي يحمل اسمه اليوم في حي خان الخليلي**

**داخل مقهى الفيشاوي، احد المقاهي العريقة بمصر، تردد عليها الادباء و الفنانون و حتى**
**الملك فاروق (الصورة الوسطى) كان نجيب محفوظ من بين معتاديه (الصورة إلى اليمين)**

## 4.المكتبات و الجامعات أين يمكن الاتصال بعالم نجيب محفوظ الروائي

**دار المعارف إحدى اعرق دور النشر و بيع الكتب في مصر**

**الهيئة المصرية العامة للكتاب تتوسط شوارع مصر الجديدة**

**أمام مكتبة مدبولي إحدى أشهر المكتبات في القاهرة**

**من داخل مكتبة الشروق، التي طبعت المجموعة الكاملة لروايات نجيب محفوظ**

**إلى الخلف مبنى الجامعة الأمريكية التي نقلت منذ سنوات إلى 6 أكتوبر**

**أمام مدخل جامعة القاهرة، فؤاد الأول سابقا و التي درس بها نجيب محفوظ**

# قائمة المصادر و المرجع

ابن رشد،الوليد، تهافت الفلاسفة، تقديم و ضبط و تعليق: محمد لعريبي، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1993.

ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس، نسقه و وضع فهارسه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1992 .

أبو عمر بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ،منشورات دار الكتاب العربي –بيروت- لبنان –1402 ه / 1982 م الجزء الثاني .

أبو عوف عبد الرحمن، الرؤية المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991

إحسان صادق سعيد ـ الزمان والمكان والشخص في أدب غادة السّمّان ـ نزوى كوم www.Nizwa.com

أحمد هيبي ، التسمية في الإسلام، مجلة العربي ، الكويت، 1997- العدد 462 .

أحمد يوسف، الدلالة المفتوحة: مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005.

أقضاض محمد، الفضاء: رؤية سجينة في رواية "الساحة الشرقية"إصدارات النادي الأدبي، جدة، 1985.

الإمام محمد بن عبد الوهاب ، هديه صلى الله عليه و سلم في الأسماء و الكنى – الطبعة الثالثة، 1981- المكتب الإسلامي.

أمين، أبو ليل، الصراع الأيديولوجي في روايات نجيب محفوظ ما بين التاريخ والإسقاطات الخاصّة، الحاج رضوان الحسيني زقاق المدق نموذجاً، بحث مقدَّم إلى الأسبوع العلمي الخامس لكلية الآداب والفنون،2007.

ايفلين فريد جورج يارد ، نجيب محفوظ والقصة القصيرة تحت إشراف الدكتور هنري عويط ، الطبعة الأولى ، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1988

بدوي، عبد الرحمان،الزمان الوجودي، دار الثقافة، بيروت، 1973.

برادة، محمد، الرواية أفقا للشكل و الخطاب المتعددين، مجلة فضول، مجلد 11. ع4 ، 1993 .

برنار توسان، ما هي السيميولوجيا؟ ترجمة: محمد نظيف ، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب. 1994

بهاء الدين محمد مزيد، أجناس خطابية معاصرة، مقاربة علاماتية، مجلة أفق، اتجاهات ثقافية، موقع على الانترنيت.

بوتفنوشنت. مصطفى، العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة، ترجمة دمري. أحمد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

بيار جيرو، علم الإشارة _ السيميولوجيا_ ترجمة عن الفرنسية منذر عياش، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الأولى 1988.
التواتي، مصطفى دراسة في روايات نجيب محفوظ الذهنية، الدار التونسية للنشر، تونس 1986، ص7
جريدة الخبر ليوم 18 ماي 1996عدد 1761 السنة السادسة

جهاد يوسف العرجا، سيميائية الشخصيات في القاهرة الجديدة لنجيب محفوظ، بحث معد بكلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بغزة، 2002 .

جوزيف، كيسنر، شعرية الفضاء الروائي، ترجمة لحسن احمامة، ط1 افريقيا الشرق، 2003.

جيرار جنيت، الأدب و الفضاء، ترجمة عبد الرحيم حزل، ط1 . إفريقيا الشرق. 2002.

حافظ محمد جمال الدين، شعرية المكان و الزمان، علامات في النقد الأدبي، النادي الادبي الثقافي بجدة، ج.52 ،2004.

حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1 ، 2000

حسين حمودة، في غياب الحديقة، حول متصل الزمان/ المكان في روايات نجيب محفوظ، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2007 .

حسين علي محمد، الشخصية الإسلامية في رواية «زقاق المدق» من كتاب "مقالات في الأدب العربي المعاصر"،أصوات مُعاصرة، دار الإسلام للطباعة، المنصورة ،2004

حفناوي بعلي ـ التجربة العربية في مجال السيمياء ـ منشورات الجامعة (بسكرة) الجزائر، 2002.

حلمي بدير، الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، دار المعارف، القاهرة، 1979.

حميد لحميداني، القراءة و توليد الدلالة، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2003.

حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزع، ط.1 ، 1991 .

حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة. "مخلوقات الأشواق الطائرة"لإدوارد الخراط نموذجا، دار نينوى للدراسات و النش، دمشق، 2011 .

ذويبي خثير الزبير، سيميولوجيا النص السردي، مطبوعات رابطة أهل القلم، سطيف، 2001.

رابح بومعزة ـ من مظاهر إسهام مدرستي باريس والشكلانيين الروس في تطور السيميائية السردية، منشورات الجامعة بسكرة 2002.

الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء – المجلد الثالث.

رامان، سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، آفاق الترجمة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، 1996 .

رجاء النقاش، في حب نجيب محفوظ، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2006.

رشيد بن مالك، السيميائية: أصولها و قواعدها، منشورات الاختلاف، 2002 ، ص.21

رشيد، الذوادي، أحاديث في الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986

روبرت شولتز، السيمياء و التاويل، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1 ، 1994

زايد، عبد الصمد، مفهوم الزمن و دلالته، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988

سعيد الحنصالى، بداية ونهاية. قراءة وتحليل، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1995 .

سعيد بن كراد، مفاهيم في السيميائية، علامات في النقد الأدبي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ع.17 ،2004 .

سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997 .

سلامي، عبد القادر، السيميائيات.جدل المصطلح و الاصطلاح، أيقونات، منشورات رابطة سيما للبجوث السيميائيات، الجزائر،ع.1 ، 2010 .

سلماوي، محمد، نجيب محفوظ المحطة الأخيرة، دار الشروق، القاهرة، 2007.

سليمان الشطي، الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2004

سليمان الشطي، شخصيات تنسحب من الضوء،العربي، وزارة الإعلام بدولة الكويت، مطابع الأهرام، مصر ع. 577 ، 2007 .

سماهر الضامن، **الإنسان والمكان في "زقاق المدق"** *http://sanabsi.com/forum/showthread.php?t=533* 28-09-2008

القران الكريم، سورة الحج – الآية 78

السيد احمد فرج، أدب نجيب محفوظ و إشكالية الصراع بين الإسلام و التغريب، دارا لوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، 1990.

سيزا قاسم، بناء الرواية . ط. 1 ،دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، 1985 .

شاكر، النابلسي،جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت.

شريبط احمد شريبط، بنية الفضاء في رواية"غدا يوم جديد"، مجلة الثقافة، ع.115 ، الجزائر. 1997

شلواي عمار ـ السيميائية المفهوم والآفاق ـ منشورات الجامعة (بسكرة) الجزائر، 2000 .

صلاح فضل، شفرات النص. دراسة سيميولوجية في شعرية القصد و القصيد، دار الأدب، القاهرة، 1999 .

صلاح فضل، نجيب محفوظ والرواية التاريخية ، الرواية والتاريخ، مجموعة باحثين، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والتراث، قطر، 2006 .

طاهر عبد مسلم، عبقرية الصورة والمكان، التعبير –التأويل-النقد، دار الشروق، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2002.

طه حسين، نقد و إصلاح، دار العلم للملايين، بيروت، 1956 .
طه وادي، نجيب محفوظ أمير الرواية العربية، دار المعارف، القاهرة، 2006.

الطيب بودربالة ـ قراءة في كتاب سيمياء العنوان للدكتور بسام قطوس ـ منشورات الجامعة (بسكرة) الجزائر 2002 .

العالم، محمود أمين، من عبث الأقدار إلى السراب، عن كتاب تأملات في عالم نجيب محفوظ، 1970.

عامر الحلواني، سيميائية الأرض و الهوية في قصيدة "حصار" لفوزية العلوي ، علامات في النقد الأدبي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ج.29

عبد الرحيم، عبد الوهاب، جماليات الفضاء في السيرة الذاتية، موقع الأساتذة المبرزين و الباحثين في اللغة العربية بالمغرب،2009 .

عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1 ، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

عبد الله إبراهيم و آخرون، في معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، الدار البيضاء، 1996.

عبد الله تذروتي– المرأة في روايات نجيب محفوظ حتى1967 رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير، جامعة حلب كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية، 1407 /تحت إشراف الدكتور فؤاد المرعي.

عبد الله محمود الغذامي، الخطيئة و التفكير-من البنيوية إلى التشريحية-قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر: مقدمة نظرية و دراسة تطبيقية. النادي الأدبي الثقافي، 1985 .

عبد المالك مرتاض، النص الأدبي من أين ؟ و إلى أين؟ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 .

عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

عبد المالك مرتاض، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد آل الخليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

عبد المالك، مرتاض، في نظرية الرواية-بحث في تقنيات السرد،سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب الكويت، ع 240 ، كانون الأول 1998.

عزيزة مريدن، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.

العسكري، أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل ، الفروق في اللغة، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1973.

عصام خلف، كامل، الاتجاه السيميولوجي و نقد الشعر، دار فرحة للنشر و التوجيه، 2003
عقاد، ايفلين،حجاب العار: دور المرأة في السرد المعاصر في جنوب إفريقيا و العالم العربي، شيربروك، كويبيك، 1978.

عقون. محسن، تغيير بناء العائلة الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 17 ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002.

علاء هاشم مناف، التشبيه الوظيفي في الثنائية السردية لروايتي(زقاق المدق والرجع البعيد، الحوار المتمدن، 2008 .

عيد، رجاء، دراسة في أدب نجيب محفوظ، منشأة المعارف، مطبعة الأطلس القاهرة، 1974.

غاستون باشلار ـ جدلية الزمنـ ترجمة خليل أحمد خليل ـ ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر 1983

غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت، 1984 .

غالي شكري ، أزمة الجنس في القصة العربية
غالي شكري، المنتمي دراسة في أدب نجيب محفوظ، منشورات دار الأوقاف الجديدة، بيروت الطبعة الثالثة 1982

غالي شكري، معنى المأساة في الرواية العربية- 1الجزء الأول، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت،1980

غسان السيد، المكان في الرواية العربية (جسر بنات يعقوب نموذجا)، مجلة الموقف الأدبي، العدد 319، دمشق . 1997

الغيطاني جمال، نجيب محفوظ يتذكر، دار المسيرة، بيروت، 1980

فاروق عبد المعطي، نجيب محفوظ بين الرواية والأدب الروائي، دار الكتب العلمية، بيروت. ط.1 ، 1994.

فاروق مغربي، روايات ما بعد الثلاثية لنجيب محفوظ، علامات، ج 58، جدة، 2005،

فاطمة الزهراء محمد سعيد، الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1981.

الفيروز، أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، شركة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، ط2، 1952 ، ج3.

فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010.

القصراوي،مها حسن، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، عمان، ط1 ،2004

ك.م.نيوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة عيسى علي العاكوب، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، مصر، ط1 ، 1996 .

لحسن المختار،عشرون عاما على رحيل رولان بارث بيان الثقافة، عدد 48 ت ديسمبر 2000.

مصطفى، محمد موسى، نجيب محفوظ..نوبل.

مبارك حنون، السيميائية عند العرب، مجلة دراسات أدبية و لسانية، فاس، ع.5 ، 1986

المجالس المحفوظية، دار الشروق، ط.1 .القاهرة،2006

محمد الباردي، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

محمد السرغيني ـ محاضرات في السيميولوجيا ـ دار الكتاب للنشر والتوزيع ـ الدار البيضاء ـ المغرب 1987.

محمد بدوي، "المصيدة والفرائس"، جريدة "أخبار الأدب"، عدد 596، القاهرة، 12 ديسمبر2004.

محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، الجزء 3، الدار البيضاء، دار توبقال، الطبعة الأولى، 1990.

محمد عبد المطلب، نجيب محفوظ-أسطورة مصر في القرن العشرين، علامات في النقد الأدبي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ج51 ،2004 .

محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.

محمد فكري، الجزار، العنوان و سيميوطيقا الاتصال. دراسة أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.

محمد قرانيا، خصوصية الأسماء العربية ودلالاتها، مجلة التراث العربي، السنة الرابعة والعشرون، العدد 98، دمشق، 2005

محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، 1979.

محمود الهميسى، براعة الاستهلال فى صناعة العنوان، الموقف الأدبي، دمشق، ع 313، 1997.

محمود أمين العالم تأملات في عالم نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970.

محمود فوزي، اعترافات نجيب محفوظ، دار الشباب العربي، القاهرة. 1970

مرسي، صلاح، هم و أنا، مكتبة مدبولي الصغيرة، القاهرة، 1996 .

مشهور، مصطفى،علم السيمياء في المسرح، مجلة فكر عربي معاصر، ع.36 ، 1985 .

مصطفى بوهلال ، أسماء من التراث، مجلة المنهل ، المجلد 57 – العدد 522 محرم 1416 هـ/ يونيو 1995

مصطفى محمد، موسى، نجيب محفوظ نوبل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005

المعداوي، أنور، مقال عن بداية ونهاية، مجلة الرسالة، العدد939، يوليو 1951

مصطفى ناصف، الصورة الأدبية - دار الأندلس بيروت، الطبعة الثالثة 1983

مندلاو، الزمن و الرواية،ترجمة بكر عباس، دار صادر، بيروت، 1997 .

منذر عياشي، العلماتية و علم النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2004 .

ميخائيل باختين : أشكال الزمان والمكان في الرواية، ترجمة يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990.

ناجى نجيب، نجيب محفوظ نوبل 1988، كتاب تذكارى، وزارة الثقافة، القاهرة، 1988.

نبيل راغب، قضية الشكل الروائي عند نجيب محفوظ، دراسة تحليلية لأصولها الفكرة والجمالية، المؤسسة العامة للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ص القاهرة، 1976.

نبيل سليمان، فتنة السرد والنقد، نبيل سليمان، الطبعة الأولى سنة ، 1994 دار الحوار للنشر والتوزيع سورية اللاذقية.

نجيب محفوظ - سيرة حياة، مجلة الرواية، إعداد: محمد أبو المجد

نجيب محفوظ، زقاق المدق، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر، 1989.

نجيب محفوظ، رواية **ميرامار** ، مكتبة مصر، القاهرة.

نجيب محفوظ، مجموعة مقالات حول الثقافة والتعليم أعده للنشر فتحي العشري، الدار المصرية اللبنانية،

نجيب محفوظ، وطني مصر. حوارات مع محمد سلماوي، دار الشروق، القاهرة، 1998
نصر حامد، أبوزيد، إشكالية القراءة و آليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2001 .

النصير، ياسين،الرواية و المكان دراسة المكان الروائي دار نينوى للدراسات و النشر و التوزيع، دمشق، 2010.
عزت محمود، جاد، نظرية المصطلح النقدي.، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003.

هانز ميرهوف ، الزمن في الأدب ،ترجمة الدكتور أسعد رزوق ، مؤسسة فراكلين للطباعة والنشر القاهـرة : نيويورك 1972 .

ودناني بوداود، المكان والزمان عند الشعراء العذريين، رسالة ماجستير تحت إشراف الدكتور ابن حلي عبد الله السنة الجامعية 92-93 .

وسام علي محمد الخالدي، دلالــة المكــان في رواية بيــن القصريـن لنجيب محفوظ، مجلة اللغة العربية وآدابها – العدد 7

وليد نجار، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، منشورات دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، الطبعة الأولى 1985

وهيبة بوطغان، البنية الزمنية في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي، مذكرة ماجستير في الأدب العربي، جامعة المسيلة، 2009 .

يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997

إلياس الخوري ، الذاكرة المفقودة، مؤسسة للأبحاث، العربية، الطبعة الأولى 1982 .

يوسف الشاروني : دراسات في الرواية والقصة القصيرة، مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة، الطبعة الأولى، 1967.

**يوسف القعيد، "البرجوازى الصغير"، محمد مندور، عبقرية المجهود.. مندور ناقدا للقصة والرواية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.**

يوسف لطرش ـ المقاربة السيميائية في قراءة النص الأدبي ـ منشورات الجامعة (بسكرة) الجزائر،2000.

**افلام و اشرطة مصورة**

جمال الغيطاني، شريط مصور حول زقاق المدق.